كتابي
مع
هذا العدد
الصغار
صفحة
فتاة
الجيشا
وكتب أخرى

كتابى

مجلة شهرية للثقافة العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مر

أطلب مع هذا العدد

هدية منفصلة فى ٣٢ صفحة

مجلة الصغار

للأولاد والبنات

الكتاب رقم ١٠٣

التحرير : ٢٣ شارع عرابى (توفيق سابقا) ، شقة ١١١ ، القاهرة ـ تليفون ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ـ ٩٢ شارع قصر العينى ، القاهرة ـ تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية

بريشة الفنان : ((جمال قطب))

هل تنقص مجموعتك أعداد سابقة من ((كتابى)) أو مطبوعاته ؟

قد تجدها بادارة التحرير : ٢٣ شارع عرابى ((توفيق))
سابقا ، بالقرب من ميدان التوفيقية ، شقة **١١١** ،
بالقاهرة ـ تليفون ٤٦٤٧٥

سقوط فرنسا!

أحدث كتاب للصحفي العالمي المعاصر

وليم شيرر

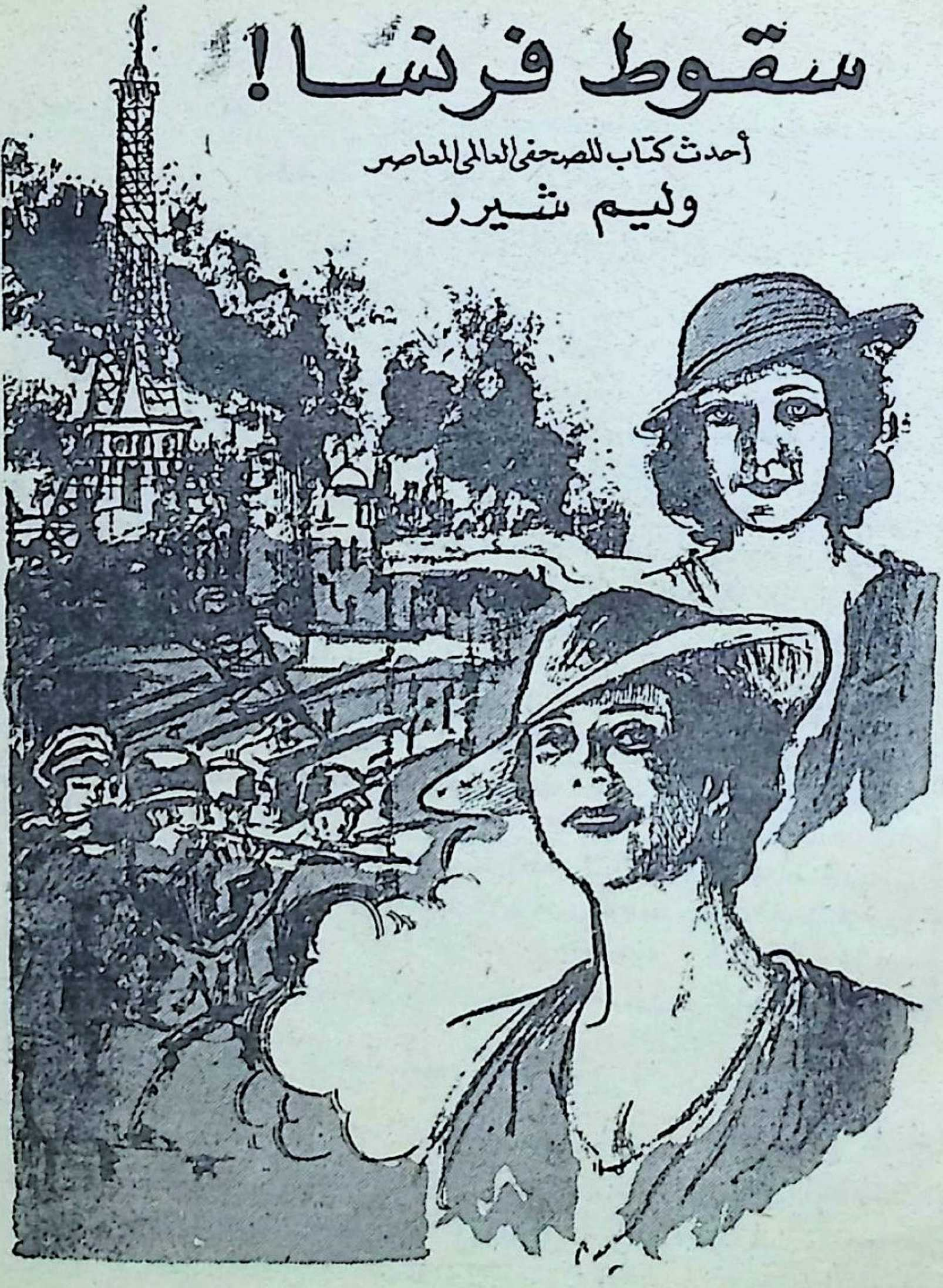

THE FALL OF FRANCE (By: WILLIAM SHIRER)

تلخيص: حلمي مراد

الملحمة التاريخية الثانية ..

بعد ملحمة ((نهوض وانهيار الرايخ الثالث))

● مؤلف هذا الكتاب ((وليم شيرر)) ، من أشهر كتاب التاريخ السياسى المعاصرين .. فعندما أصدر كتابه السابق عن سقوط المانيا الهتلرية ، (فى نحو ألف وأربعمائة صفحة) ، أحدث الكتاب ضجة كبرى فى العالم بأسره ، لما احتواه من دراسة مدعمة بالاسانيد والمستندات ، لأدق تفصيلات الاثنى عشر عاما التى حكم فيها هتلر المانيا ، وأوشك أن يحكم العالم كله ! .. وقد استغرق منه تأليف ذلك الكتاب خمسة أعوام كاملة ، أطلع خلالها على جميع الوثائق الألمانية الرسمية التى وقعت فى يد القوات الامريكية لدى دخولها برلين فى عام ١٩٤٥ . وقد عمل ((وليم شيرر)) كمراسل للصحف الامريكية فى كل من باريس ، ولندن ، وبرلين ، وفيينا ، وروما .. كما عمل مراسلا لاذاعة كولمبيا خلال الاعوام من ١٩٢٦ الى ١٩٤١ ، وكان من أواخر من غادروا برلين بعد أن أعلن هتلر الحرب على الولايات المتحدة الامريكية ، وأصدر عقب ذلك كتابه الاول المشهور ((يوميات برلين)) ..

وهو فى هذا الكتاب الجديد ـ الذى لا يقل أهمية عن سابقيه ـ يزيح الستار ، لأول مرة ، عن الاسرار الخفية التى قادت فرنسا الى كارثة الهزيمة الساحقة ، على يد جيوش هتلر ، فى يونية ١٩٤٠ :

قصة .. كالأساطير !

● لم يشهد القرن العشرون ـ برغم ما تناثر فى طريقه من حطام امبراطوريات جبارة ـ مثل ذلك الانهيار المباغت ، السريع ، الذى حاق بفرنسا فى مايو ويونيو ويوليو من عام ١٩٤٠ . ففى خلال أسابيع قلائل ، تردت فى درك الهزيمة الساحقة تلك الدولة التى تعد من أعرق الدول الديموقراطية البرلمانية ، والتى كانت من أهم الدول الأوربية الكبرى وأكثرها

مدنية ، والتى عرف عنها انها كانت تملك جيشا من أحسن جيوش العالم !

.. وعلى أيدى مارشال فى الرابعة والثمانين من عمره ـ كان من الأبطال الأسطوريين فى الحرب العالمية الأولى ـ يعاونه قادة انهزاميون ، وساسة متخاذلون ، تمت عملية ازالة أنقاض « الجمهورية الثالثة » فى فرنسا ، واقامة نظام ديكتاتورى فاشى فى محلها .. وقد ذهل المنهزمون والمنتصرون ـ على السواء ـ أمام ما ألحقته ألمانيا الهتلرية بفرنسا من انهيار سريع !

فما هى مواطن الضعف الشنيعة ، التى أدت بشعب موهوب ـ كالشعب الفرنسى ـ الى هذا التردى ، والى تلك الحال الداعية للرثاء ؟

لعل من العوامل التى ساعدت على تفسير الانتصار النازى ، تلك الفترة التى سبقت سقوط فرنسا بثلاثة أشهر .. ثلاثة أشهر من الزعامة المضطربة المرتبكة ، فى الدولة الفرنسية !

عشيقة رئيس الوزراء تحكم فرنسا ، أثناء مرضه !

● فى مساء ٢٧ أبريل ١٩٤٠ ، أصيب رئيس الوزراء « بول رينو » بنزلة برد شديدة ، دعت الطبيب الى أن يأمره بملازمة الفراش أسبوعا ، فاذا مرضه يتيح للكونتة « هيلين دى بورت » ـ العشيقة التى كانت تسيطر على حياته ـ فرصة لتتولى الاشراف على شؤون الدولة مؤقتا !

ولقد حاول « بيير لازاريف » ـ رئيس تحرير صحيفة « بارى سوار » ـ أن يتصل تليفونيا برئيس الوزراء ، فى نهاية ذلك الأسبوع ، فردت عليه الكونتة دى بورت ، قائلة : « اننا جد مشغولين يا عزيزى ، ولكن .. تعال ، على أية حال » .

ويمضى « لازاريف » فى رواية ما حدث ، قائلا : « عندما

وصلت الى دار رئيس الوزراء ، وجدت « هيلين دى بورت » جالسة الى مكتب بول رينو ، يحيط بها القـادة ، وكبار المسئولين والبرلمانيين والموظفين .. كانت ترأس اجتماعا ، وكانت تتولى معظم الحديث ، وتتكلم بلهجة سريعة ، حاسمة ، مشيرة بآراء ، ومصدرة أوامر ! .. وكانت ـ بين حين وآخر ـ تفتح بابا ، فأسمعها تقول : « كيف حالك يا بول ؟ .. الزم الراحة ، فأنت بحاجـة الى الاستجمـام ، ونحن ماضون فى تصريف الأمور » ! .. وعنـدما طلبت رؤية رئيس الوزراء ، رفضت قائلة انه مريض ، وانها تبذل قصارى وسعها لتملأ مـكانه » !

ورأيت بنفسى عواقب نواحى ضعف الحكومة والجيش والشعب ، عندما دخلت باريس ـ وهى عاصمة مغلوبة ـ فى ١٧ يونيو ١٩٤٠ ، فكتبت فى مفكرتى اذ ذاك : « يسـاورنى شعور بأن ما نراه هنا ، هو تحطم المجتمع الفرنسى .. انهيار الجيش ، والحكومة ، والروح المعنوية لدى الشعب ! »

والتاريخ يحدثنا عن أمم انهـارت ـ فى بعض العصور ـ فلم يكن انهيارها نتيجة عيوب فيهـا ، وانما نتيجـة ما كان للمهاجمين من قوة هائلة . فهل ترى كان انهيار فرنسـا من أمثـلة ذلك ؟.. لقـد ظللت أعواما ـ وأنا فى برلين ـ أراقب الارتفاع السريع ، الكبير ، فى القوة الحربية لألمانيـا النازية ، دون أن تبـذل الدول الديموقراطية الغربيـة جهـودا تذكر لمجاراتهـا . ولقد تتبعت كذلك ـ وعن طريق مبـاشر ـ ديبلوماسية هتلر المشئومة ، التى كانت قد اتسمت بنجـاح مذهل ، فاستطاعت أن تغرر بالغرب فى سهولة ، وأن تمهـد الطريق لغزوات وفتوح حربية سريعة التلاحق !.. وبرغم هذا كله ، ظل انهيار فرنسا غير واضح الأسـباب تماما ، حتى ان القادة الألمان ـ الذين كنت أتحدث اليهم فى برلين ـ لم يكونوا يتوقعونه قبل حدوثه !

دولة فى حالة انهيار تام

● **كنت** قد وصلت الى باريس حوالى الظهر من ذلك اليوم — ١٧ يونيو ١٩٤٠ — فى أعقاب تقدم الجيش الألمانى السريع ، الذى كنت أرافقه كمراسل صحفى أمريكى محايد ، (اذ لم تكن الولايات المتحدة قد اقحمت فى الحرب بعد) . وكان اليوم من أيام يونيو الجميلة ، مشرق الشمس ، صافى السماء ، ومع ذلك فلم تكن العين تقع على مخلوق فى الطرقات ، اللهم الا جماعات من الجنود الألمان ، يخطرون — فى أوقات متفاوتة — فى أزيائهم الرمادية القاتمة ، وهم يحملقون مذهولين فى معالم المدينة العظيمة ، كما يفعل السائحون . أما المتاجر ، فكانت مغلقة ، وقد أحكمت الأستار الحديدية على نوافذها .

كان أغلب أهل باريس قد هربوا منها ، ولم يبق فيها فى ١٤ يونيو — وهو اليوم الذى دخل فيه الألمان المدينة — سوى ٧٠٠ ألف ، من خمسة ملايين (حسب تقديرات الشرطة)

.. وعلى مئات الأميال — على الطرقات الممتدة جنوب باريس — كان يهيم اكثر من ثمانية ملايين من اللاجئين الذين استبد بهم الذعر . وكانت الجهود التى راح المدنيون يبذلونهـا ، ليمنعوا وحدات جيشهم — التى ظلت تحاول القتـال — من المضى فى مقاومة قد تأتى على بيوتهم ومتاجرهم .. كانت جهود أولئك المدنيين أشد المثبطات التى فتت فى روح هذه الوحدات .. حتى ان أهالى احدى القرى ، القائمة على نهر (ايندر) ، اخمدوا فتائل المتفجرات التى اشعلها مهندسو جيشهم لعرقلة تقدم الألمان عن طريق نسف الجسر الموجود على النهر !

وكانت وسائل الاتصال قليلة جدا بين اعضاء الوزارة الفرنسية فى (تور) — حيث توقفت الحكومة لفترة ، فى طريقها الى (بوردو) — كما أن وسائل اتصالهم بالعالم الخارجى كانت

معدومة تماما . وعندما ذهب « بول بودوان » ـ وكيل وزارة الخارجية ـ لمقابلة رئيس الجمهورية « البير لوبران » ، فى (شاتو دى كانجيه) ، وجد رئيس الدولة « معزولا تماما ،

ادوار دالادييه رئيس وزارة فرنسا فى بداية الحرب العالمية الثانية ، وعشيقته المركيزة « جان دى كروسول »

دون أية أنباء من رئيس الوزراء ، ودون أية أنباء من الدوائر العليا .. فكان مهموما ، حائرا ، لا يعرف شيئا البتة » !

فى طريق البحث عن مسئول !

● من الذى كان مسئولا عن هذا الانهيار غير المنتظم ،

بول رينو رئيس وزارة فرنسا فى أثناء الهجوم الألمانى عليها عام ١٩٤٠ .. والى اليمين عشيقته الكونتة « هيلين دى بورت »

الذى أصاب الجيش والحكومة ؟ أهم القادة الذين أساءوا اعداد الجيش وقيادته ؟ .. أم هم الساسة الذين تقاعدوا عن امداد الجيش بالأسلحة اللازمة ؟ .. أم كانت المسئولية الرئيسية واقعة على الشعب الفرنسى بالذات ، اذ لان وتراخى ـ كما كان البعض قد بدأوا يقولون ـ تحت نظام جمهورى لا يعترف بزعيم ؟ .. ما مدى مسئولية اليمين المتطرف ، بما كان يبديه من كراهية للجمهورية وعطف على الديكتاتورية الفاشية ؟ .. وما مدى مسئولية اليسار المتطرف ، الذى كان الشيوعيون من عناصره ينساقون لما تمليه موسكو ، حتى حين كانت موسكو تعارض المصالح الحيوية لفرنسا ؟ .. **هل كان سقوط فرنسا مصداقا لما كان « بيير لافال » يقول ، من انه لا سبيل للديموقراطيات ـ فى عصرنا ـ للصمود أمام الديكتاتوريات !.. أم ان ثمن النصر فى سنة ١٩١٨ ـ وقد بلغ حوالى مليون ونصف من القتلى الفرنسيين فى الميدان ـ كان فادحا ، فلم تتمكن فرنسا من أن تفيق الى درجة كافية لأن تقف فى وجه الألمان على قدم المساواة ، فى الفترة التى امتدت خلال الحربين ؟**

أثناء البحث عن اجابات لهذه الأسئلة ، وجدتنى أسترجع ذكرى يوم آخر ـ من أيام الصيف ـ قبل ذلك بأحد عشر شهرا ، عندما كانت قوة فرنسا تبدو جلية ، حتى لأكثر الناس ارتيابا . ففى ١٤ يوليو ١٩٣٩ ، قام الجيش والطيران الفرنسيان باستعراضهما التقليدى ، فى ((الشانزليزيه) . وكان القادة قد وضعوا الخطة بحيث يكون العرض فى اقصى درجات الروعة ، ليبثوا الثقة فى نفوس قسم من المواطنين كانوا فى شك من مقدرة فرنسا على الوقوف فى وجه المانيا النازية . وقد اشتركت فى العرض فصيلة بريطانية ، صفق لها الجمهور طويلا ، اذ لم يفته المعنى المقصود ، وهو أن قوة بريطانيا كانت منضمة الى قوة الامبراطورية الفرنسية ..

وشعرت الجموع التى احتشدت لمشاهدة العرض الجوى ـ الذى اشترك فيه سرب بريطانى كذلك ـ ان الحليفتين تمتلكان قوة كافية لمنافسة ألمانيا فى الجو أيضا . وأخذت أحدث الدبابات الفرنسية الثقيلة ـ التى اشتهرت بأنها أحسن ما كان فى العالم يومئذ من الدبابات ـ تزلزل الطرقات التى تمر بها ، وخلفها فصائل من المدفعية الرهيبة ، الطويلة المدى.

.. ومع ذلك ، ظل الكثيرون ضد المقاومة !

● **وهكذا** أوحى الجيش ـ على حد تعبير « جورج بونيه » ، وزير الخارجية ـ بأنه : « منظم ، منسق ، ذو قوة لا سبيل لمقاومتها ، فكيف كان لامرىء أن يخشى ألمانيا ؟ » .. وكان « بونيه » من فريق المرتابين ! .. ومع آخر دقات الطبول ، صاح « جول جانينى » ـ رئيس مجلس الشيوخ يومئذ ـ « كان بديعا أن تمكن السفير الألمانى وملحقه العسكرى من رؤية قوة جيشنا عن كثب . يجب أن تفهم ألمانيا انه لم يعد لها أن تأمل فى تنازلات من ناحيتنا ، فلن يؤيدها الرأى العام الفرنسى ولديه مثل هذا الجيش » !

وأشرق بالثقة وجه « اندريه تارديو » ، رئيس الوزراء الأسبق ، الذى يئس من الجمهورية منذ سنة ١٩٣٤ ، وقال : « ان العدو ـ كما تبين تصرفاته فى السنوات الأربع الأخيرة ـ لا يريد حربا ، ولا يقوى على شنها . انه يفتقر الى المواد الأولية ، والاحتياطى الذهبى ، والخزانة ، والنقد السائل . انه يفتقر الى استقرار داخلى .. انه يهوش .. واذا صمدنا ، فان المحور سيتراجع ! »

ومع ذلك ، ظل هناك آخرون لم يؤتوا أية ثقة فى مقدرة فرنسا على مقاومة عدوها القديم ، وكان ثمة كثيرون لا يريدون المقاومة ، اما عن خوف ، واما عن تأييد للمعتقدات الفاشية . ومن هؤلاء الكونت « الفونس دى شاتوبريان » ، الذى زار

ألمانيا فى سنة ١٩٣٧ ، فسرعان ما آمن بالنازية ، وكتب يقول : « ان هتلر بالغ الطيبة .. اذا حيا الجموع بيد ، فانه يبسط الأخرى الى الله مخلصا .. ان هتلر يحاول رفع صرح للمسيحية فى ألمانيا .. والاشتراكيون القوميون هم بداية العمل الالهى ! »

ومن العجيب ان كتابا لشاتوبريان — يمجد فيه هتلر — لقى رواجا واسعا فى الدوائر العسكرية الفرنسية اذ ذاك !

زعيمان تحركهما مطامع عشيقتين !

● فى تلك الفترة — التى كانت فرنسا تواجه فيها أعظم خطر من الخارج — كان « ادوار دالادييه » و « بول رينو » يتنافسان على الحكم .. وخلفهما امرأتان طموحتان — من ذوات الألقاب — ساهمتا فى ارتباك سياسة فرنسا ، وهما : الكونتة « هيلين دى بورت » عشيقة رينو ، والمركيزة « جان دى كروسول » عشيقة دالادييه . وقد انحدرتا من اسرتين بورجوازيتين غنيتين ، وتزوجت كل منهما أحد الارستقراطيين ، واتخذتا من اللقب والمال سندا فى السعى الى النفوذ السياسى ، عن طريق الارتباط بسياسى تجمع الاحتمالات على انه فى طريقه الى القمة !

وكانت زوجة « دالادييه » قد توفيت — بعد عشر سنوات من زواجهما — والتقى بالمركيزة التى سرعان ما قادته الى عالم باهر الأضواء ، فبدأ يشق طريقه فى أرقى محافل باريس . وكانت المركيزة — فى نظر الصحفى الفرنسى برتيناكس — « موهوبة ، يكسبها أنفها المقوس جاذبية خاصة » .. أما الأديب الكبير « أندريه موروا » فكان يراها « جميلة ، ذات بهاء .. شقراء ، ينضح مظهرها بالشباب .. ذات ميل للنفوذ والسلطان ، وشغف غير موفق بالنظريات الاقتصادية

« البقية صفحة ١٣٩ »

فتاة الجيشا

للروائى اليابانى الفائز بجائزة نوبل

ياسونارى كاواباتا

SNOW COUNTRY

(BY : YASUNARI KAWABATA)

تلخيص : مختار الجوهرى

مؤلف القصة

■ يعد « ياسونارى كاواباتا » – مؤلف هذه القصة – من أشهر كتاب القصة المعاصرين فى اليابان ، (بل فى العالم كله ، بعد أن حصل على جائزة نوبل فى الآداب منذ عامين) . وقد ولد فى مدينة (أوزاكا) ، فى يونية عام ١٨٩٩ .. وأثناء دراسته الجامعية أظهر موهبة فى الكتابة ، فاختير محررا فى هيئة تحرير مجلة الجامعة ، وكان اسم المجلة «شنشيشو» . وفى عام ١٩٢٣ انضم « كاواباتا » الى تحرير صحيفة « بانجى شونجو » ، ثم تخرج فى العام التالى فى الجامعة ، بعد حصوله على الليسانس فى الأدبين اليابانى والانجليزى . وفى عام ١٩٢٥ وطد اسمه كروائى ، بروايته الأولى « راقصات اقليم ايزو » .

.. ثم توالى انتاجه : فنشر فى عام ١٩٢٩ رواية « ازاكوزا » ، مسلسلة فى احدى الصحف ، واعقبتها مجموعة قصص قصيرة بعنوان « الطيور والحيوانات » .. و « عين العصر المنهار » – فى عام ١٩٣٣ – وفى عام ١٩٣٥ بدأ فى كتابة روايته الحاليـــة « اقليم الثلوج » – التى نقدمها لك فى الصفحات التالية تحت عنوان (فتاة الجيشا) – وقد أتمها فى عام ١٩٣٧ ، فلما نشرت منح من اجلها جائزة « بونجى كونوا » ..

وفى عام ١٩٤٧ نشر «كاواباتا» رواية «سمبا سورو» – ومعناها « الف طائر كركى » – ثم صدرت له رواية « صوت الجبل » (١٩٤٩) ، و « الزواج مرة أخرى » (١٩٥٣) و « شعب طوكيو » ، و « البحيرة » (١٩٥٥) .. ثم « قصيدة غنائية » ، و « مرآة صباح فضى » ، ثم « النار المقدسة » ، و « استعراض فى الاقاليم » .

وكان « كاواباتا » قد انتخب فى عام ١٩٥٤ عضواً فى اكاديمية الفن اليابانى .. كما اختير رئيسا لنادى القلم اليابانى لعدة سنوات . وفى مايو ١٩٥٩ حصل على ميدالية « جوته » ، تقديرا لأدبه .

والان تعال نقرأ معا أشهر قصصه الطويلة : « اقليم الثلوج » ، أو « فتاة الجيشا » !

هذه القصة ..

■ يعتبر الساحل الغربى لجزيرة ((هسو)) ـ كبرى الجزر اليابانية ـ من أغزر مناطق العالم ثلوجا ، برغم وقوعه على نفس خطوط العرض المحصورة بين (برشلونة) وجنوب المغرب .. وذلك لانه يتعرض ـ فى الشتاء ـ للرياح الجليدية التى تهب من سيبيريا نحو الجنوب .

ومن المفارقات الطبيعية العجيبة ، ان عيون المياه الساخنة تنبثق فى جميع أرجاء الاقليم . وللينابيع الساخنة مغزى خاص لدى الرجل اليابانى . فهو يسعى اليها وحيدا ، دون أن يصطحب أسرته ـ كما يفعل رواد مراكز المياه المعدنية ، فى بقية العالم ـ ليقضى فترة ممتعة ، فى صحبة بنات ((الجيشا)) .

ولبنات ((الجيشا)) فى مراكز الينابيع الساخنة وضع خاص ، يختلف عن زميلاتهن فى المدن . فبينما تتاح الفرص لهؤلاء لكى يصبحن موسيقيات أو راقصات شهيرات ، نجد ان بنات ((الجيشا)) فى تلك المراكز يوضعن فى مرتبة أدنى ، فهن مضطرات الى ان يرفهن عن رواد الجبال والينابيع الساخنة ـ فى العطلات الاسبوعية ـ بكافة ألوان الترفيه ، حتى تلك المتعلقة بارضاء رغباتهم الجنسية .. ومن ثم ، فمن المألوف أن تسعى الفتاة منهن الى اغراء أحد الرواد بالزواج منها ، أو حمله على أن ينشىء لها مطعما فى تلك المراكز السياحية ، حتى تتخلص من ربقة الوضع الذى ألقتها فيه المقادير .

وحول هذه الطبقة من فتيات ((الجيشا)) ، كتب ((كاواباتا)) هذه القصة ، التى رسم فيها الحياة فى مراكز الينابيع الحارة فى جبال اليابان ، كما عرض صورة دقيقة رائعة لهؤلاء الفتيات ، بأدق ما يختلج فى صدورهن من مشاعر وعواطف .. ومزج كل ذلك فى اطار مأساة انسانية رائعة ، حتى ليخال القارىء ان أحداث القصة تحمله ـ على أجنحة الخيال ـ الى جبال جزيرة ((هسو)) ، والجو العاطفى الشاعرى الذى يسيطر عليها ..

◉ **غادر** القطار النفق الطويل ، وانطلق يجرى على أرض مكسوة بالثلوج ، حتى انتهى الى محطة صغيرة فى الجبل .. وأسرعت فتاة ـ كانت تجلس فى الجانب الآخر من المركبة ـ فعبرت المركبة الى الجانب الذى يجلس فيه المسافر الثرى « شيمامورا » ، ففتحت النافذة القائمة بجوار مقعده ، واذا الرياح الباردة تندفع منها .. ولكن الفتاة أطلت ، ونادت ناظر المحطة ، فوافاها متباطئا ، وهو يحمل « فانوسا » مضيئا ، وقد أحاط رأسه ووجهه بدثار ثقيل ، مما أوحى الى « شيمامورا » بقسوة البرد خارج القطار .. وصاحت الفتاة : « انني يوكو .. كيف حالك ؟ » .. فأجاب ناظر المحطة : « بخير .. اذن فقد عدت من العاصمة ؟ »

ـ كتب لى أخى عن عنايتك به ، فشكرا .

ـ ليس هذا المكان مناسبا لفتى مثله فى مقتبل العمر ، ولكنه يؤدى واجبه خير اداء .. والعمل كثير بسبب تراكم الثلوج .

ـ أرجو أن تنصحه بارتداء الثياب الثقيلة !

وتحول الرجل فأشار بمصباحه لسائق القطار كى يواصل سيره ، فصاحت الفتاة فى صوت عذب ، مس قلب « شيمامورا » ما سرى فيه من أسى : « قل له أن يحضر لزيارتى ! » .. ثم **اغلقت « يوكو » النافذة ، وعادت الى مكانها ، وعلى وجهها مسحة من الحزن .. وأخذ « شيمامورا » يتأملها فى اهتمام ، مرجحا أنها لم تتزوج بعد ، وان كانت بصحبة رجل شاحب الوجه ، بادى السقم ، راحت تحدب عليه وترعاه ، كما تفعل الزوجة لزوج معتل ..**

وكان « شيمامورا » قد قضى فى القطار ثلاث ساعات طوال ، فزين له السأم أن يشغل نفسه بمراقبة الفتاة ، محاولا أن يستعيد فى ذهنه صورة فتاة أخرى ـ كان يقوم بالرحلة من

أجل ان يراها ـ فلا تسعفه الذاكرة بصورة واضحة .. ومد أصبعه الى زجاج النافذة ، الذى تكاثف عليه ضباب الأنفاس ، فكاد يصيح دهشة ، اذ طالعته عينا الفتاة .. ثم فطن الى أن الظلام السائد فى الخارج ، والأنوار المضاءة داخل القطار ، أحالت زجاج النافذة الى مرآة ، انعكست عليها صورة جارته .. ورأى فى عينيها فتنة وجمالا ، فمال على النافذة ـ وكأنه يحاول رؤية الثلوج ـ ومسح ما بقى من ضباب على الزجاج ، وراح يتابع مناظر الفتاة ، وهى تحنو على الرجل المريض ، وكأنه يشاهد شريطا سينمائيا يعرض رؤى عالم آخر ! .. ومر القطار بنار مشبوبة فوق الجبل ، فبهر « شيمامورا » منظر وهجها الظاهر خلف النافذة ، وقد بدا فوقه طيف وجه الفتاة المنعكس على صفحة الزجاج .. وبدت عينا الفتاة لشيمامورا ، كشعلتين وسط الثلوج التى كست الجبل !

● ●

● ودهش « شيمامورا » اذ غادرت الفتاة وصاحبها القطار ، فى نفس المحطة التى كان يقصدها ! .. وأسرع الى خارج المحطة ، فلفت نظره الثلج الذى كسا أسطح البيوت وقمم الأشجار ، فسأل سائق « التاكسى » الذى استقله الى فندق القرية : « هل يسقط الثلج هنا غزيرا فى الشتاء ؟ » .. كانت هذه أول مرة يزور فيها القرية فى الشتاء ، وواتاه جواب السائق : « انه يصل أحيانا الى أربعة أمتار أو خمسة . ولكنا لا نزال فى بداية الشتاء ، ولا يزيد سمك الثلج عن مترين أو ثلاثة » . وعاد يسأل السائق : « الا تزال الفتاة التى تقيم مع معلمة الموسيقى موجودة بالقرية ؟ »

ـ لقد كانت بالمحطة ، ألم ترها ؟ كانت ترتدى معطفا أسود ..

ـ لم افطن اليها .. وماذا كانت تفعل بالمحطة ؟

ـ سمعت أنها جاءت لاستقبال ابن معلمة الموسيقى .

اذن فقد كان الرجل العليل هو ابن معلمة الموسيقى ، التى تقيم معها فتاة الجيشا ((كوماكو)) ، التى جاء من أجلها ! .. وداخله شعور غريب ازاء هذه المصادفة ، وساءل نفسه : أكانت هناك علاقة بين فتاة القطار ، وفتاة ((الجيشا)) التى جاء لزيارتها ؟ .. واذ بلغ الفندق ، وجـده هادئا ، يكاد يخلو من النزلاء ، فى فترة الركود التى تسـبق موسـم التزحلق على الجليد .. وبينما كان عائدا الى حجرته ، بعـد أن اغتسل بالماء المعدنى الساخن ، مر بحجرة الاستقبال ، فرأى امرأة طويلة ، فى لباس « الجيشا » .. وخفق قلبه اذ تبين أنهـا فتاته « كوماكو » ، وقد صبغت وجهها بالطـلاء الابيض ، كتقاليد بنات « الجيشـا » .. اذن ، فقـد أصبحت منهن أخيرا ؟!

ولم تبد الفتاة لهفة أو انفعالا ، بل حيته برصانة ، وهى تتفرس فى وجهه .. ثم سارت الى جواره نحو غرفته ، دون أن ينبس أحدهمـا بكلمة ، وان كانت عيناها قد اغرورقتـا بالدموع .. وتذكر « شيمامورا »انه برغم ما كان بينهما من ود ، فى الماضى ، فانه لم يكتب اليها قط طوال مدة غيابه ـ ولعلها حسبته قد نسيها ! ـ وفكر فى أن يعتذر لها ، ولكنه رأى فى دموعها ونظرتها المستسلمة ، أنها لم تكن تفكر فى لومه ، وانما كانت تشعر بالرضى لعودة ما كانا عليه ، فلم يشـأ أن يفسد اللقاء بأى اعتذار ..

● ●

● **واذ** دخلا غرفته ، جففت الفتاة دموعها ، وشاعت فى وجهها ابتسامة حزينة ، وأخذت تحملق فيه .. فوجد نفسه يسترجع ذكرى لقائهما الأول :

كان يعيش فى جدة وفراغ فى (طوكيـو) ، فاذا ادركه الملل ، رحل الى بعض المناطق الجبلية طلبا للتغيير . وفى احدى المرات ، هبط الى هذه القرية الشهيرة بعيونها المعدنية ـ بعد جولة فى الجبال استغرقت اسبوعا ـ فلما

حل بهذا الفندق ، طلب من صاحبته استدعاء احدى فتيات « الجيشا » لتنادمه .. ولكن الفتيات الاثنتى عشرة ـ اللواتى كن فى القرية ـ كن مشغولات فى حفل كبير أقيم فى تلك الليلة .. وعرضت عليه صاحبة الفندق أن تستدعى له فتاة تقيم مع معلمة الموسيقى ، ولم تكن قد انضمت تماما لطائفة « الجيشا » . وجاءت الفتاة بعد قليل ، بصحبة احدى خادمات الفندق ، حتى اذا همت الخادم بالانصراف ، استبقتها ، مما أوحى الى « شيمامورا » بأنها كانت بعد طاهرة نقية .. على أن الخادم لم تلبث أن تسللت خلسة الى الخارج ، وهما يتحدثان عن الطبيعة ، والثلوج ..

هكذا كان أول لقاء له بكوماكو !

ولم يشعر « شيمامورا » ـ فى ذلك اللقاء ـ برغبة فى الشراب مع الفتاة ، فأخذ يتسلى بسؤالها عن حياتها ، وراحت تجيب ببساطة وايجاز : لقد ولدت باحدى قرى الاقليم ، حتى اذا أتمت دراستها الاعدادية ، أوفدها أبواها الى أحد بيوت « الجيشا » فى (طوكيو) لاعدادها لهذه المهنة .. ولكن الله قيض لها رجلا كريما سدد ديونها للبيت ، وعرض عليها أن تتدرب لتصبح معلمة للرقص .. ولكنه مات بعد عام ونصف العام !

وفى أسى راحت الفتاة تروى ما مر بها من شقاء وبؤس ، بعد وفاة ذلك المحسن .. ولكنها ـ برغم ذلك ، وبرغم بلوغها التاسعة عشرة ـ استطاعت أن تحتفظ بطهرها ونقائها ! .. ورفعها هذا فى عينى « شيمامورا » ، فازداد عطفا عليها ، واحتراما لها .. ثم تضاعف تقديره حين وجدها على المام كبير بشؤون « الكابوكى » . (المسرح الكلاسيكى اليابانى) ، والرقص ، و « الباليه » .. وتبين « شيمامورا » ، وهو يصغى الى حديثها باستمتاع ، أنه كان بحاجة الى رفيقة تبادله الحديث ، أكثر منه الى امرأة تشبع غريزته .. ومن ثم تركها تنصرف ـ فى ساعة متأخرة من الليل ـ دون أن يمسها بسوء !

ووافته بعد ظهر اليوم التالى ، فاذا به يبادرها طالبا أن تستدعى له احدى فتيات « الجيشا » المحترفات ! .. وذهلت ـ فى بادىء الامر ـ ثم اتجهت الى النافذة ، وقد تضرج وجهها ، وراحت تتأمل الجبال مليا . وما لبثت ان قالت فى غضب : « لم آت لتسألنى هذا الطلب ! .. اذهب بنفسك فابحث عن واحدة منهن ! »

ـ بل أحب أن تستدعى لى بنفسك احداهن ، فانا اعتبرك صديقة ، ولهذا تصرفت معك بالامس تصرفا نبيلا .. اننى رجل قضى فى الجبال اسبوعا ، فانا بحاجة الى امرأة ، ولن أطيق أن اقضى ليلتين معك فى أحاديث شتى ، دون اشباع رغبتى !

وغضت بصرها وهى صامتة ، فاحس بانه قد جاوز حدود الصراحة .. ولكنها ما لبثت أن هزت رأسها بأسى ، والخجل يكسو وجههـــا ، وقالت : ((سأستدعى لك واحدة ، ولكنى لن أحضر الى هنا مرة أخرى !))

ــ لا تكونى حمقاء ! .. ألم اقل اننى أريدك صديقة ؟ .. اذا تورطت فى علاقتى بك ، فقد لا اتوق الى رؤيتك بعد ذلك .. وأنا أحب أن أراك وأتحدث اليك .. ولو اننى استدعيت امرأة لا تحبينها ، فقد تكرهين لقائى !

.. فأشاحت بوجهها وصاحت : ((كفى !)) .. ولكنها ــ بعد قليل ــ عادت تقول بصوت خافت ، وكأنها ندمت على احتدادها : ((الواقع .. أظنك على حق فيما تقول !)) .. وعادت فجلست قريبا منه ، على الحصير ، وفى عينيها شعور عميق ، جعله يشعر كأنه ارتكب ذنبا ! ولكنه لم يكن كاذبا فيما قاله لها . كان يراها بريئة ، ساذجة ، ليست من الصنف الذى يشبع الرجل معه شهوته .. بل كانت أصلح لان تصبح رفيقة لزوجته ــ عندما يحضرها الى الجبل ــ وربما لقنتها دروسا فى الرقص والموسيقى .. وصارحها بأفكاره ، فابتسمت ــ لأول مرة ــ قائلة : ((يسرنى هذا ، فالصداقة شىء جميل !))

ــ اذن ، هل تستدعين لى احدى فتيات ((الجيشا)) ؟

فقالت وقد عاودهـــا الغضب : ((الآن ؟ .. ماذا تفعل بهـــا فى وضح النهار ؟)) .. وكأنما ندمت على غضبهـــا ، فتراجعت قائلة ان فتيـــات ((الجيشا)) فى القرية قليلات ، والطلب عليهن كثير ، وبيوت ((الجيشا)) لا تتحمل تبعات اتصالاتهن بالعملاء .. فلما استوضحها ، قالت : ((اقصد أن اللقاء قد ينتهى بطفل .. أو مرض خبيث !))

ولم يجد حيلة سوى أن يكلف احدى خادمات الفندق باستدعاء فتـــاة له .. وارادت ((كوماكو)) الانصراف ، فابتدرها : ((لا تذهبى الآن !)) .. لكنها أجابته فى انفعال : ((لا أستطيع البقاء .. سأعود فيما بعد !))

● لم يكد ((شيمامورا)) يرى الفتاة التى أحضرتها الخادم ، حتى أحس برغبته تتلاشى .. وراحت الفتاة تعابثه ، ولكنه وجد نفسه زاهدا ، حتى فى الحديث ! .. وما لبث أن زعم أنه مضطر للذهاب الى مكتب البريد . واذ غادر الفنـــدق ، استهواه الجو ، ومنظر الجبل ، فانطلق يصـــعد الجبل بنشاط ، وهو يضحك .. حتى اذا شعر بالتعب ، انثنى عائدا ، واذا به يلتقى بكوماكو ، فى ظل اشجار الارز .. وبادرته قائلة : ((لاشك أنك سعيد ، كما تنم ضحكاتك !)) ، فعاد يضحك قائلا : ((لقـــد استغنيت عن نســـاء الجيشا !))

وجلس الى جوارها ، فغضت بصرها الى الارض ، فى شىء من الجفاء ..

واذ طال الصمت ، سرح نظره خلال الاشجار ، ثم قال : « لقد أخطأت عندما رأيتك فى الفندق أول مرة ، فظننت أن كل بنات « الجيشا » على شاكلتك ! » .. وشعر بارتياح لطهارة الفتاة واحتشامها .. وسادهما سكون تخلله خرير الماء فى مجرى جبلى .. وأخذ الظلام يهبط رويدا .. وفطن « شيمامورا » ـ وهو يتذكر معاملته لفتاة « الجيشا » التى أحضرتها الخادم ـ الى أنه منذ البداية لم يكن راغبا فى غير « كوماكو » ، وان استدعاءه الاخرى لم يكن سوى حيلة لكى تفهم ما بنفسه ، فأحس بخسة لاتباعه هذه الطريق الملتوية !

وبدا وجهها المستدير دقيق القسمات ، تعلوه مسحة من الحزن ووحشة الوحدة .. وشفتاها الرقيقتان لا تكفان عن الاختلاج ، حتى وهى صامتة .. وأهدابها مسبلة ، كأنها لا تجرؤ على التطلع الى وجه جليسها .. وعنقها نحيلا ـ كعنق طفلة ، لا امرأة مكتملة النمو ـ وان كان صدرها ممتلئا ، على نقيض ما عرف من ضمور صدور فتيات « الجيشا » ، نتيجة الحزام العريض الذى يشد على صدورهن ! قصارى القول ، ان مظهرها كان يوحى بالبراءة أكثر مما ينم عن فتنة الجمال !

● ⊙

● وفى حوالى الساعة العاشرة من مســاء ذلك اليوم ، كان فى حجرته عندما فوجىء بصوتها يناديه ، ثم رآها تندفع داخلة ، فتتعثر وتسقط على الحصير .. وكانت ـ منذ فارقها فى الاصيل ـ قد ذهبت للقاء بعض الوافدين ، واسرفت فى الشراب على غير عادتها .. وما أن فطنت الى حالها حتى انصرفت وهى تترنح ، واذا قدماها تحملانها الى الفندق ، والى غرفتـه .. وكانت صيحاتها الثملة ـ وهى تناديه ـ صيحات انبعثت من أعماق امرأة تنشد رجلها ، وقد أزال الشراب كل تحفظ تتظاهر به ! .. ومالت عليـه ، وهو مستلق فى فراشه ، وقالت : « لست ثملة ، ولكنى أخطأت اذ تناولت أنواعا مختلفة من الشراب ، وهذا يثقل الرأس ! »

وكان المطر يتساقط بغزارة فى الخارج ، والفتاة تزداد تشبثا بشيمامورا ، فاذا تراخت ذراعه حولها ، تهاوت الى الارض ، فيضمها بشدة من جديد .. واخذ يخاطبها ـ فى حنو ـ مهدئا من روعها .. وتسللت يده ـ خلال فتحة (الكيمونو) ـ تعبث بصدرها ، فسكنت الفتاة لحظة ، ثم عقدت ذراعيها فوق صدرها لتصد يده ، وعضت ذراعها بقسوة ، سخطا على نفسها لانهـا لم تمنعه من البداية !

وبهت « شيمامورا » .. وكأنما انتبهت الفتاة الى انها آذت شعوره ، فرفعت ذراعيها عن صدرها .. ثم تناولت احدى يديه فوضعتها على صدرها ، وراحت تداعب اليد الأخرى .. وأحس بصدرها يعلو ويهبط ، فتملكته

عاطفة جارفة ، وضمها اليه فى قوة ، وهو يهمس : « لا تخشى شيئا ! »
ولكن الصداع عاودها ، فتلوت من الألم ، وصاحت : « لم أعد أحتمل .. خير لى أن أعود الى منزلى ! »

- كيف تذهبين وأنت فى هذه الحال ؟ .. ثم انصتى الى المطر !

- سأعود حافية القدمين ، ولو اضطررت الى أن أزحف الى البيت !

وانتصبت جالســة ، وهى تتنفس بعمق ، ولكن الالم كان يتجلى على أساريرها .. وقاومت الرغبة فى افراغ ما فى جوفها ، وتأملت ساعتها فاذا بها تجاوزت الثانية ، فقالت لشيمامورا : « عد الى نومك .. وسأجلس هنا ، حتى اذا تحسنت حالى ، انصرفت الى بيتى ! »

وعاد الى فراشه .. ولكنهـا ما لبثت أن صاحت : « انهض ! .. دع الفراش ! » .. فصاح بهـا : « انك تحيريننى ! » .. ثم نهض ، فجذبهـا وأرقدها الى جواره .. وحولت وجهها عنه فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن أقبلت عليه ، تقبله فى عنف .. وظلت فترة تسلمه شفتيها ، ثم تنأى بهما ، وهى تكرر : « لا .. قلت انك تريد أن نكون صديقين فحسب ! »

وجعله قولها يؤثر الابتعاد عنها .. فعادت تقترب منه ، وهى تهمس : « لن أندم على شىء .. ولكن لا تظننى من أولئك النسوة .. فعلاقة الرجل بهن لا تدوم .. هكذا قلت أنت ! »

وكانت لا تزال تحت تأثير الخمر ، فاستطردت : « ليس الذنب ذنبى .. بل ذنبك .. أنت الذى خسرت المعركة .. أنت الذى ضعفت ، لا أنا ! » .. وسقطت فى شبه سبات ، وهى تعض كمها ، كأنما لتصد سعادتها عن الظهور !

....

وهدأت لفترة ، وقد نضبت كافة انفعالاتها ، ثم صاحت ، وكأنما داهمتها فكرة أشقتها : « انك تضحك منى .. ألست تضحك ؟ »

قال : « كلا .. لست أضحك ! »

- بل تضحك منى فى نفسك . وحتى اذا لم تضحك الآن ، فستضحك فيما بعد !

وغلبها التأثر فبكت .. ثم عاودها الهدوء ، وأبدت الندم على سوء ظنها به ، وأقبلت تتلطف اليه ، دون أن تشير الى ما حدث بينهما منذ قليل ! .. وما لبثت أن فطنت الى أن الليل أوشك أن ينتهى ، فابتسمت فى خجل قائلة انها تؤثر أن تغادر الفندق قبل طلوع النهار ، حتى لا يراها أحد !

ولكنها - مع ذلك - ظلت تتلكأ ، حتى بدت تباشير الفجر ، ودبت الحركة فى الفندق ، فاصلحت من شعرها ، وأسرعت خارجة ، وهى ترفض أن يودعها لدى الباب ، خشية عيون الخدم !

وفى ظهر ذلك اليوم ، غادر « شيمامورا » القرية ، عائدا الى (طوكيو) .

● أفاق « شيماموراا » من ذكريات ذلك اللقــاء الأول بينهما ، منذ عام ، فالتفت الى الفتاة قائلا : « أتذكرين ما قلت فى تلك الليلة ؟ .. لم تكونى على حق ، فأنا لم أضحك منك ، ولا فكرت فى ذلك يوما ! »

وبدت حمرة الخجل تحت الطلاء الأبيض ــ الذى كســا وجهها ــ وابتسمت فى استحياء .. ولعل كلماته ذكرتها بما كان بينهما ــ فى تلك الليلة ــ فغضت بصرها ، وبدأت تعد على أصابعها .. **فسألها : « ماذا تعدين ؟ » .. فقالت : « كان ذلك فى اليوم الثالث والعشرين من شهر مايو » .**

ــ وكيف تذكرين تاريخ ذلك اليوم ؟

ــ لقد انقضت مائة وتسعة وتسعون يوما .. لقد دونت ذلك فى مذكراتى !

ــ اذن ، فأنت تحتفظين بمذكرات ؟ .. منذ متى ؟

ــ بدأتها قبيل رحيلى الى طوكيــو ، لأتدرب على فنون « الجيشا » .. كنت اذ ذاك فى السادسة عشرة ، فاعتدت قبل أن أنام ــ كل ليلة ــ أن أكتب فى مذكراتى أحداث اليوم .. على أننى لم أعد أكتب يومياتى بانتظــام ، فى السنوات الأخيـرة ..

ودهش « شيماموراا » اذ أخبرته أنها تسجل فى مذكراتها ــ الى جانب الأحداث ــ ملخصات لما تقرأ من كتب وروايات .. وحدس أنها بذلك تملأ بعض الفراغ الذى تعانيه فى حياتها فى تلك القرية الجبلية الموحشة .. وللمرة الثانية ، شعر بأنه لا يستطيع أن يعاملها معاملته لأية امرأة عادية من « الجيشا »! .. وكأنما حدست ما كان يدور بخلده ، فغلبها الاستحياء ، وسارت الى النافذة ففتحتها ، وجلست على حافتهــا .. وهبت الرياح باردة ، فسار اليها شيماموراا ، قائلا : « هل جننت ؟ »

وكان الليل يبدو ــ خارج النافذة ــ حالك الظلمـة ..

ومالت الفتاة لتحول بين « شيمامورا » واغلاق النـافذة ، فلمست يده عنقها ، وقال : « ستصابين بأذى من البرد .. الا ترين كيف أصبح عنقك باردا ؟ » . وحاول أن يجذبها الى داخل الحجرة ، ولكنها تشبثت بحافة النافذة ، وهى تقول : « دعنى هكذا بعض الوقت ! »

● ●

● وفى الفجر التـــالى ، استيقظ « شيمامورا » على حركتها فى الفراش .. واذ رآته يجلس فى الفراش ، قالت : « أشعر بأننى حزينة ! » .. كانت ــ كعادتهـــا ــ مضطربة الأعصاب ، قضت الليل تتقلب فى الفراش ، فلم تنم الا لماما .. ونهضت ففتحت النافذة .. كانت خيوط الفجر الأولى قد بدأت تنساب من وراء الجبل ، فقالت : « سأنصرف الآن .. قبل أن يخرج الفلاحون لحقولهم ، وتستيقظ خادمات الفندق ! »

ولما أتمت ارتداء ثيابها ، هدأت فترة ، ثم راحت تتمشى فى الحجرة ، وهى بادية القلق ، حتى خيل لشيمامورا كأنهـا وحش يخاف بزوغ النهار !

وفى ظهـر ذلك اليوم ، سار « شـيمامورا » فى الطريق المنحدرة الى القرية ، وهو يتأمل قمم الجبال وقد تألقت تحت اشعة الشمس .. فلما بلغ القرية ، سار فى الشارع الرئيسى .. وما لبث أن مر ببيت كبير ، رأى أمامـــه بعض نســـاء « الجيشا » .. وحدثه هاتف فى أعماقه بأن « كوماكو » كانت بينهن .. وصدق حدسه ، اذ لم يلبث أن رآها .. وعبست ، وتضرج وجهها ، فود لو أنها تجاهلته ، وأسرع الخطو ، ولكنه لم يلبث أن سمع وقع قدميهـــا خلفـــه ، وهى تلحق به .. وبادرته قائلة : **« ما كان ينبغى أن تفعل هذا .. انك تحرجنى بالمرور فى مثل هذه الساعة ! »**

ــ انا احرجك ؟! .. أنت التى سببت الحرج لنفسك ،

حين تضرج وجهك ، وجئت تجرين خلفى ! »

وتوقفت ، وأحاطت بذراعها احدى الأشجار ، وقالت : « انما تبعتك كى أسألك أن تزورنى فى منزلى ! »

— سأصحبك اذا سمحت لى بقراءة مذكراتك .. ولكن ، أليس فى البيت رجل مريض ؟

— وكيف عرفت بهذا ؟

— كنت أجلس بالقرب منه ، فى القطار .. وكانت معه فتاة ترعاه فى رقة وعطف . أترينها زوجته ، أو فتاة ذهبت من هنا لتأتى به ، أو أنها جاءت ترافقه من طوكيو ؟ .. انها كانت تحنو عليه كالأم الرؤوم !

— لم لم تقل هذا ليلة أمس ؟ .. حقا ، انك غريب الأطوار !

وخيل اليه أن فى صوتها حدة ضايقته .. ولعلها كانت منبعثة عن شىء فى قرارة نفسها .. وفطن الى أنه حين رأى « كوماكو » ـ فى الصباح ـ عند النافذة ، وخلفها الجبل المكسو بالثلوج ، تذكر صورة عينى الفتاة ، على صفحة زجاج القطار .. فلماذا لم يحدثها عنها ، اذ ذاك ؟ .. وقادته الى البيت .. كانت ثمة حديقة زهور صغيرة عند المدخل ، يتوسطها حوض تسبح فيه بعض الأسماك . وكان البيت قديما متداعيا ، فتبعها ـ على سلم خشبى ـ وهو لا يكاد يستبين ما حوله ، حتى بلغا حجرة ضيقة ، تحت سقف البيت المحدب .. فقالت : « كانت هذه الحجرة مخصصة لتربية ديدان القز ، قبل أن أسكنها .. أتستغرب لوجودى فى مكان حقير كهذا ؟ »

وهبطت الى الطابق الأسفل لتحضر فحما ، حتى تشعل النار فى المدفأة ، فأخذ « شيمامورا » يجيل بصره فى المكان : لم تكن هناك سوى نافذة واحدة صغيرة ، ولكن ورق الجدران كان جديدا ، يعكس أشعة الشمس فيملأ الحجرة نورا .. وفى

أحد الأركان ، رأى خزانة ثياب من خشب قديم ـ ولكنه فاخر ـ حدس أنها من بقايا أثاث « كوماكو » حين كانت فى طوكيو . وكان الفرق واضحا بين الخزانة وطاولة الزينة الرخيصة ، التى استقرت بجوارها ، تحمل أدوات التجميل التى تستعملها فتاة « الجيشا » ..

وعادت « كوماكو » بالفحم ، وهى تغنى مبتهجة ، وقالت : « جئت بالفحم من حجرة المريض .. لا تجزع ، فالنار تقضى على الجراثيم ! » .. وأخذت ترص الفحم فى المدفأة ، وشعرها الأسود متهدل ، وهى تروى قصة ابن معلمة الموسيقى .. كان مريضا بالسل ، فلما اشتدت به العلة ، جاء ليقضى نحبه فى بيت أمه . وكانت الأم من فتيات « الجيشا » فى (كيوتو) ـ عاصمة اليابان القديمة ـ ثم تحولت الى معلمة للرقص والموسيقى ، ولكنها أصيبت بالنقرس ـ حين بلغت الأربعين من عمرها ـ فجاءت تقيم فى القرية ، التماسا للعلاج بمياهها المعدنية ..

وكانت « كوماكو » تتكلم ببساطة ، ولكنها لم تذكر شيئا عن الفتاة التى رافقت المريض من طوكيو ، ولا عن سبب وجودها فى البيت .. ولكنه حين هبط الى الطابق الأسفل ، لمح فى حجرة الاستقبال آلة موسيقية تدعى « السامیسن » ، وفجأة سمع صوتا يقول : « أتسمحين لى بالدخول يا كوماكو ؟ »

وعرف فى الصوت الصافى صوت « يوكو » ، رفيقة القطار .. وما لبث أن رآها أمامه . وألقت الفتاة عليه نظرة خاطفة ، ثم اختفت فى داخل البيت .. ورافقته صورة نظرتها طيلة الطريق الى الفندق . كانت نظرة باردة ، أشبه بضوء يلوح من بعيد فيثير الخيال ! .. والتقى عند الفندق بمدلكة عمياء عجوز ، فدعاها الى تدليكه . ورافقته المرأة الى حجرته ، وساد السكون المكان فترة ، والمرأة تزاول مهمتها . وما لبثت ان قالت : « ليس جسمك بدينا ، ولا هو نحيف .. يبدو أنك

لا تكثر من تعاطى الخمر ! » .. وترامت اليهما أنغام من غرفة بعيدة ، تصدر عن آلة « السداميسن » ، فتساءل شيمامورا ؛ ليبدد الصمت : « ترى من التى تعزف ؟» .. فأجابت العمياء : « من الممكن معرفة فتاة الجيشا من عزفها ! »

– وهل بينهن عازفات ماهرات .. هنا ؟

– لعل « كوماكو » أحذقهن ، فهى – برغم صغر سنها – بلغت مستوى عاليا . انك تعرفها بلا شك !

– لست أعرفها معرفة وثيقة ، ولكنى قدمت بالأمس فى القطار مع ابن معلمتها !

– لقد طال مرض المسكين فى طوكيو ، ويقال أن « كوماكو » أصبحت من فتيات الجيشا – فى الصيف الماضى – لتوفير نفقات علاجه !

– وما شأن « كوماكو » ونفقات علاجه ؟

– ألا تدرى أنهما كانا خطيبين ؟

ودهش شيمامورا لسماع هذا النبأ من المدلكة العمياء ، ولم يستطع أن يصدق أن « كوماكو » قد باعت نفسها من أجل هذا الفتى العليل ، الذى كان بعيدا عنها فى طوكيو . وأراد أن يستدرج العمياء كى تمضى فى الحديث ، ولكنها لاذت بالصمت .. وبعد أن تركته ، وجد نفسه يفكر فى « كوماكو » ، ويترز أن يسألها عن حقيقة علاقتها بهذا الفتى العليل : هل كانت خطيبته حقا ؟ .. وماذا كانت علاقته بالفتاة « يوكو » ؟ .. وأحس بالبرد يسرى فى أوصاله ، فلما انتبه الى نفسه ، وجد أن العمياء قد تركت نافذة غرفته مفتوحة .. وكان الليل قد أقبل ، والريح الباردة تهب من ناحية الجبل ..

وكان الفندق قد أعد فى تلك الليلة اجتماعا ، للتأهب لفصل التزحلق على الجليد ، دعا اليه بعض فتيات « الجيشا » ومن بينهن « كوماكو » . فلما انتهى الاجتماع ، جاءت الفتاة الى حجرة « شيمامورا » فأشعلت المدفأة ، وربتت خده ،

وهى تقول : « مالى أراك شاحب اللون الليلة ؟ » . وكانت قد أسرفت فى احتساء شراب « الساكى » (١) ، فبدت ثملة قليلا .. وجلست الى جانب « شيمامورا » فى الفراش تعابثه ، فسألها : « متى بدأت حياتك كفتاة جيشا ؟ »

– منذ شهر يونية . وقد فكرت فى أن أذهب الى ثغر (هاماماتسو) .

– كى تتزوجى ؟

وأحنت رأسها موافقة . وذكرت أن ثمة رجلا كان يلح عليها فى الزواج ، ولكنها لم تستطع أن تحبه ، وقد وجدت عناء كبيرا فى الوصول الى قرار بشأنه .. فســـألها شيمامورا : « مادمت لم تحبيه ، فلماذا لم تقررى الابتعاد عنه فى الحال ؟ »

– لم يكن الأمر بمثل هذه البساطة !

– يبدو أن فكرة الزواج من « أى » رجل ، كانت تروق لك !

– لا تكن قاسيا فى حكمك ! بل كنت أود تدبير كل شىء حولى ، كى لا تواجهنى أية مشكلات أو تعقيدات .

وسكت شيمامورا لحظة ، ثم سألها : « هل كان بينك وبين ذلك الرجل من (هاماماتسو) عـلاقة ما ؟ » .. فأجابت فى شىء من الحدة : « أتظننى كنت اتردد فى الزواج منه ، لو كانت هناك علاقة بيننا ؟ الواقع انه هددنى بأننى طالما بقيت هنا ، فلن يسمح بزواجى من أى رجل آخر ! »

– ولكن ماذا كان يستطيع أن يفعل وهو فى ذلك المكان النائى ؟

وتمطت كوماكو وهى تشعر بالدفء فى الغرفة ، ثم قالت وهى تضحك : « كنت اظن فى ذلك الوقت أنى حامل ! »

---

(١) « الساكى » هو الشراب التقليدى فى اليابان ، وهو نوع من الخمر يصنع من الارز ، ويشرب دافئا بعد تسخينه .

وكورت جسمها كطفلة صغيرة ، ولاذت بأحضـــانه وقد غلبها النعاس .

● ●

● **عندما** استيقظ « شيمامورا » فى الصباح ، وجـدها جالسة فى الفراش تكتب شيئا على ظهر مجلة قديمة . وحيته قائلة : « لا أستطيع الذهاب الى منزلى الآن . وقد تظاهرت بالنوم حين جاءت الخادم عند الفجر لتضع الفحم فى المدفأة . ويبدو أننى كنت ثملة قليلا ليلة الأمس ، فنمت نوما عميقا » .. فنهض شيمامورا من فراشه وهو يقول : « هيا بنا الى الحمام » ، فقالت : « لا أستطيع .. فقد يرانا بعض الخدم فى الصالة » .

وذهب وحده .. فلمـا عاد ، وجدها منهمكة فى تنظيف الحجرة ، وقد لفت منديلا حول رأسها ، حتى لا يصل الغبار الى شعرها ، فجلس الى جانب المدفأة يدخن .. وعندما سقط رماد السيجارة على الحصير ، جمعته « كوماكو » فى منديل ، وأحضرت منفضة للرماد .. وضحك « شيمامورا » **وقال لها :**
« لو كان لك زوج ، لما كففت عن زجره طول الوقت ! »

ـ كلا ، بل كنت أعنى به طول الوقت ، فلهذا خلقت !

وجلسا يتناولان الافطار ، وأشعة الشمس تغمر الغرفة .. وتذكر « شيمامورا » ما قالته المدلكة العمياء عن مهـارة « كوماكو » فى الموسيقى ، فاقترح عليها أن تعزف له فى حجرته .. وأطاعت ، فاتصلت بمنزلها تليفونيا ، طالبة ارسال آلة العزف ، وبعض الملابس . وسألها : « هل أنت مخطوبة حقا لابن معلمتك ؟ »

ـ متى سمعت هذا ؟

ـ سمعته بالأمس .

ـ انك رجل غريب الأطوار حقا .. لماذا لم تســـألنى بمجرد سماعه ؟

ـ انك تغيرين مجرى الحـــديث ، دون أن تجيبى عن سـؤالى !

ـ لست أغير مجرى الحـــديث .. ولكن هل صدقت ما سمعت ؟

ـ لم أصدق كل ما سمعت ، ولكنهم قالوا انك أصبحت من فتيات « الجيشا » لتتمكنى من دفع أجر علاج ذلك الفتى العليل !

ـ هذا الحديث يبدو كقصة فى مجلة رخيصة ، ولكنـه غير صحيح . فلم أكن مخطوبة للفتى فى يوم من الأيام ـ ولو أن الناس يظنون ذلك ! ـ ثم اننى لم أصبح فتاة « جيشا » لأساعد أحدا . ولكن الواقع أننى أدين لأمه بالكثير ، فكان لزاما أن اؤدى لها بعض هذا الدين .

ـ أن حديثك أشبه بالألغاز !

ـ سوف أخبرك بكل شىء ، وفى صراحة : لقد راقت للأم ـ فى فترة ما ـ فكرة أن أتزوج من ابنها ، ولكن الأمر لم يتعد حدود التفكير ، فلم تفاتح أسرتى فى الأمر بكلمة واحدة ، وان كنا أدركنا ـ بطريقة ما ـ ما كان يجول بفكرها .. هذا كل ما فى الأمـر !

ـ اذن فقد كان هناك نوع من الارتباط بين الأسرتين ؟

ـ كان شيئا من هذا القبيل . ولكنا عشنا معظم حياتنا متبـــاعدين . فلما ذهبت الى طوكيـو لأتدرب على فنـون « الجيشا » ، كان ذلك الفتى هو الوحيـــد الذى ودعنى فى المحطة ، وقد كتبت ذلك فى أول صفحة من أول مفكرة لى .

ـ لو أنكما عشتما معا ، لكان من المحتمل أن ينتهى الأمر بكما الى الزواج ؟

ـ أشك فى ذلك .. وعلى أية حال ، فلا حاجة بك لأن تفكر فى هذا ، والفتى مشرف على الموت !

ـ وهل من الصواب أن تقضى لياليك بعيدة عن البيت ، فى مثل هذه الظروف ؟

ـ ليس من حقك أن توجه الى هذا السؤال ! .. وكيف يحق لرجل مشرف على الموت أن يتحكم فى حياتى ؟

ولم يحر « شيمامورا » جوابا .. ولكنه تعجب من أنها لم تذكر كلمة واحدة عن الفتاة « يوكو » ! .. وبصدد هذه الفتاة يوكو ، التى كانت تعنى بالفتى المريض فى القطار كما لو كانت أمه ، أو زوجته : ماذا يكون شعورها حين تأتى بملابس لكوماكو فى غرفة رجل غريب بالفندق ، وهى ولا شك تدرك انه كانت ثمة علاقة ـ من نوع ما ـ بين « كوماكو » والفتى العليل الذى جاءت برفقته من طوكيو ؟

ولم يوقظ شيمامورا من أفكاره غير صوت « يوكو » الصافى ، ينادى من خارج الحجرة : « كوماكو ، كوماكو ! » . وأسرعت كوماكو خارجة ، وهى تقول : « شكرا جزيلا لك يا يوكو ، اذ جئت بحاجياتى بنفسك ، ولا شك أن حملها كان ثقيلا عليك ! » .. وبعد أن انصرفت « يوكو » ، تناولت كوماكو آلة « الساميسن » ، وبدأت تشد أوتارها فى مهارة ودقة ، ثم أخذت مجموعة من « النوتات » الموسيقية ، جعلت تقلب فيها لتختار ما يروق لها ، فقال شيمامورا فى استغراب : « هل تتمرنين على هذه النوتات بنفسك ؟ »

ـ أنا مضطرة الى ذلك ، فلا يوجد هنا من يدربنى ..

ـ وماذا تفعل معلمة الموسيقى التى تعيشين معها ؟

ـ انها مصابة بالشلل ، ولا تملك مساعدتى .. ولا حتى بالارشادات الشفوية .. بل انها تتضايق اذا استمعت الى العزف على « الساميسن » دون أن تستطيع أن تبدى رأيا !

ـ وماذا عن الغناء ؟

ـ لست أحب الغناء .. لقد تعلمت بعض الأغانى القديمة بمصاحبة الرقص ، وهذه أستطيع ترديدها بسهولة . أما

الأغانى الحديثة فانى أحاول أن أتعلمها من الاذاعة ، ولكنى لا أدرى الى أى حد أحسن أداءها ، سيما واننى أحس بالخجل فى حضرة الغرباء .. أما اذا غنيت لشخص أعرفه جيداً ، فيخيل الى أننى أجيد الغناء ، وخصوصاً اذا اشترك معى هذا الشخص !

ونظرت الى « شيماموراً » نظرة ذات معنى ، وكأنها تقول له أنها على استعداد لأن تغنى له ، اذا صاحبها . لكنه أحس بالخجل ، لأنه لم يكن يحسن الغناء . فلما انتظرت الفتاة طويلا ، دون أن يقول شيئا ، عضت على شفتها السفلى ، ثم وضعت الآلة الموسيقية على ركبتيها ، واختارت احدى « النوتات » الموسيقية ، وهى تقول : « لقد تدربت طويلا على هذه القطعة » .. واذ بدأت العزف على « الساميسن » ، أحس شيماموراً برعشة تسرى فى أوصاله ، وتملكه شعور من الاحترام والتقدير ، ولم يسعه الا أن يستسلم للأنغام ، تعزفها « كوماكو » فتتلاعب بمشاعره كيفما تشاء !

.. انها لم تكن غير فتاة « جيشا » فى قرية جبلية نائية .. شابة لم تكد تبلغ العشرين .. ورغم أنها كانت تعزف وتغنى فى حجرة صغيرة ، فانها كانت تؤدى دورها باتقان ، كما لو كانت فوق مسرح كبير ، فى مواجهة جمهور غفير .. واذ رفعت عقيرتها بالغناء ، أحس « شيماموراً » بالرهبة والزهو ، وكأنها تغنى له وحده !

وعندما انتهت من أغنيتها ، شعر بالراحة ، وحدثته نفسه بأن المرأة مشغوفة به .. ثم تناولت « الساميسن » مرة أخرى ، وبدأت تعزف مقطوعة جديدة ، وتغنى بصوت عذب ، دون أن تحسب حسابا لمضى الوقت ، اذ لم تعد تفكر فى العودة الى منزلها قبل مطلع النهار ، كما اعتادت أن تفعل من قبل .. وأخيرا نهضت من مكانها ، متأهبة للانصراف ، ولكنها عادت فجلست فى الشرفة ، فى تكاسل ، وهى تنظر الى

الجبال المغطاة بالثلوج ، وقالت : « لقد بدأت طلائع الشباب تأتى للتزحلق على الجليد » .. وأضافت كما لو كانت تحدث نفسها : « ان النزلاء يتعجبون دائما ، حين يقابلون بعض فتيات الجيشا فى الجبال ، وكأنهم لا يتصورون أنهن يستطعن ممارسة هذه الرياضة مثلهم ! » .. فقال شيماموراً : « أحب ان أراك فى ملابس التزحلق على الجليد ! » .. فقالت : « ان موسم التزحلق على الجليد مرهق لنا حقا ، فالفنادق تزدحم بالنزلاء ، الذين يحدثون صخبا وضجيجا لا ينقطعان طول المساء .. ثم يطلبون أن نلتقى بهم فى الجبال أثناء النهار !.. اننى أفكر جديا فى أن أمتنع عن التزحلق على الجليد هذا العام . »

وعندما انصرفت ، خرج « شيماموراً » الى الشرفة ليرقبها وهى تسير فى الطريق المنحدر ، المؤدى الى القرية . وكانت السماء ملبدة بالغيوم .. وما لبث المطر أن انهمر بغزارة .

● ◎

◎ **وفى** اليوم التالى ، شعر « شيماموراً » بأن وقت عودته الى طوكيو قد حان ، قبل أن يزدحم الفندق بهواة التزحلق على الجليد ، فأرسل يستدعى « كوماكو » فى المساء ، ليودعها قبل رحيله .. **وكانت الليلة صافية ، مقمرة ، شديدة البرد ، ومع ذلك فقد جاءت « كوماكو » ـ حوالى الساعة الحادية عشرة ـ وأصرت على أن يخرجا للنزهة قليلا ، بين أشجار الأرز . فلما تردد هو ، بسبب البرد ، جذبته فى شىء من العنف !..** وكان الطريق المنحدر مغطى بطبقة سميكة من الجليد ، وبدت القرية الصغيرة هادئة تحت السماء الباردة .. فقالت كوماكو : « هيا بنا نذهب الى المحطة ! »

ـ هل أنت مجنونة ؟ ان المسافة تتجاوز كيلومترين ، فكيف نذهب ونعود فى هذا البرد القارس ؟

– انك سوف تعود الى طوكيو قريبا ، فدعنا نلق نظرة على المحطة !

واضطر الى أن ينزل عند رغبتها ، فلما عادا الى الفندق كان « شيمامورا » يحس بأوجاع فى جميع أجزاء جسمه .. وجلست « كوماكو » على الحصير الى جانب الموقد وقد بدا عليها الضيق ، فلما عرض عليها الذهاب معه الى الحمام ، رفضت .. فذهب وحده .. وحين عاد وجدها قد أعدت له فراشه الى جانب المدفأة ، وجلست عابسة الوجه دون أن تنطق بكلمة ، فسألها عما بها .. وأجابت : « لا شىء .. اذهب أنت الى فراشك ، ودعنى أجلس هنا لحظة .. بل انى سأجلس هكذا حتى الصباح ! »

وساءل شيمامورا نفسه : أكانت الفتاة نادمة مثلا لأنها تورطت فى علاقتها مع واحد من نزلاء الفندق ؟.. أم أنها كانت تجاهد للتحكم فى عواطفها قبيل افتراقهما ؟.. واذ طال الصمت بينهما ، قالت : « أرجو أن تعود الى طوكيو ! » . لكنه لم يكد يصارحها بأنه اعتزم الرحيل فى الغد ، حتى صاحت فى دهشة ولوعة ، وكأنها لم تكن تتوقع هذا الرد : « لماذا تبغى العودة بهذه السرعة ؟ » ، وحدقت فى وجهه برهة ، ثم انتفضت فى انفعال ، وألقت بنفسها فى أحضانه ، قائلة : « حرام أن تقول هذا !.. انهض !.. قلت انهض ! » .. ومضت تردد مثل هذه الكلمات – فى هذيان محموم – وهى تضمه الى صدرها فى عنف ، وقد نسيت ما قالته له قبل لحظات ، عن توعك صحتها .. وعندما فتحت عينيها ، بعد برهة ، كانت الدموع تترقرق فيهما .. وقالت فى هدوء واستسلام : « من الخير أن ترحل الى طوكيو غدا ! »

● ●

● **بينما** كان « شيمامورا » يعد حقيبته ليستقل قطار الساعة الثالثة – من بعد ظهر اليوم التالى – استدعت

صاحبة الفندق « كوماكو » .. وسمعهما تتحدثان فى قاعة الجلوس ، فأدرك أن صاحبة الفندق تحاسبها على الساعات التى قضتها معه . وبهت عندما تبين أن « كوماكو » أبت أن تحسب الأوقات التى كانت توافيه فيها دون أن يطلبها !.. فحرك عواطفه أنها كانت تغلب الصداقة على العمل !

ورافقته الفتاة الى المحطة .. وراحا يذرعان الرصيف ، فى انتظار القطار ، فقال يبدد وحشة الصمت المتوتر : « لم يزد الجليد كثيرا عما كان يوم قدمت ! » .. **ولكنها كانت تفكر فى أمر آخر ، اذ بادرته قائلة : « ما أحسبك تهتم بالمال ، فان لديك منه الكثير ! » .. ثم تحولت تتفرس فى وجهه ، وسألته : « لماذا لا تطاق شاربك ؟ »**

وضحك لاضطراب أفكارها .. وفجأة ، قالت : « اسمع ! .. الغربان تنعق !.. لكم يزعجنى نعيقها ! » ، وراح جسدها يرتعد بعنف !.. ولاح لهما — على حين غرة — شبح امرأة تقبل من القرية مهرعة ، حتى اذا اقتربت ، تبينا أنها « يوكو » .. وأقبلت نحوهما ، وهى تصيح « كوماكو .. يوكيو ! » .. ثم تعلقت بكوماكو كطفل مذعور ، وهى تهتف بها : « ان حالة يوكيو قد ساءت .. تعالى حالا ! » .. فأغمضت « كوماكو » عينيها ، وقد شحب لونها ، وتجلى عليها الألم .. ولكنها — مع ذلك — هزت رأسها فى اصرار عجيب ، وقالت : « لا أستطيع الذهاب الآن ! »

ودهش شيمامورا ، وقال : « لا حاجة بك الى البقاء معى ! » .. فصاحت : « ليس من الصواب أن أذهب .. كيف لى أن أعرف أنك ستعود ثانية ؟ » .. وحاولت « يوكو » أن تستعطفها ، ولكنها دفعتها عنها ، قائلة فى غضب : « اتركينى الآن ! » .. فظلت الفتاة تحملق فيها بعينين جامدتين ، وكأنما هبط على وجهها قناع أخفى كل تعبير ، فلم يدر « شيمامورا » أكانت غاضبة ، أم مندهشة ، أم آسفة حزينة لتصرف

صاحبتها !.. واذ فطنت « يوكو » الى أنه كان ينظر اليها ، هتفت فى استعطاف ، وان ظل وجهها جامدا : « هلا سمحت لها بالانصراف ؟ »

قال : « من الواجب أن تذهب طبعا .. هيا ياكوماكو ! »

وبان الغضب على « كوماكو » ، فدفعت صاحبتها بعيدا عنـــه ، وتشبثت بذراعه بعنف ، تمنعه من أن يستدعى « التاكسى » الذى كان يقف أمام المحطة .. فقال ليوكو : « سأرسلها فورا .. ولكن يحسن أن تنصرفى أنت الآن ، حتى لا يفطن الناس الى ما بينكما ! » .. فأحنت « يوكو » رأسها ، وأسرعت نحو القرية ، و « شيمامورا » يعجب من الحزن الذى طغى عليها .. وما ان ابتعدت ، حتى قالت كوماكو : « لن أعود الآن الى البيت ! » .. فداخله شىء من الاستهجان ، وقال : « ولكن الرجل مشرف على الموت ، وقد جاءت الفتاة تستدعيك ، لأنه يود رؤيتـك قبل أن يموت .. اذهبى ، والا فستندمين بقية عمرك ! »

ــ انك لا تفهم .. لست أريد أن أرى انسانا يموت !

ولم يدر أكانت هذه قسوة ، أم هى دليل حب أو شعور مرهف .. وأخلدت الفتـــاة للصمت برهة ، بينما راحت الدموع تنحدر على خديها ، ثم قالت فى خفوت : « انك رجل طيب حقا !.. الا تضحك منى اذا أنا أرسلت اليك مذكراتى ؟ »

.. وأحس شيمامورا بفيض من عاطفة لم يستطع تحديد كنهها ، فصمت ولم يحـاول حملها على الانصراف .. حتى جاء القطار ، وظلت « كوماكو » تلوح له بيدها ، حتى غاب القطار داخل النفق الطويل فى الجبال .. وسبح الخيـال بشيمامورا ، فشعر كأنه فى مركبة سحرية تطير به فى الفضاء ، بعيدا عن كل زمان ومكان .. واصبح صوت عجلات العربة الرتيب فى أذنيه كأصوات البشر ، يأتيه حينا كصوت « يوكو » العذب ، يتردد كالصدى بين الجبال .. وأحيـانا كأنفاس

« يوكيو » الأخيرة ، وهو يعالج سكرات الموت .. ثم كصوت « كوماكو » وهى تقول له : « أنت رجل طيب القلب !.. أنت رجل طيب القلب ! »

وأحس فجأة برغبة فى البكاء ، اذ أدرك أنه قد ودع المرأة الوداع الأخير ، وأنه كان فى طريقه الى طوكيو ، ليحيا حياته الرتيبة .. بعيدا عنها !

● ●

● **كان** موسم نشاط حشرات العثة لوضع بيضها قد حان .. ولاحظ « شيمامورا » ـ حين استقر فى الفندق الصغير بالقرية الجبلية ، فى زيارته التالية لها ، بعد نحو عام ـ ان بعض الحشرات قد استقرت جامدة ، (بعد أن وضعت البيض) ، على مصابيح الزينة فى الشرفة ، وعلى الستائر التى أسدلت على النوافذ لتصد أشعة شمس الصيف .

ومر بحجرة الاستقبال ـ وهو عائد من الحمام ـ فرأى امرأة تبيع بعض السلع . كانت فى حوالى الأربعين ، تتخلل وجهها التجاعيد ، وان بدت بشرتها ـ عند بداية عنقها وصدرها ـ ناصعة البياض .. وما ان انصرفت ، حتى عرف ـ من صاحبة الفندق ـ انها من نساء « الجيشا » ، وقد تقدم عمرها ، وترهل جسمها .. وقالت صاحبة الفندق ، وهى تسخن بعض كعكات مستطيلة ، على المدفأة : « الا تأخذ واحدة ؟ .. لقد جاءت بها المرأة ، احتفالا بانتهاء خدمتها فى الجيشا ! » .. وتناول « شيمامورا » كعكة ، أخذ يقضمها متلذذا ، وقد اعتزم أن يسأل « كوماكو » عن تلك المرأة ، اذا التقى بها ..

ووافته « كوماكو » فعلا ، فى مساء ذلك اليوم . وتأملته لحظات فى برود ، ثم سألته : « لماذا جئت ؟ » .. واذ أجابها : « جئت لأراك » ، قالت فى فتور : « انك لا تعنى ما تقول .. وأنا أكره القادمين من طوكيو ، لأنهم يكذبون ! » .. وما ان

استقرت على الحصير أمامه ، حتى زايلها الفتور ، وقالت فى صوت حنون : « لن أودع أحدا ما حبيت ، فلست قادرة على أن أصف لك شعورى بعد أن تركتنى فى المرة السابقة ! » .. ووجد نفسه يسألها : « ماذا جرى له ؟ » .. قالت وقد أدركت من المعنى بسؤاله : « لقد مات .. طبعا ! »

ـ مات وأنت تودعيننى ؟

ـ لم يكن هذا هو السبب فى اننى لم أخف اليه .. وما كنت أتصور اننى أكره وداع شخص قدر ما كرهت وداعك يومذاك !

وأحنى « شيمامورا » رأسه ، بينما استطردت تقول : « أين كنت فى الرابع عشر من فبراير ؟ .. لكم انتظرتك فى ذلك اليوم ، ولكنى ادرك الآن انه ما كان يجب ان أصدق وعدك ! »

وكان قد وعدها حقا بأن يأتى فى ذلك اليوم ليشهد الثلوج ، وليشارك أطفال القرية ـ اذ كان اليوم عيد صيد الطيور لدى الأطفال ـ وقالت أنها ظلت تنتظره فى ذلك اليوم ، حتى انها لم تلب برقية وصلتها من معلمة الموسيقى ، التى كانت تعانى التهابا رئويا ، فى مدينتهما الأصلية ، على الساحل .. وسألها : « وهل تحسنت صحتها ؟ » .. فقالت : « لقد ذهبت اليها فى المساء ، لأمكث بجوارها .. ولكنها ماتت ! »

وتحولت تمسح المائدة القصيرة السيقان ، وهى تروى له قصة « كيكويو » ـ امرأة « الجيشا » التى اعتزلت المهنة ـ وقالت : « لسوف أشعر بالوحدة بعد رحيلها ، فالأمور قد ساءت ، ولم تعد نساء الجيشا متعاونات ، بل أصبحت كل واحدة تفكر فى نفسها فقط ، نتيجة مجىء عدد من الفتيات من بلاد مختلفة .. كانت « كيكويو » طيبة ، مرحة ، بمثابة الروح فى كل مكان تحل به .. تزوجت ، ولكن زواجها أخفق ، فعادت الى المهنة .. أتعرف المطعم الجديد ، فى منتصف الطريق الى الجبل ؟ .. لقد بناه لها أحد المعجبين ، ولكنها

أعرضت عنه ، اذ صادفت رجلا آخر أحبته ، وداخلها الأمل فى أن يتزوجها ! » .. **وأمسكت لحظة مترددة ، ثم قالت : « ولكنه تخلى عنها ورحل .. أهذا ما يحدث عادة ، عندما تقع امرأة فى غرام رجل ؟ .. انها لم تستطع العودة الى مهنتها ، ولا استطاعت أن تتولى ادارة المطعم بعد أن رفضته ، ولم يعد أمامها الا أن ترحل ، لتبدأ حياة جديدة فى مكان آخر ! .. مسكينة ، كانت ضعيفة مع الرجال ! .. من الحماقة أن تفقد المرأة صوابها كلما أظهر لها رجل الحب ! »**

ونهضت فأغلقت النافذة ، وهى تقول : « ان كيكويو تعلم كل شىء عنك .. وهى التى أخبرتنى بوصولك ! .. أتدرى ما شعورى الآن ؟ » .. ثم عادت تفتح النافذة ، وجلست على حافتها .. ولم تمض فى الحديث ، فلما طال الصمت ، قال شيمامورا : « انك لم تتغيرى قط ! »

ــ هكذا يقول الجميع .. كنت فى السادسة عشرة حين جئت ، وها قد بلغت العشرين .. ولكن الحياة تمضى كعهدها ، دون تغيير .. أما علمت أننى بدلت مسكنى ؟ .. انتقلت الى بيت يبيع أصحابه الحلوى والسجاير فى مدخله ، وليس فيه من بنات « الجيشا » سواى .. لقد تعاقدت معهم على العمل ، ولكنهم يحسنون معاملتى ..

ــ ما أحسبك تستطيعين استئجار بيت خاص بك ..

ــ هكذا يقول الجميع .. ان فى البيت أربعة أطفال ، أحبهم ويحبوننى .. ولكنهم لا يدعون شيئا فى مكانه ، فأظل طيلة النهار أرتب الأشياء ، ليعودوا فيبعثروها .. ولكنى أجد متعة فى هذا .. أتفهم شعورى ؟

وقال انه يفهمه ، فصاحت : « اذن صفه لى ! .. ها انتذا تعجز عن وصفه ، لأنك لا تفهمه ! .. انك رجل ذو مال ، ولكن لا شخصية لك ، ولست تفهم شيئا عنى .. اننى أعيش فى وحدة موحشة ، فلماذا تتدخل فى حياتى ؟ .. عد الى طوكيو ! »

.. وكانت لهجتها تفيض أسى وعتابا ، وأغمضت عينيهـا ـ كأنما خشيت أن تشيا بألمهـا ـ حتى اذا استطاعت العودة للكلام ، قالت : « يكفى أن تأتى مرة واحـدة فى السـنة .. أتعدنى بأن تأتى مرة واحدة ، ما دمت هنا ؟ » .. واقتربت منه ، فضمها اليه ، وسـألها : « ألا تشعرين بالبرد ؟ » .. ودار بخلده انه حضر ثلاث مرات فى أقل من عامين ، وكان ـ فى كل مرة ـ يلمس تغييرا فى حياة « كوماكو » ، وفى جسمهـا .. وكأنما أدركت ما بخاطره ، فقـالت : « لقد أخـذت فى السمنة ، منذ كففت عن التـدخين ! » .. وكان قد لاحظ أن صدرها ازداد امتلاء .. وفطنت الى نظراته ، فضمت ثدييها بين يديها ، وقالت : « ان أحدهما أكبر من الآخر ! »

ـ لعل ذلك راجع الى انه تعود العبث بواحد دون الثانى !

وتولاها الغضب ، وصاحت : « من ؟ .. ما كان لك أن تقول هذا ؟ » .. وما لبثت أن روت له كيف أن الطبيب سألها أن تعرى صدرها ـ عندما فحصهـا وهى تتأهب لحيـاة « الجيشا » ـ حتى يتأكد من سلامتها من السل ، فبكت وهى تكشف صدرها مضطرة ، بينما ضحك الطبيب لسذاجتها ، وطمأنها الى سلامة صدرها .. وذكرت أنها تغتسل يوميا فى الينابيع الساخنة ، الشهيرة بأملاحها المعدنيـة ، وتسير على قدميها ثلاثة كيلومترات ذهابا وعودة ، ولهذا ظلت سليمـة الصحـة ، قوية الجسم .. ولو أن لباس « الجيشـا » ـ والأحزمة التى تشد حول الخصر ـ قد جعلت بطنها ضامرة .. واستطردت قائلة : « لهذا أتساءل عما اذا كان من الممكن أن أنجب أطفـالا ! .. وهل فى وسع المرأة أن ترتبط برجل واحد ، تصبح له أشبه بزوجة ؟ »

كانت هذه أول مرة سمع فيها « شيمامورا » مسألة « الرجل الواحد » .. ولكنه شجعها على المضى فى الحديث ، فذكرت أنها ـ منذ كانت فى السادسة عشرة ـ عرفت رجلا ،

ولكنها لم تحبه ، ولا شعرت يوما بأنه قريب الى قلبها .. وكان ذلك بعد وفاة الرجل الذى أحسن اليها وسدد عنها ديونها الى بيت « الجيشا » ..

ـ معنى هذا أنك تعرفينه منذ خمس سنوات ، فلاشك أن شيئا من العاطفة قد تولد عندك نحوه !

ـ سنحت لى فرصتان لأقطع كل صلة به .. ولكنى لم أجد الجرأة الكافية ، فأنا ضعيفة الارادة ..

كان الرجل يعيش فى بلدتها الساحلية ، ولكنه لا يرتاح لوجودها هناك ، نظرا لوجود بيته وزوجته .. لهذا أرسلها مع معلمة الموسيقى ، حين انتقلت الى القرية الجبلية .. وكان كريما معها ، مما كان يجعلها تشعر بالحزن ، لأنها لا تملك أن تهبه كل حياتها .. وكان يكبرها بكثير .. **ومضت تقول : « اخال أحيانا أن فى وسعى التخلص منه ، اذا أنا تخليت عن الاستقامة .. »** .. فقال شيمامورا : « لا ينبغى أن تفكرى فى هذا ! »

ـ مهما أفكر فلن أجد الجرأة ، لأن هذا ليس من طبعى .. فأنا أحترم الجسد الذى أعيش فيه ، ولا أحب له أن يمتهن .. واذا ذهبت الى حفل ولم أرتح الى من فيه ، تسللت هاربة .. ومع ذلك فأنا أكسب ما فيه الكفاية !

● ●

● **وفى** الصباح التالى استيقظت « كوماكو » مبكرة ، فأيقظت « شيمامورا » .. وفيما كانا يتحدثان ، تذكر « يوكو » ، فسألها عنها .. ورمته بنظرة سريعة ، ثم أشاحت قائلة : « انها تقضى معظم وقتها فى المقبرة ! » .. وبعد انصرافها ، وجد « شيمامورا » قدميه تحملانه الى مقابر القرية .. ورأى « يوكو » جاثية على حصير من القش ، بجوار قبر ابن معلمة الموسيقى ، وهى تعبث ببعض حبات الفاصوليا ، وتغنى

بصوتها الصافى الذى ازداد ما كان يزخر به من حزن شجى !

وفى ساعة الغروب ، وقف «شيماموراً» فى نافذة حجرته ، يرقب نهار الخريف وهو يحتضر .. وألفى ذهنه يتجه الى « يوكو » ، وأصداء غنائها الحزين تتردد فى سمعه . وعجب من نفسه ، اذ تذكر هذه الفتاة ـ والحنين يراوده الى رفيقة ، مع هبوط الليل ـ ولم يتذكر « كوماكو » ! .. وخيل اليه أن ذلك كان راجعا الى قربها منه ، فهى فى متناوله ، بدليل أنه كثيرا ما فكر فيها وهو بعيد عنها !

ودفعه السأم الى أن يأوى الى فراشه مبكرا .. واستغرق فى النوم ، حتى انه لم يفطن الى أن المطر ظل يهطل غزيرا طيلة الليل ، ولم ينبهه الى هذا سوى « كوماكو » ، عندما استيقظ فى الصباح .. فوجدها جالسة تقرأ .. وساءل نفســه اذ رآها ، أيحتمل أن تكون قد جاءت خلال الليل ، دون أن يشعر بها ؟ .. وتأمل ساعته ، فاذا بهـا تشير الى السادسة والنصف ، فقال : « أراك قد جئت مبكرة ! »

ـ لقد جاءت الخادم بالفحم ، واشعلت لك نار المدفأة ، فانهض !

واندست الى جواره فى الفراش ، فخطر له أنهـا صورة مثالية لربة البيت .. وأخذ يربت يدها فى رفق ، وهو يقول : « ولكن الشمس لم تشرق بعد ! »

ـ لقد نعمت بنوم عميق وأنت وحـدك .. كان منظرك مضحكا وأنت نائم ، ووجهك ممتلىء ـ بلا شارب ـ وبشرتك بيضـاء ...

ـ اذن ، فقد كنت تتفرسين فى وجهى وأنا نائم ؟ !

وابتسمت ، ثم تحولت ابتسامتهـا الى ضحك ، وهى تضغط يده ، وقالت : « لقد اختبأت فى خزانة الملابس ، فلم تشعر الخادم بوجودى ، حين أحضرت الفحم ! » .. وأزاح الغطاء ، ثم قال : « ما أبرد الجـو ! .. هل اسـتيقظ أهل

الفندق ؟ » .. فأجابته : « لا أدرى ، فقد جئت من الباب الخلفى .. هناك طريق بين التلال ، أمنت فيه عيون الرقباء .. ولم يشعر أحد بدخولى الى هنا ! »

ـ لابد أنك استيقظت جد مبكرة !

ـ لم يواتنى النوم ليلة أمس .. يحسن بى أن أنصرف الآن ، فعد الى نومك !

ولكنه وثب من الفراش ، وسار الى النافذة ، فأطل على الطريق التى سلكتها عبر التلال .. حتى اذا ارتد ، وجد « كوماكو » جالسة الى جوار المدفأة ، فى دعة ورقة ـ بعد أن نظفت الحجرة ورتبتها بسرعة وخفة ـ وقالت : « سأنصرف الآن ، فلدى أعمال كثيرة .. واليوم السبت ، وفيه تقام الحفلات .. فى الفندق حفلة الليلة ، ولكنهم لم يخبرونى الا مساء أمس ، بعد أن ارتبطت بحفلات أخرى .. فلن أراك الليلة غالبا ! »

ومع ذلك ، فانها لم تتعجل الانصراف ، بل صحبت « شيمامورا » الى حديقة الفندق ، ودلفت به الى شجيرات الغاب التى شقت طريقها ، خلالها ، الى باب الفندق الخلفى .. وعجب ـ فى نفسه ـ من سلوكها طريقا شاقة كهذه .. وواصلا السير حتى بلغا النهر ، فقال : « أتحبين أن نعبر النهر ؟ .. ان قبر خطيبك على الضفة الأخرى ! » .. فتوقفت « كوماكو » فجأة ، ونصبت قامتها ، وهى ترمقه غاضبة ، وقالت : « أتسخر منى ؟ .. ما الذى يدعو للذهاب الى المقابر ؟ .. ولماذا تسميه خطيبى ، وقد حدثتك عن حقيقة علاقتى به ، وقلت انه لم يكن خطيبى يوما ؟ »

ولم يكن « شيمامورا » قد نسى هذا .. ولكنه لم ينس ـ كذلك ـ انها أصبحت من فتيات « الجيشا » كى تدبر نفقات علاجه ! .. وتطلعت اليه الفتاة ـ اذ طال صمته ـ فابتسم ليخفى عنها خواطره .. وكأنما اطمأنت الى ابتسامته ،

فتأبطت ذراعه ، قائلة : « انك رجل طيب القلب ، ولكن شيئا ما يبعث الحزن فى نفسك ! .. ان أهل طوكيو معقـدون ، اذ يعيشـون فى ضجيج وصخب يمزقان أعصابهم ، ويفتتان مشاعرهم ! » .. فقال معقبا : « كل شىء فى الحياة يتفتت ! »

ــ حتى الحياة ذاتها ، تتفتت فى النهاية ! .. أتريد أن نذهب الى المقابر ؟ .. اننى لم أذهب الى هناك قط ، ولهذا أشعر بالذنب ، لاسيما بعد أن دفنت معلمة الموسيقى هناك .. ولكن ذهابى ــ بعد هذا التقصير ــ يكون تظاهرا ، وليس نابعا عن شعور بالوفاء .

قال : « انك أكثر تعقيدا منى ! »

ــ لماذا ؟ .. ألأنى أريد أن أكون صريحة معه بعد موته ، وقد كنت ــ طيلة حياته ــ أخشى مصارحته بالحقيقة ؟ !

وعبرا النهر ، ثم سارا محاذيين للسكة الحديدية ، حتى بلغا المقابر . كانت هناك نصب حجرية عبثت بها يد الزمن ، وتمثال للاله « جيزو » ، حارس الأطفال .. وما لبث أن برز من بين الاعشاب ــ النامية خلف التمثال ــ وجـه « يوكو » وكتفاها .. كان وجهها شاحبا ، واجما ، خاليا من أى تعبير .. وأحنت رأسها تحيى « شيمامورا » ، دون أن تنبس ببنت شفة .. وفجأة ، مر قطار بضـاعة ، فزلزل الأرض ، وأثار عاصفة من الدخان والغبار .. وبباب احدى عرباته ، وقف فتى يلوح بقبعتـه ، وهو يصيح : « يوكو ! .. يوكو ! » .. فصاحت الفتاة بدورها : « سايتشيرو ! » .. **وبدا صوتها رخيما ، حنونا ، فتذكر « شيمامورا » أول مرة رآها ، وهى تحدث ناظر المحطة .. وكانت رنة الحزن والوحشة واضحة فى ذلك الصوت ! .. وقالت يوكو ، بعد أن انجابت سحـابة الدخان : « هذا أخى ! » .. ثم نكست رأسها ، وركعت أمام القبر ، و « كوماكو » تلاحظهـا بعدم اهتمـام ، بينما كان « شيمامورا » يتأمل التمثال ذا الوجوه الثلاثة والأذرع الأربع!**

وانسحب « شيمامورا » و « كوماكو » ، وسلكا طريقا بين حقول الأرز ، أفضى بهما الى القرية .. ومرا ببيت معلمة الموسيقى ، فتساءل الرجل : « هل تقيم يوكو فى هذا البيت وحدها ؟ » .. فأجابت فى حدة : « لا أظن .. ولكنك تسأل عما لا يعنيك .. وقد أفسدنا عليها زيارتها للمقبرة ! »

ـ لا داعى لخلق المشكلات . أتظنين لقاءنا بها فى المقبرة ازعاجا ؟

● ●

● **وانتظرها** « شيمامورا » فى تلك الليلة ، فلم تحضر . وحوالى منتصف الليل ، أوى الى فراشه . ولكنه فوجىء بها ـ فى الساعة الثالثة صباحا ـ تقتحم الحجرة ، وترتمى عليه ، وهى تقول متلعثمة : « قلت اننى سأحضر .. وها قد حضرت .. حضرت كما وعدتك ! » .. وكان صدرها يعلو وينخفض ، وكأنها قامت بمجهود كبير ، فقال : « يبدو انك أسرفت فى الشراب .. كيف استطعت صعود التل ، وأنت بهذه الحال ؟ »

ـ لا أدرى ، ولكنى وعدتك بالحضور ، وها قد حضرت .. اننى أشعر بصداع !

وتزحزح ليفسح لها مكانا بجانبه . ولمست يده رأسها ، فأحس بأن حرارتها مرتفعة .. وقالت : « أتخشى أن أحرق الفراش ؟ .. حذار من أن تحترق أنت ! » .. وعادت تكرر : « وعدت بأن أحضر ، وها قد حضرت ! » .. ثم زحفت من الفراش على ركبتيها ، حتى بلغت الثلاجة ، وأخذت تعب الماء عبا .. ونهض « شيمامورا » فأضاء الحجرة ، ولكنها صاحت : « أطفىء النور ! » .. وما لبثت ـ بعد قليل ـ ان قالت : « ان معى مقصا .. هلا قطعتها لى ؟ »

ـ ما هذه التى تريدين أن أقطعها ؟

وأشارت الى الخيوط التى تثبت « باروكة » الجيشا الى رأسها ، وقالت : « هذه ! » .. وما ان قص الخيوط ، حتى

بدا على المرأة الهدوء ، وسألته عن الساعة . واذ علمت أنها تجاوزت الثالثة ، قالت : « حقا ! .. كنت قد وعدت بعض الناس بمرافقتهم الى الحمام ! » .. وأخذت تمشط شعرها ، وقد انساب غزيرا فاحما ، ثم تناولت « الباروكة » وهى تضحك قائلة : « لابد أن أذهب ، فلا يليق أن أتركهم ينتظرون ! » . وتعثرت وهى فى طريقها الى الباب ، ولكنها أصرت على الانصراف .. وعاد « شيمامورا » الى فراشه ، وهو يعجب من أنها جاءته فى السابعة صباحا ، ثم فى الثالثة بعد منتصف الليل .. مرتين فى أربع وعشرين ساعة ، وفى موعدين لا ترتقب فيهما فتاة « الجيشا » ، فما معنى هذا ؟

وغلبه النعاس ، دون أن يصل الى جواب !

● ●

● **انهمكت** الخادمات فى تزيين مدخل الفندق ، استعدادا لاستقبال النزلاء الذين تعودوا الحضور فى فصل الخريف .. واذ رأى رئيس الخدم أن « شيمامورا » وقف يرقب النشاط ، دفع اليه بثمرة من فاكهة تشبه الرمان ، قائلا انها تدعى « آكيبى » ، وتستخدم فى الزينة لجمال منظرها . **وبينما كان « شيمامورا » يتحسسها ويشمها ، لمح « يوكو » تجلس بجوار المدفأة فى البهو ، بينما كانت صاحبة الفندق تدفىء بعض زجاجات شراب « الساكى » . وكانت « يوكو » ترتدى (كيمونو) داكن اللون ، من قماش رخيص .. فسأل شيمامورا رئيس الخدم ، متظاهرا بعدم الاكتراث : « أهى تعمل هنا ؟ »**

ــ نعم يا سيدى ، نظرا لكثرة النزلاء .. انها فتاة غريبة الأطوار ، ولا تحب مقابلة النزلاء ، ولذا عهدنا اليها بالعمل فى المطبخ !

واذ عرف « شيمامورا » أن « يوكو » انضمت الى الفندق ، داخله زهد فى استدعاء « كوماكو » ! .. كان يشعر بفراغ فى

حياته ، لم تستطع أن تملأه ، برغم ما لمسه من حبها له . كان عالم « كوماكو » جميلا ، ولكنه بلا أمل ، لأنها كانت تسعى الى أن تعيش لشيمامورا وحده ، وهو لا يملك أن يجاريها .. ولهذا كان يشفق عليها ، وعلى نفسه !

ومع ذلك ، فقد ظلت « كوماكو » تزوره — فى غرفته — دون أن يستدعيها ، وتعرج عليه وهى فى طريقها الى الحمام ، وتتسلل من الحفلات لتأتى الى الحجرة ، فتسوى زينتها فى المرآة ، ثم تتأهب للانصراف ، قائلة : « والآن ، الى العمل ! .. اننى مشغولة جدا .. جدا ! »

ولكنها كانت لا تفتأ تشكو من متاعب العمل ، ومضايقات العملاء ، مما جعل « شيمامورا » يشعر بأنها كانت تكره عملها ، وتتمنى الهروب منه ، والبعد عن حياة الصخب والمجون .. ومع ذلك ، فان ضيقها من هذه الحياة كان يزيد من الاقبال عليها فى بيوت « الجيشا » ! .. **وذات مساء قالت له : « كلما جئت ، سألتنى الخادمات عما اذا كنت قادمة لك ، وهن يتغامزن .. ما تصورت قط أن الأقاويل تضايق المرء الى هذا الحد . ان الجميع يعلمون بعلاقتنا ، ولكن عمل الواحدة منا يتأثر اذا حفت الأقاويل بسمعتها ، لا سيما فى قرية صغيرة كهذه ! »**

وكان تماديها فى الصراحة الى هذا الحد جديدا على « شيمامورا » ، الثرى الذى لم يشعر يوما بالحاجة الى العمل ، وبالمضايقات التى تعترض لقمة العيش .. واستطردت « كوماكو » تقول : « لا قيمة لهذا ، فمن الممكن الحصول على عمل فى مكان آخر . ومع أن هذا الأمر قد يتكرر أينما أذهب ، فانه لا داعى للقلق .. ولست أشكو على اية حال ، فان الحب الحقيقى من نصيب النساء وحدهن ! »

وغضت بصرها ، وقد تضرج وجهها حياء ، فقال : « هكذا هى الدنيا ! » .. وتطلعت اليه ، وهى تضيف : « وكذلك

كانت على مر العصور ! » .. وفى أمسية أخرى كانت قد قالت له ان فى الفندق حفلا كبيرا ، قد لا يتيح لها أن توافيه فى غرفته . ولكنه لم يلبث أن سمع صوت « يوكو » الصافى يستأذنه فى الدخول .. ودفعت اليه بورقة ، وهى ترتعش باضطراب ، قائلة : « طلبت منى كوماكو أن آتيك بهذه ! »

وفض الورقة ، فاذا بها رسالة كتبت بيد مرتعشة ، لفرط الشراب ، وقد جاء فيها : « اننى أقضى وقتا طيبا ، وسط الصخب والشراب » !.. ولم تنقض عشر دقائق ، حتى جاءت « كوماكو » بنفسها ، وهى تترنح .. وقالت : « زعمت أننى ذاهبة لاحضار مزيد من الساكى ، وجئت .. لقد رآنى رئيس الخدم ، ولكنى لم أعد أحفل بما يقولون ! »

ـ ان جسمك يضطرم حرارة ، لفرط ما شربت !

ـ ولكن العمل يستدعينى .. هل قالت لك شيئا ؟.. انها شديدة الغيرة .. وقد تقدم على القتل يوما !

وأدرك انها تعنى « يوكو » ، وأنها ما جاءت الا لتطمئن الى أنه لم يحتجزها فى غرفتـــه .. ولكنه تجاهل ذلك ، وسألها : « أتعمل هذه الفتاة هنا ؟ »

ـ انها تأتينا بالشراب ، ثم تقف بباب القاعة تحملق فينا ، بعينين براقتين .. أظنك تحب هذا النوع من العيون ؟

وتغابى عن سؤالها ، قائلا : « لعل مسلكك لا يرضيها ! » .. وأثارتها عبارته ، فقالت : « ماذا تعنى ؟.. أحسبك تريد أن تنالها هى الأخرى !.. أترانى ثملة ؟ »

وتأملت نفسها فى المرآة ، ثم اندفعت خارجة !

● ●

● **انتهى** الحفل ، وساد الهدوء الفندق ، فلم يعد « شيمامورا » يسمع الا صوت الأطباق وهى تغسل فى

المطبخ . وأدرك حين لم تحضر اليه « كوماكو » ، أنها لا بد قد ذهبت مع بعض العملاء الى حفل آخر .. وما لبثت « يوكو » أن حملت اليه رسالة أخرى ، جاء فيها : « قررت عدم الذهاب الى البيت . سأحضر حفلا آخر ، وربما حضرت لأراك قبل عودتى الى المنزل » .. فابتسم شيماموورا ابتسامة باهتة ، وهو يشعر بالحرج أمام يوكو ، وقال لها : « شكرا لك .. سمعت أنك تساعدين فى الحفلات هنا ! » ، وألقت اليه نظرة سريعة من عينيها الجميلتين ، فأحس بارتباكه يزداد . كانت الفتاة تترك فى نفسه أثرا عميقا فى كل مرة يراها . واذ جلست أمامه الآن فى رزانتها وهدوئها ، شعر بأن حادثا هاما كان يوشك أن يقع ، وتكون هى أهم الأطراف فيه . فقال لها : « من الغريب أننى أراك كثيرا ولا أعرف عنك الا القليل : أول مرة رأيتك فيها ، عندما كنت ترافقين ذلك الرجل من طوكيو ، وقد تحدثت يومئذ مع ناظر المحطة عن أخيك . فهل تذكرين هذا ؟ »

واذ أجابت بأنها تذكره ، قال : « سمعت أنك تغنين فى الحمام ، قبل ذهابك الى الفراش ! »

ـ حقا ؟ هل يتهموننى بسوء السلوك الى هذا الحد ؟ ولكن من قال لك هذا ، أهى كوماكو ؟

ـ انها لا تقول شيئا عنك قط .. والظاهر أنها لا تحب الحديث عنك !

وحولت « يوكو » عنه وجهها وهى تقول : « ان كوماكو طيبة ، ولكن الحظ خانها فى حياتها ، فأرجو أن تحسن معاملتها » .

ـ ولكنى لا أملك ما أستطيع عمله لها !

وخيل لشيمامورا أن كلماته أثرت فى الفتاة تأثيرا شديدا ، فبدأ جسمها يرتعش من شدة الانفعال . وأشاح بوجهه عنها ، وهو يقول : « لعل الأصوب لى أن أعود الى طوكيو » !.. فقالت الفتاة : « أنا الأخرى سأذهب الى طوكيو قريبا ! »

ـ هل أراك فى طوكيو عند عودتى اليها ؟

ـ أرجو أن تفعل ذلك .

ـ وهل توافق أسرتك على ذلك ؟

ـ ان أخى الذى يعمل فى السكك الحديدية هو كل أسرتى ، وعلى هذا فاننى أقرر بنفسى ما أراه صالحا .

ـ هل تحدثت مع كوماكو فى هذا ؟

ـ مع كوماكو ! ؟.. أنا لا أحب كوماكو ، ولهذا لم أتحدث اليها .

ونظرت اليه الفتاة بعينين نديتين ، فرأى لأول مرة علامات الاستسلام ، وكأنها تضع مصيرها بين يديه .. ومن الغريب انه شعر ـ فى تلك اللحظة ـ بعاطفة قوية نحو « كوماكو » !.. وعاد يسأل الفتاة : « الا يخيفك الذهاب وحدك مع رجل لا تكادين تعرفينه ؟ »

ـ ولماذا يخيفنى هذا ؟

ـ الا ترين انه من المجازفة ان تذهبى الى طوكيو دون ان تدبرى لك مأوى ، وعملا ؟

ـ اذا كانت المرأة بمفردها فانها تستطيع أن تدبر امرها .. أتوافق على أن أعمل خادمة عندك ؟

ـ تعملين كخادمة ؟.. ماذا كنت تعملين فى طوكيو من قبل ؟

ـ كنت ممرضة .. الحق اننى كنت أفكر فى ان اصبح ممرضة ! .. ولكنى لم أعد راغبة !

وتذكر « شيمامورا » كيف كانت تعنى بابن معلمة الموسيقى فى القطار ، فقال : « يجب أن تقررى أمرا ، فإن هذا التردد لا يؤدى بك الى نتيجة » .

ـ التردد ؟ .. ان المسألة ليست مسألة تردد !

وأطلقت ضحكة عالية ، فبدا ضحكها ـ كصوتها ـ رائقا عذبا ، مس شغاف قلب « شيمامورا » للمرة الثانية . وقالت : « ليس هناك غير رجل واحد أستطيع أن أمرضه ، وقد مات هذا الرجل ! » .. ودهش « شيمامورا » لجوابها ، اذ لم يكن ينتظره ، فقال : « الآن فهمت .. وقد سمعت أنك تقضين معظم وقتك فى المقبرة .. فكيف تتركين القبر وتذهبين الى طوكيو ؟ »

ـ يؤسفنى هذا ، ولكنى أرجو أن تأخذنى معك !

ـ تقول كوماكو انك شديدة الغيرة . ألم يكن الرجل خطيبها ؟

ـ يوكيو ؟ .. هذا كذب !

ـ لماذا تكرهين كوماكو اذن ؟

ونظرت الى « شيمامورا » فى غضب ، ثم قالت : « كوماكو ؟ .. أرجو أن تحسن معاملتها ! .. انها تقول أن الأمر سينتهى بى الى الجنون ! » .. وتهدج صوتها ، واغرورقت عيناها .. ثم هرولت خارجة من الغرفة . وأحس « شيمامورا » برعشة من البرد تسرى فى أوصاله ، فقام يمشى فى الغرفة ، وفتح النافذة ، فوقع بصره ـ فى حجرة مقابلة ـ على « كوماكو » تلعب الشطرنج اليابانى مع بعض الضيوف .

وكانت الغيوم قد تكاثفت فى السماء .. وغادر « شيمامورا » حجرته الى الحمام ليغتسل ، واذا به يسمع صوت « يوكو » العذب ، الصافى ، يرتفع ـ من حمام النساء ـ

بأغنية من أغانى الأطفال .. وأوحت اليه كلماتها التى لا تحمل أى معنى ـ شأن أغانى الأطفال عادة ـ بخاطر غريب : أتراه تمثل ((يوكو)) طفلة فى منامه ؟ .. ولكنه لم يكن نائما ! .. وفى عودته الى حجرته ، التقى بكوماكو عند قاعة الجلوس ، فأطلقت ضحكة عاليـــة ، ولكن الألم لم يلبث أن طغى على قسمات وجهها ، فأغمضت عينيها ، وتركت طرف ثوبهـا يتدلى على الأرض .. ثم ارتمت على ((شيمامورا)) قائلة : ((خذنى الى المنزل من فضلك ! .. لقد انصرفت الفتيات وتركننى هنا . ولن تقول احداهن شيئا اذا لم ألحق بهن ، ولكنهن اذا مررن بمنزلى فى طريقهن الى الحمام ، ولم يجدننى فيه ، سيكثرن من الأقاويل !))

وبرغم أنها كانت قد أسرفت فى الشراب ، فقد مضت الى جواره تهبط التل فى نشاط . وقال لها : ((ان يوكو بكت كثيرا حين ذكرت انك قلت لها انها ستجن !))

ـ ان لها تصرفات المجانين أحيانا .

ـ هذا لا يدعو الى أن تقولى لها انها ستنتهى الى الجنون .. لاسيما أنها أوصتنى بالترفق بك .

ـ وما شأنها بهذا ؟ ولماذا تقوله أنت لى ؟

ـ وما الضير فى أن أقول لك ذلك ؟ .. لماذا تغضبين كلما ذكرت هذه الفتاة ؟

ـ هل تريد أن تتخذها عشيقة لك ؟

ـ اسمعى ! .. ما الداعى لأن تبدى ملاحظة كهذه ؟

ـ اننى جادة فيما أقول . فكلما نظرت اليها أحسست كما لو كنت أحمل عبئا ثقيلا لا أستطيع الخلاص منه .. اذا كنت تحبها ، فلماذا لا تزيح هذا العبء عن كاهلى ؟ !

ـ انك تتجاوزين فى حديثك كل الحدود .

ـ أنت تظننى ثملة أهذى . ولكنك مخطىء ، فأنا أعرف أنك سوف تعنى بها ، بينما أبقى هنا أتابع حياة اللهو والمجون ، حتى ينتهى عمرى !

وتركته وانطلقت تعدو نحو باب البيت . وكان مغلقا . وتبعها « شيماموراا » حتى وقف الى جانبها أمام الباب ، وقال : « يظهر أنهم يئسوا من عودتك الليلة ! »

ـ ولكنى أستطيع فتحه !

وكان الباب قديما ، فرفعته قليلا ، ودفعته الى الخلف ، ثم قالت له : « تفضل بالدخول ! »

ـ فى هذه الساعة المتأخرة ؟

وتردد فى الدخول ، فقالت : « اذن ، سأصحبك الى الفندق ! »

ودخل البيت معها .. ومرا بالحجرة الرئيسية ، حيث شاهدا أفراد الأسرة ممددين على الفراش فوق الحصير ـ الأب والأم وخمسة أطفال أو ستة ـ وقد تغطت أجسادهم ببطانين أبلاها القدم . وكانت مظاهر الفاقة تبدو مختلطة بمعالم من الحيوية الدافقة .. وشعر « شيماموراا » بالحرج ، فتراجع ، ولكن « كوماكو » أخذت بيده نحو السلم وهى تقول : « انتظر هنا ، وسوف أضىء المصباح فى الطابق الأعلى ! »

ولكنه صعد خلفها فى الظلام .. فلما أضاءت المصباح رأى الحصير ـ فى الحجرات الأربع بالطابق الأعلى ـ قديما كالح اللون أيضا . وكانت الأبواب المنزلقة بين الحجرات قد أزيلت ، فبدا المكان كقاعة واحدة واسعة الأرجاء ، وفى ركن منها كان فراش « كوماكو » على الحصير .. صغيرا منعزلا ! .. وجلست « كوماكو » على الحصير ، وقدمت له الوسادة

الوحيدة فى المكان ليجلس عليها ، ثم تأملت وجهها فى المرآة ، وقالت : « ان وجهى أحمر حقـــا ، فهل انا ثملة الى هـــذا الحد ؟ » .. وفتشت فى أحد أدراج طاولة الزينة ، وتناولت شيئا قدمتـــه لشيماموروا قائلة : « اليك مذكراتى ! » .. ثم أخذت صندوقا خشبيا جميل الصنع امتلأ الى حافته بأنواع شتى من السجائر ، وقالت : « عند ما يقدم لى أحد العمـــلاء سيجارة ، أضعها فى كم الكيمونو أو فى الحزام ، لأضمها الى ما فى هذا الصندوق .. ستجد فيه كل الأنواع ، فاختـــر ما يحلو لك ! »

ــ لا بأس ! .. وما أخبار الحياكة ؟

ــ احاول أن امارسها كلما وجدت شيئا من الفراغ ، ولو أن زوار الخريف من الكثرة بحيث لا يتركون لى فراغـــا فى هذه الأيام .

ولاحـــظ « شيماموروا » أن طاولة الزينـــة ، والمرآة ، وصندوق السجائر ، وصندوق أدوات الخيـــاطة .. كانت كلها من نوع فاخر يتناقض مع الحصير القديم ، والورق البالى الذى يغطى الجدران ! .. وسألها : « هل تنوين حقا أن تقيمى هنا أربع سنين ؟ »

ــ لقد انقضت سنة تقريبا ، وسوف تمر الثلاث الباقيات سريعـــا .

وكان « شيماموروا » يحس بالحرج .. ولم يعد ذهنـــه يسعفه بمادة للحديث ، فنهض من مكانه متأهبا للانصراف . وتبعته « كوماكو » الى خارج البيت ، فتطلعت الى السمـــاء قائلة : « سينهمر الثلج قريبا ، وينتهى بهذا فصل الخريف ! » .. وأردفت قائلة : « سأرافقك حتى الفندق .. ثم أتركك ! »

.. ولكنها حين بلغا الفندق، لم تتركه .. بل تبعته الى

غرفته ، وقالت له : « اذهب أنت الى فراشك ! » .. وما لبثت أن أحضرت كأسين مليئتين بالساكى ، وقالت بعد أن اغلقت الباب : « اشرب ! .. لنتناول معا كأسا أخيرة الليلة ! » .. ودار رأسه ، أثر احتسائه الكأس ، فارتمى على الفراش . ووضعت « كوماكو » ذراعيها حوله فى حنان ، فأحس بالطمأنينة اذ سرت الحرارة من جسمها اليه .. ورأى على وجهها علامات الحزن والحنان ، كامرأة صغيرة تشتهى الأطفال ، فقال لها : « أنك فتاة طيبة ! »

ـ لماذا ؟ لماذا أنا طيبة ؟ . وماذا فعلت حتى تصفنى بالطيبة ؟ .. لست طيبة ، ووجودك يسبب لى متاعب كثيرة . فخير لك أن تعود الى بلدك . فى كل مرة آتى لزيارتك ، أحرص على أن أرتدى كيمونو جديدا ، حتى لم يعد لدى ما ألبسه .. وهذا الذى أرتديه استعرته من بعض زميلاتى !

وسكت شيمامورا ولم يقل شيئا .. فاستطردت فى انفعال : « أى معالم للطيبة رأيتها فى ؟ .. فى أول يوم رأيتك ، شعرت بأننى لم أكره شخصا لأول وهلة ، قدر ما كرهتك ، لأنك قلت لى أشياء لا يقولها الناس عادة ! » .. وأحنى شيمامورا رأسه ، بينما واصلت المرأة حديثها : « أتفهم لماذا لم أقل لك هذا من قبل ؟ .. المرأة لا تصارح الرجل بمثل هذه الأشياء ، الا اذا كانت قد تجاوزت فى علاقتها به كل حد ! »

قال شيمامورا : « انك امرأة طيبة ! »

وكانت تدفن وجهها فى جانب من الوسادة ، فرفعت راسها على مرفقها فى غضب ، وهى تسأله : « امرأة طيبة ؟ ! .. ماذا تعنى بهذا ؟ » .. ولم يجب ، وانما مضى يحدق فى وجهها ، فقالت : « اعترف بالحقيقة . ان سبب مجيئك الى هنا هو اننى ساذجة لا طيبة .. كنت تضحك منى طول الوقت ، ولا تطلب أكثر من المتعة الرخيصة ! » .. وزاد

غضبها فجعل جسدها يهتز ، وسالت دموعها .. ثم تركت الفراش ، وجلست وظهرها اليه ، وهى تقول باكية : « اننى أكرهك ! »

وأحس شيمامورا بألم حين تبين الخطأ الذى وقع فيه .. وظل راقدا فى فراشـــه وقد أغمض عينيه .. بينما راحت تتمتم ، كما لو كانت تحدث نفسها : « لكم أنا حزينـة ! » .. ثم غادرت الحجرة ، دون أن تنظر اليـه أو تحييـه ! .. ولم يستطع « شيمامورا » أن يناديها أو يخرج وراءها ، لأنه شعر بأنها كانت محقة فى غضبها .. ولم تنقض دقائق حتى عادت الى الغرفة فى ذلة ، ووقفت بالباب مطأطئة رأسها ، وقالت فى صوت منخفض : « الا تريد ان تغتسل ؟ .. اننى آسفة ، لقد راجعت نفسى ، وجئت أعتذر اليك ! »

● **استيقظ** « شيمامورا » ــ ظهر اليوم التالى ــ على صوت يغنى مقطوعة من احدى مسرحيات الغجر ، فظل فى فراشه يصغى الى الغناء ، حتى جاءت « كوماكو » الى جانبه ، فابتسمت فى وجهه ، ثم فتحت النافذة ، فرأى السماء ملبدة بالغيوم ، والثلج يسقط كقطع من القطن المنفوش ، وبدا المنظر لشيمامورا كما لو كان فى عالم غريب ، ونظر الى « كوماكو » فاذا هى قد جلست أمـام المرآة . وكان « الكيمونو » الذى ارتدته مفتوحا عند الرقبة ، فبدا عنقها أبيض نظيفا .. وجال بخاطره انه لم يكن يحسبها ممن يثرن عاصـفة شديدة لمجرد ملاحظة عابرة ، كما كشف حديثهـا بالأمس .. وبدأ يدرك شيئا عن طبيعـة هـذه المرأة وما تتميـز به من ارهاف وحساسية !

وطال بقاء « شيمامورا » فى القرية الجبلية هذه المرة حتى

أخذ الناس يعجبون مما اذا كان قد نسى زوجته وأولاده ، أو كان عاجزا عن فراق « كوماكو » .. ولكن الواقع أن تعدد زياراته للقرية الجبلية ، جعله يفطن الى نقص فى حياته — فى بيته ومع أولاده — فى طوكيو .. وفى نفس الوقت ، لم يكن بقاؤه فى القرية مبعثا لرضاه !! **ووقف « شيمامورا » فى نافذة غرفته ، يتطلع الى الجبال التى بدأت الثلوج تكسوها ، ويفكر فيما كان يحس به من برود فى أعماق نفسه .. كان يدرك أن « كوماكو » قد أعطته كل شىء ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يهبها شيئا من حياته . وأدرك أنه لم يعد قادرا على أن يستمر فى هذا الخداع .. وأن عليه أن يرحل !**

وخطر لشيمامورا أن يقوم برحلة فى الجبال ، عسى أن يساعده هذا على الخلاص من سحر هذه القرية الجبلية . ولم يكن يعرف المنطقة جيدا ، فاستقل القطار ، واختار لنزوله محطة صغيرة موحشة بين الجبال .. وسار فى الشارع الرئيسى للقرية ، فاذا بيوتها شبيهة ببيوت قرية « كيوكو » ، والثلوج تغطى أسطحها الخشبية الصغيرة . واذ أجهده السير ، أحس بالبرد والجوع ، فقصد مطعما صغيرا ، تناول فيه طبقا من الحساء وبعض المكرونة ، ثم عاد أدراجه الى المحطة ، فاستقل القطار عائدا من حيث أتى .. وبلغ محطة القرية بعد غروب الشمس .. وفى طريقه الى الفندق ، مر به « التاكسى » ببيت كبير يتلألأ بالأنوار .. وقرأ عليه اسم (مطعم كيكومورا) ، ورأى بعض فتيات « الجيشا » واقفات بالباب . **وقبل أن يفكر فى أن « كوماكو » بينهن ، كانت قد وثبت على حافة السيارة (الرفرف) ، وهى تمسك بمقبض الباب ! .. وانطلق السائق صاعدا الطريق الجبلى فى بطء شديد .. ومع أن « شيمامورا » لم يرتح لوقوفها خارج السيارة ، فقد أحس بالدفء والأمان لوجودها بالقرب منه .**

وادنت المرأة وجهها من النافذة وصاحت به : « أين كنت ؟ »

ــ لا تكونى حمقاء ! .. تعالى الى داخل السيارة والا أصبت بضرر .

وفتحت باب السيارة وهبطت الى جانبه .. وكانت السيارة قد توقفت لبلوغها بداية الطريق الجبلى . وسألته ثانية : « أين كنت ؟ » .. فقال فى غير اكتراث : « كنت فى أول مكان صادفنى ! » .. وانتظر السائق فى سكون . كان الموقف غريبا ، وهما جالسان فى السيارة التى بلغت بهما أقصى ما كانت تستطيع الوصول اليه . وقالت كوماكو : « هيا بنا ! ما أشد برودة يديك ! .. لماذا لم تأخذنى معك ؟ »

ــ أكان من الواجب ان آخذك ؟

وضحكت فى سرور ، وهى تسرع صاعدة الدرجات الحجرية : « يا لك من شخص غريب ! لقد رأيتك ترحل حوالى الساعة الثانية .. قبيل الثالثة .. وجريت خلف السيارة ، ولكنك لم تنظر الى الوراء .. لماذا لم تنظر ؟ »

وعجب « شيمامورا » من سؤالها ، بينما استمرت تقول : « ألم تكن تعرف أنني أحب أن أودعك فى المحطة ؟ » .. فقال : « كانت رحلة قصيرة ، على أية حال » . وضحكت فى سعادة وهى تقترب بجسدها منه ، وقالت : « أرأيت ما أعنى ؟ لماذا لم تأخذنى معك ؟ .. أنك تتركنى هنا ، ثم تعود وأنت تشعر بالبرد ، وهذا ما لا أحبه ! » .. وفجأة دوى صوت انذار جرس الحريق ، واستمر يدق فى اصرار يشير الى خطر جسيم . ونظرا الى الخلف ، فرأيا عمودا من اللهب يرتفع من القرية الى كبد السماء . وصاحت كوماكو : « حريق ! بقرب المحطة .. أظنه فى بعض المحلات التجارية الكبرى ! » .. وبدأت النار تندلع واللهب يتطاول الى السماء .. وسيطر

الفزع على وجه المرأة .. وفجأة ، أخذت ترتعش ، ودموعها تجرى غزيرة فوق خديها ، فاحتواها « شيمامورا » بين ذراعيه ، متسائلا عما يفزعها ، فأجابته وهى تنتفض باكية : « ان هناك دارا للسينما ، تكون ممتلئة بالناس فى هذا الوقت عادة ، وسوف يصاب كثيرون بالأذى .. ومنهم من قد يموت محترقا ! » .. وأخذت بيده ،وأسرعت تصعد الطريق نحو الفندق ، فوجدا النزلاء متجمعين فى الشرفات العليا .. وصاحت كوماكو تسألهم ، فعلمت أن الحريق كان قد بدأ فى دار السينما ، وامتد الى متجر للحرير .. وأسرع بعض النزلاء يجرون فى الطريق المنحدر نحو القرية ، « وكوماكو » بينهم ، و « شيمامورا » وراءها . فلما اقتربوا من مكان الحريق ، رأوا ألسنة اللهب تعلو فوق أسطح المنازل ، وبلغت أسماعهم زمجرة النار ، وصياح الناس ، وأجراس المطافىء .. وقالت كوماكو لصاحبها : « يحسن بك أن تنتظر هنا ، وسأذهب لأرى ما اذا كان أحد قد أصيب ! » .. وبرغم ماانتاب « شيمامورا » من تعب ، فقد اندفع خلفها وهو يصيح : « انتظرى ! انتظرى ! » .. فتمهلت حتى لحق بها ، وأخذت بيده وهى تسأله : « أتريد ان تذهب معى الى مكان الحريق ؟ .. انك تبحث دائما عن اى شىء يثيرك . ولكن الناس لن يروقهم ذهابك ! »

وتوقف وهو يحنى راسه موافقا ، فقالت له : « انتظرنى هنا ، وسوف أعود حالا ! » .. ولكنها عادت فهزت راسها قائلة : « لا .. لا أحب أن أتركك هنا ! » .. والقت بنفسها عليه ، فترنح الى الخلف ـ حتى كاد يسقط فى حقل بصل على جانب من الطريق ! ـ وبدات تتحدث اليه فى كلمات سريعة : **« لم يعجبنى منك قولك أننى امرأة طيبة .. اننى أفهم ماذا تعنى بهذا ، ولسوف ترحل من هنا قريبا ، فلماذا قلت لى مثل**

هذا القول ؟.. لقد أبكانى هذا كثيرا .. أننى أخشى أن أفقدك، ولكنى لن أنسى أنك جعلتنى أبكى كثيرا .. ولهذا أرجوك أن ترحل ! »

وأحس شيمامورا بكثير من المرارة ، لمجرد أن ملاحظة بسيطة أبداها قد تركت هذا الأثر العميق فى نفسها . ولكنهما فى تلك اللحظة سمعا صياحا عاليا وضجة صادرين من ناحية الحريق ، وارتفعت ألسنة اللهب من جديد الى عنان السماء .. فنسيا مأساتهما ، وانطلقا يجريان .. وكانت كوماكو تجرى فى خفة ، ولكنها ما لبثت ان انتظرت حتى لحق بها رفيقها ، فاستندت بجسدها عليه قائلة : « ان عينى تدمعان من شدة البرد ! » .. وكانت عيناه كذلك ، ووجهه يتوهج نتيجة المجهود الذى بذله . فوقف فى الطريق يستعيد أنفاسه ! .. وقالت كوماكو : « اذا رحلت فسوف أحيا حياة شريفة ! .. انتظر هنا حتى أعود ! » . ورفعت طرف ثوبها بيدها ، وانطلقت تعدو نحو الحريق ، و « شيمامورا » يتبعها بنظره . ورأى جمعا من الرجال يشدون مضخة حريق فى الطريق ، والناس يتدافعون خلفهم ، فوجد نفسه ينساق وراءهم .. كانت المضخة من طراز عتيق ، والناس يجذبونها بالحبال . وكانت « كوماكو » فى جانب من الطريق ، فرأت « شيمامورا » ، وأسرعت اليه حيث وقف وسط الزحام .. فلما بلغت مكانه ، أخذت بذراعه وهى تقول : « أهكذا جئت ؟ .. انك تبحث دائما عما يثيرك ! »

وبلغا ــ أخيرا ــ جدارا من البشر ، يحيط بالمبنى المحترق .. وفرق الزحام بين « شيمامورا » و « كوماكو » ، فوقف الرجل تائها بين أهل القرية ، وهم يتصايحون ، ويتنادون .. وبينما كان يراقب النيران ، مأخوذا بهول منظرها ، اذا به يفطن الى « كوماكو » تقف بجانبه .. **وأمسكت بيده ، فحول**

بصره - على الرغم منه - الى وجهها .. كان متضرجا ، وقد زاده وهج النار ضراما ، وتهدل شعرها حوله .. وداخله احساس غريب ، لم يدر مأتاه .. احساس بأن وقت فراقه لكوماكو كان وشيكا !

وارتفعت ألسنة اللهب مرة أخرى ، عند مدخل المبنى المحترق ، فحول رجال الاطفاء خراطيم الماء نحوها ، بينما بدأت الأعمدة والجدران تتصدع وتتهاوى على الأرض .. وانبعثت من جمهور المشاهدين شهقة كلها جزع ، اذ سقط من بين الأنقاض المتهاوية ، جسد امرأة .. وبدا أنها كانت بلا حراك .. وتراجع « شيمامورا » الى الوراء ، لا من الخوف ، وانما لأن جسم المرأة بدا له كشبح يبرز من عالم غريب ! .. وصرخت « كوماكو » ، ووضعت يديها على عينيها ، بينما كان « شيمامورا » يتفرس فى الجسد الساكن على الأرض .. ولم يدر كيف تبين أن صاحبته هى « يوكو » .. وخيل اليه أن صرخة « كوماكو » كانت طعنة نفذت الى قلبه .. وفى تلك اللحظة بالذات ، اختلجت ساق « يوكو » اختلاجة خفيفة ، وهى مسجاة على الأرض .. وشعر « شيمامورا » بقشعريرة تسرى فى كل جسده .. وأخذ قلبه يدق فى عنف ، وقد استبد به ألم لم يدر كنهه !

وتحركت ساق « يوكو » مرة أخرى ، حركة خفيفة لا تكاد تفطن اليها العين .. وبوازع لم يدر « شيمامورا » مبعثه ، أحس بأن الحياة لم تفارق الجسد الهامد .. وأخذ يتأمل وجهها الساكن ، وألسنة اللهب تغمره بضياء متوهج .. وكانت عيناها مغمضتين ، فتذكر كيف كانتا تنفذان بنظراتهما الى القلوب ! .. وشعر - مرة أخرى - باحساس قوى يفيض فى صدره ، اذ ارتدت به الذكرى الى يوم رأى « يوكو » فى القطار

لأول مرة ، وشاهد النار فى الجبل تنعكس على صورة عينيها على زجاج النافذة . ومرت السنوات والشهور التى قضاها مع « كوماكو » أمام عينيه سريعا فى تلك اللحظة ، وأدرك عند ذلك سر الألم الذى كان يعصر قلبه .. ووضعت « كوماكو » يديها على عينيها وصرخت مرة أخرى ، ثم أسرعت تعدو نحو النار . فلما وصلت الى « يوكو » ، حملتهـــا على صدرها ، وعادت تترنح بين برك الماء وقطع الأخشـاب المتنـــاثرة على الأرض . وكانت تبدو على وجهها علامات الجزع واليـأس ، بينما تدلى وجه « يوكو » فى فراغ .. كان وجها جامدا ، بلا روح ، و « كوماكو » تشق طريقها وسط الحطـــام ، كما لو كانت تحمل ضحيتها .. أو عقابها !

وأفاق جمهور المشاهدين من جمودهم ، فتدافعوا نحـو المرأتين يحيطون بهما . وسمع شيمامورا المرأة تصيح بالناس : « ابتعدوا عنا ! ابتعدوا عنا من فضلكم .. ان الفتاة قد جنت .. انها قد جنت ! »

وحاول أن يقترب من كوماكو ، ولكن الناس دفعوه بعيدا وهم يحيطون بالمرأة ، ليأخذوا عنها حملها .. فوقف فى جانب من الطريق ، وهو يحس بالعاصفة تثور فى أعماق نفسه !

فتيات « الجيشا »

بين الحب ، والحرمان ، والوحشة !

عزيزى القارىء :

الآن وقد قرأت القصة ، تعـال أحدثك ببعض معلومات تلقى مزيدا من الاضواء عليها .. لقد أجمع النقـاد على أن هذه الرواية هى خير ما نشر

الروائى اليابانى ((ياسونارى كاواباتا)) ، وانها تمثل فنه فى الكتابة أحسن تمثيل ..

والقصة ـ كما رأيت ـ تصور غرام رجل أوتى مالا وفراغا ، ييمم كلما مل حياة العاصمة (طوكيو) وصخبها ، شطر الجبال .. وقد التقى ، فى احدى القرى الجبلية النائية ، بفتاة من ((الجيشا)) ، اجتذبه اليها ـ فى البداية ـ حبها للفنون والمامها بها .. ولقد أحبته الفتاة ، ولكنه أحب فيها مجرد الأنيسة ، النديمة .. وهنا كان التناقض السافر : فهو لا يفهم من الحب سوى الجنس ، وهى ـ التى تعيش فى جو يغرى بالجنس ، ويمهد الانزلاق اليه ـ تطمع فى الحب السامى ، الذى يمكنها من أن تخلص لرجل واحد ! .. وفى الوقت ذاته ، تستهوى الشاب فتاة أخرى ، جميلة ، عذبة الصوت ، ولكنها غريبة الأطوار .. وبين هذه وتلك ، يتبين أنه لا يستطيع أن يحب احداهما ، فلا يجد حلا سوى التفكير فى العودة الى عالمه الذى حاول الهروب منه : الى (طوكيو) بعجيجها وصخبها !

وخلال القصة ، يرسم المؤلف صورة رائعة لفتيات ((الجيشا)) .. فاذا الفتيات اللائى يدخلن البهجة والانس على قلوب الرجال ، يعشن ـ فى واقع حياتهن الخاصة ـ فى وحدة ووحشة أليمتين ! .. واذا بين الفتيات ، اللائى تضطرهن واجباتهن الى الشراب وارضاء الرجال ، من تحرص على عفتها وطهرها .. فهن لسن بغايا ، بل ان بينهن من أوتيت مشاعر انسانية نبيلة ، فامتهنت حياة ((الجيشا)) لتنفق على علاج شاب لا تحبه ، ولكنها تخشى أن تصارحه ، مثل ((كوماكو)) .. واذا بينهن من توقف جهودها على العناية بالشاب العليل ، فاذا مات لازمت قبره ، مثل ((يوكو)) ..

والمشهد الاخير فى الرواية يحمل الينا كثيرا من المعانى : فنحن ندرك حين نرى ((كوماكو)) تسير مترنحة من المبنى المحترق ، وهى تحمل ((يوكو)) بين ذراعيها ، أن الوقت قد حان لتفترق عن ((شيمامورا)) : فيعود هو الى العاصمة (طوكيو) ليتابع حياة الفراغ التى ألفها ، بينما تبقى الفتاة فى

القرية الجبلية لتحترق فى حياة المجون التى كتبت عليها !

والقارىء يدرك من هذا المشهد الاخير ـ كذلك ـ أن ((يوكو)) هى العبء الذى كتب على ((كوماكو)) أن تتحمله . ويزيد فى ثقل هذا الحمل أن المرأتين كانتا متنافستين فى الحب أكثر من مرة : ففى المرة الأولى تنافستا فى حب رجل مشرف على الموت ، هو ((يوكو)) ، كما يفهم من سياق القصة (وان لم يبين الكاتب ذلك صراحة) .. وفى المرة الثانية تنافستا فى حب ((شيمامورا)) . والكاتب لم يذكر لنا هذه الحقائق فى وضوح ، بل أنه لم يوضح لنا هل ظلت ((يوكو)) على قيد الحياة أم ماتت محترقة من النيران ، فى نهاية الرواية . واذا كان القارىء يجد شيئا من الغموض فى الصفحات الأخيرة من الرواية ، فانه ينبغى أن يذكر أن هذا هو أسلوب الكاتب فى رواياته : أن يترك المجال للقارىء لفهم ما يريد أن يذكره ، أو للتفكير فى القصة واختيار النهاية التى يراها أقرب الى ذوقه وفكره ومشاعره ..

تلخيص : ابراهيم سوريال

فاجعة تلهم المؤرخين والقصاصين منذ ٨٠ عاما

فى الساعة السابعة والنصف من يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩ ، دخل الكونت « هويوس » مع وصيف الأمير « رودلف دى هابسبورج » – ولى عهد النمسا يومئذ – الى مخدع الأمير ولى العهد ، فى استراحة للصيد ، فى ضاحية (مايرلينج) الجبلية ، على مسافة اربعين كيلومترا من العاصمة (فيينا) ، فوجدا الأمير ميتا .. والى جواره ، كانت البارونة الشابة « مارى فيتسيرا » – عشيقته – ترقد بلا حراك .. وقد قضت رصاصتان على حياة العشيقين !

.. وكانت نهاية مفجعة ، لأمير ذى مزاج رومانتيكى ، أثارت اساطير وقصصا لا نهاية لها .. (حتى لقد كتبت عنها مئات الكتب ، واخرجت ستة افلام سينمائية ، كان آخرها فيلم أمريكى ظهر فى العام الماضى ، وعرض فى القاهرة منذ ثلاثة اشهر ، وقد اضطلع ببطولته الممثل المصرى « عمر الشريف » ، الذى أدى فيه دور الأمير رودلف ، ولى العهد .)

و « ماساة مايرلينج » ، كما كتبها ونشرها اخيرا الكاتب الفرنسى « لويس سوريل » ، هى احدث عرض لقصة ولى عهد النمسا ، الذى أثار مصرعه ضجة فى كافة ارجاء العالم ، والذى لا تزال ماساته مادة دسمة للمؤرخين والمحققين والروائيين .. فتعال نقرا القصة التاريخية الواقعية كما صورها « لويس سوريل » :

تربية على يدى مجنون !

● **ولد** « رودلف » فى ٢١ اغسطس سنة ١٨٥٨ ، (فيينا) .. وكان الابن الأوحد لفرانسوا جوزيف – امبراطور النمسا وملك المجر – وزوجته الامبراطورة « اليزابيث » وقد شاءت ارادة جدته «الارشيدوقة صوفى» ، أم الامبراطور

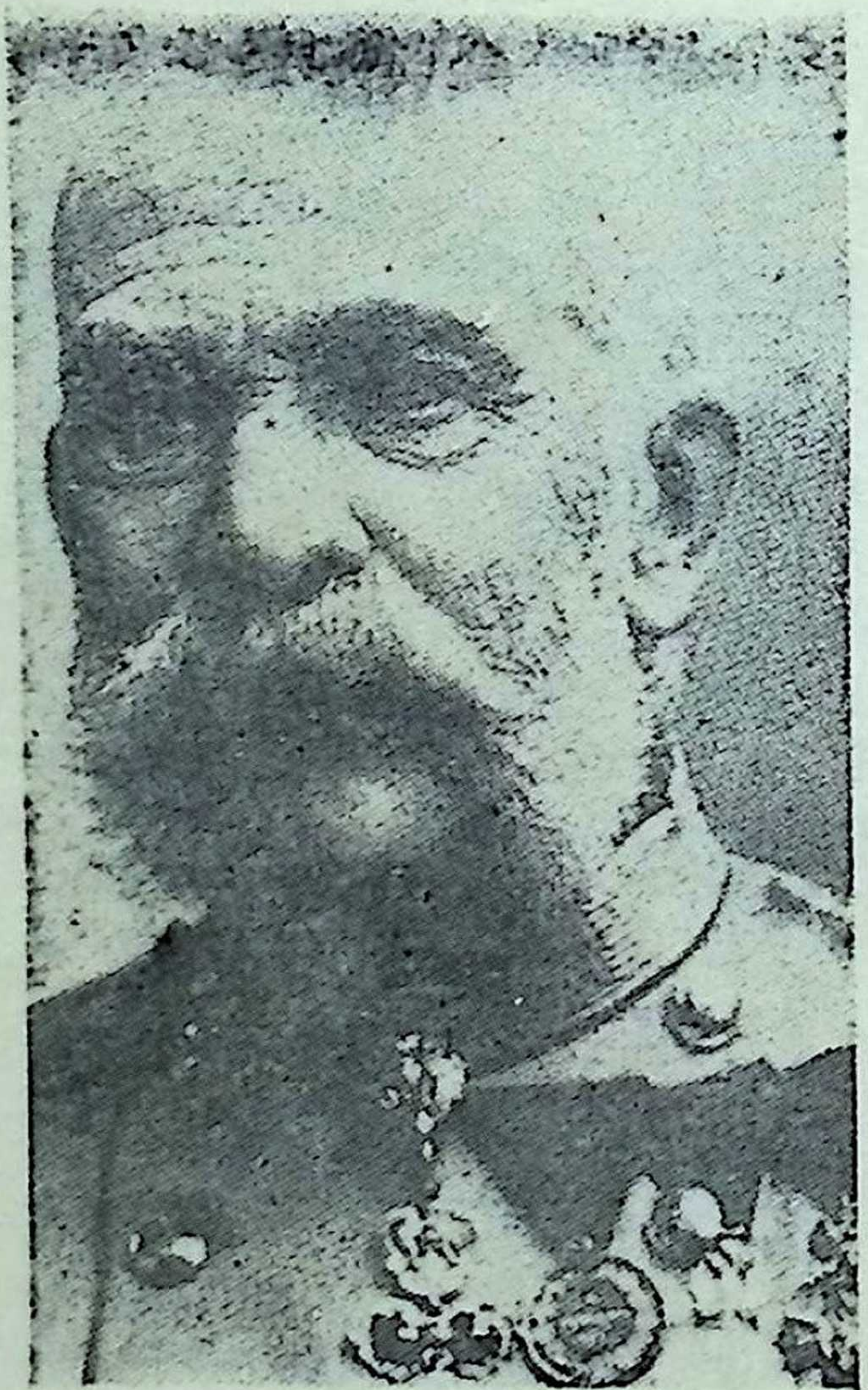

« فرانسوا جوزيف » ، العاهل المطلق لامبراطورية النمسا والمجر (اقوى امبراطوريات ما قبل الحرب العالمية الأولى) ، ووالد الأمير « رودلف » ، احد « بطلى » ماساة مايرلينج الدامية !

ـ وكانت متسلطة أفظع تسلط على ابنها ـ أن تفصل الطفل ، منذ بلغ منتصف العام السابع من عمره ، عن أمه ، وتعهد به الى رعاية مرب اختارته له ، هو « الجنرال جوندركورت » .. الذى كان ذا عقلية تجعله أقرب الى « الوحش » منه الى الانسان .. ويكفى لبيان نفسيته ونمط تفكيره ، أن نورد ما كتبه فى مذكراته ، عندما عهدوا اليه بولى العهد الصغير : « لا بد أن هذا الطفل بالغ الخبث والشقاوة ، والا ما عهدوا به الى » !

ويقــدم لنا المؤرخ « أندريه كاستيلو » تفصيلات ذات مغزى مهم ، بصدد « التربية » التى تلقاها الأمير عن الجنرال : **« كان الجنرال يعامل تلميذه وكأنه « حيوان متوحش صغير » ، ويفرض عليه الاغتسال بالماء المثلج ، كضرب من العقاب !.. وعندما تبين أن الأمير يخاف الكلاب ، ويرتعد لمجرد رؤيتها ، حبسه فى حديقة الحيوان فى (لينز) ، وتركه وحيدا ، وهو يصيح : « خنزير برى ! »** .. وحين عرفت الجدة « سيسى » ـ أم الامبراطور ـ بذلك ، طردت هـذا « الجلاد » ، فخلفه كولونيل يتولى رعاية الأمير الطفـل ، وطبيب يعنى به ، وخمسون معلما .. ومع أنهم جميعا كانوا أقل قسوة من الجنرال ، فقد راحوا يجبرون الصغير على أداء تمريناته الرياضـية فوق الثلوج ، فى أقسى أيام الشتاء برودة !.. ولكن الامبراطور شاهد هذا المنظر يوما ، فأوقف هذه الطرق التربوية « البروسية ! »

نحو التعطش الى .. العدم !

● **وقدر** للأمير ان يتخلص من التعـذيب الجنـونى ، ليتعرض لتعليم مرهق ـ فى تركيزه ـ الى درجة كان لا بد أن تنتهى بالأمير الصغير الى التبلد الذهنى .. كان عليه أن يتعلم ـ الى جوار لغتـه الأصلية ، الألمـانية ـ ست لغات أجنبية : التشيكية ، والهنجارية ، والكرواتية ، والصربية ، والبولندية ، والفرنسية .. فضلا عن القانون ، والاقتصاد السياسى ، والفلسفة .. وكان كل هذا « الحشو » كفيلا بأن يرهق عقل الفتى ، الذى ولد بفطرته حاد الذكاء ، حتى لقد كتب عنـه الكونت « دى سانتولير » ـ السفير الفرنسى ـ وكأنه كان يتنبأ له بمستقبله :

« ان حب الاستطلاع عنده مشبوب الى درجة كفيلة بأن تدفعـه للاستسلام لمباهج القراءات المنـوعة ، بل القراءة

المحرمة . ولقد ورث عن أمه الخيال وارهاف الحس ، والذوق الفنى ، والرغبة القوية فى الكتابة ، فهو ابنها و « تلميذها » كذلك .. أن مراهقته تضطرم بكل أنواع القلق - أنبلها وأكثرها شهوانية ، على السواء - فهو متعطش الى العدالة ، والحقيقة ، والاخاء ، تعطشه الى اللذة البدنية . وسيأتى يوم يتبين فيه أنه لن يلتقى بالعدالة والحقيقة والاخاء فى هذه الدنيا ، ولن يجدها فيما هو أرفع من هذه الدنيا ، ولن يعود يحظى باللذة الا نادرا ، لكثرة اغترافه منها .. واذ ذاك ، لن يتعطش الا .. الى العدم ! »

وفعلا ، مر الأمير الشاب - بلهفة وسرعة - بمواطن المتعة لدى سيدات المجتمع الراقى ، ثم لدى محترفات المظاهر ، ثم انتقل الى غزوات سريعة .. ولكنه لم يكن مجرد باحث عن المتعة واللهو ، بل كان - فى الوقت ذاته - فريسة لرغبات جديدة .. كان على نقيض أبيه الرجعى ، يخالط الصحفيين المنادين بالديموقراطية ، والفوضويين .. ويحلم بالعمل - فى المستقبل - ضد ألمانيا وروسيا ، حيث كانت السيادة للنظام « الأوتوقراطى » !

كان الموت يطارده طيلة حياته !

● وفى الثالثة والعشرين من عمره - فى سنة ١٨٨١ ، على التحديد - زوجوه من الأميرة « ستيفانى » ، ابنة « ليوبولد الثانى » ، ملك بلجيكا . وكانت شقراء ، باردة الأحاسيس ، عديمة الشخصية ، أنجبت له ابنة - أطلقوا عليها اسم « اليزابيث » - ثم أصابها العقم ، وأخذ جسدها يزداد بدانة بسرعة ، حتى لقد سميت : « فلاحة الفلاندر » .. وفقدت كل جاذبية فى نظر زوجها ، فلم يلبث أن أهملها نهائيا !

وسرعان ما تملكه الملل والقنوط ، ولم يعد يجد للحياة طعما ، فأقبل على الخمور و « المورفين » .. وفقد اتزانه

النفسي بدرجة كبيرة ، حتى لقد فكر فى الانتحار !.. ويقول « موران » ، عضو الأكاديمية الفرنسية ، فى هذا الصدد :
« .. أخذ الأمير يعامل الأرشيدوقة ستيفاني (زوجته) بقسوة جنونية ، ويهدد بأن يقتلها ثم ينتحر !.. كان هذا الرجل ـ الذى شاخ قبل الأوان ـ لا ينفك يردد كلمة « الموت » ، كما كانت ترددها أمه .. كان الموت يطارده طيلة حياته » !

ولقد اقترح يوما ـ فى سنة ١٨٨٨ ـ على عشيقة له ، تدعى « ميتزى كاسبار » أن تنتحر معه . وكانت فتاة خلابة الجمال ، تتطلع الى الحياة ، وتنتشى بمباهجها ، فكان من الطبيعى أن ترفض اقتراحه .. بل انها هربت منه ، وأبلغت الأمر الى الشرطة !.. وكان من الخطأ أن الشرطة لم ينبئوا الامبراطور « فرانسوا جوزيف » بذلك !

من خريف ١٨٨٨ حتى ٢٠ يناير ١٨٨٩

● وفى نفس العام ، شغفت به « مارى ڤيتسيرا » .. وتروى الكونتة « لاريش » ـ الابنة غير الشرعية لدوق (بافاريا) ، خال الأمير رودلف ـ أن العلاقة بين « رودلف » و « مارى » ، بدات فى مايو ١٨٨٨ .. فى حين يقول « أندريه كاستيلو » أن لقاءهما الأول انما كان فى « خريف » ذلك العام .. وسواء أصح هذا القول ، أو ذاك ، فالمقطوع به أن علاقتهما بدأت فى سنة ١٨٨٨ ..

وكانت مارى ـ التى ولدت فى ١٩ مارس سنة ١٨٧١ ـ ابنة البارون « ألبان ڤيتسيرا » و « ايلين بالتاتزى » ، التى كان أبوها من أغنى أصحاب المصارف فى الشرق الأدنى .. **وكانت ذات عينين داكنتى الزرقة ، وبشرة امتزج فيها لونا الذهب والعنبر ، وشعر طويل أسود .. وكانت نحيلة ، بالقدر الذى يكسب قوامها تناسقا وامتشاقا ، ذات ساقين بديعتى**

الامبراطورة « اليزابيث » والدة الأمير « رودلف » ، وقد ورث عنها الخيال والاحساس المرهف ، والذوق الفنى ، والميل الفطرى الى الكتابة ..

الالتفاف ، وقدمين دقيقتين ، ويدين بضتين .. وقد أضفى عليها انتماؤها الأصل اليونانى مسحة من فتنة الشرق ، فكان جمالها يسبى العقول !

ولقد كانت نشأة أبيها متواضعة ، كحفيد لصانع أحذية ، وابن لموظف صغير .. وكانت بداية حياته كنشأته ، اذ عمل كمترجم صغير فى احدى السفارات .. ولكنـه راح يرقى السلم بسرعة ، فاذا به ـ فى عام ١٨٦٥ ـ مستشار لاحدى الهيئات الديبلوماسية ، ثم قائم بالأعمـال لدى بلاط قيصر روسـيا ، ثم سفير لدى دوق « هيس » وبارون .. ثم من أصحاب المصارف فى الشرق الأدنى !

وفى مطلع سنة ١٨٨٨ ، كان قد انقضى عامان على وفاته ، وقد أصبحت زوجته تمتلك فنـدقا بديعا فى قلب الحى الديبلوماسى فى (ڤيينا) ، ولم يعد لها من هم سوى أن تتألق فى المجتمع الراقى ، واستطاعت أن تكتسب معارف من ذوى المراكز الممتازة ، كانت بينهن الكونتة « مارى لاريش » ، ابنة خال ولى العهد ـ وقيل انها كانت احدى عشيقاته ! ـ وقد كانت امرأة جامحة التحرر ، كما أنها أوتيت روح « الوسيطة » ، التى تجمع بين الرجال والنساء !

رسالة ، ثم لقاء .. بفضل الكونتة الوسيطة !

● وككل فتاة فى السابعة عشرة ، كانت « مارى » ـ فى سنه ١٨٨٨ ـ تعيش فى الأحلام ، وتصبو الى فارس مستهام .. وبروح الطموح ـ التى ورثتها عن أبيها وأمها معا ـ لم تجد فارسا لأحلامها يفوق ولى عهد النمسا .. **فعشقته فى الخيال ، حتى لقد كانت تتتبع كل أخباره ، وتقتطع صوره من الصحف ، وتأمر سائق مركبتها بالابطاء اذا صادفت مركبة « رودلف » فى طريق !**

وجاء شهر مايو .. وتقول الكونتة لاريش : « وبدافع من

سلطان شهر مايو الرومانتيكى ، نجحت مارى فيتسيرا ، بفضل وصيفتها « آنييس » ، فى حمل « لوشيك » ــ الذى كان موضع ثقة ابن عمتى (رودلف) ــ على أن يسلم الأمير رسالة منها » .. **ولكن لا يبدو أن رسالة « مارى » حظيت باهتمام خاص من الأمير ــ الذى كان يتلقى كثيرا من الرسائل الغرامية ــ اذ لم تسفر عن نتيجة .. ومن المحتمل (وان كنا لا نجزم) ان الكونتة « لاريش » هى التى دبرت لقاءهما ..** على أية حال لم ينقض وقت طويل حتى بهت الأمير لفرط ما لمسه لدى « مارى » من حب صادق ، فرغب فى أن يراها بمنأى عن الناس ، فى جناحه الخاص ، بالقصر الامبراطورى .. وهنا يبدأ الشق العملى فى دور الكونتة « لاريش » ، كوسيطة غرام !

غراب « يبارك » اللقاء الأول للعاشقين !

● **وتورد** « سيليا برتان » ــ فى كتابها : « مايرلينج ، أو مصير فيتلباخ المشئوم » ــ تفصيلات كثيرة عن هذا اللقاء ، فتقول : « جاءت الكونتة لاريش تنشد « مارى » ، بحجة مرافقتها الى احد المصورين ، والى جولة لشراء بعض أشياء .. واصطحبت الكونتة الفتاة الى مصور فعلا ، ثم أقلهما الحوذى « فرانز فيبر » ــ الذى اعتاد خدمة الكونتة كلما حضرت الى (فيينا) ــ الى فندق « جراند هوتيل » ، حيث كانت تنزل .. وهناك ، كان فى انتظارهما « براتفيش » ، حوذى مركبة الأرشيدوق رودلف .. ولم تكن المركبة امام الفندق ، بل كانت خلف مبناه .

« وتسللت اليهما مدعوتا الأمير ، خلال شارع جانبى ، وقد اسدلتا حجابا على وجهيهما (كما كتبت مارى الى معلمتها القديمة « ارمين » ، التى كانت على علم بقصتها مع ولى العهد) .. وسار كل شىء بنجاح ، فى تكتم .. وأقلهما

((براتفيش)) بأقصى سرعة لخيـله ، الى قصر (جوزيفس بلاتز) ، حيث ترك باب حديدى صـغير مفتوحا ، فى ذلك اليوم .. وخلف ذلك الباب ، كان الوصيف ((لوشيك)) فى انتظارهما ، فمضى بهما عبر ردهات خالية ، ومجموعات من السلالم يلفها البرود ، مما بعث فى نفس مارى هلعا واضطرابا بالغين .. حتى انتهى بهما الى باب خشبى مرتفع ، بادر الى فتحه ..

« وفى اللحظـة التى نفذت فيها مارى داخل الجنـاح الخاص بولى العهد ، انطلق طائر أسود ، واخذ يحلق حول راسها فى دوائر متتابعة .. ذلك كان « پروبس » ، الغراب الذى استأنسه صاحب السمو الامبراطورى .. وزاد حفيف جناحى الغراب من ذعر الشابة الصغيرة ، التى لم تكن تتصور استقبالا كهذا ! »

.. وجمجمة ومسدس على مكتب الأمير !

● **وما لبث** « رودلف » أن اقبل ، فقاد الزائرتين الى حجرة مكتبه .. ثم دعا ابنة خاله ــ بعد لحظة ــ الى الانتقال معه الى حجرة مجاورة ، بحجة التحدث اليها على انفراد ، فى امر خاص ..

ووجدت « مارى ڤيتسيرا » نفسها وحيدة فى الحجرة ؛ فأخذت تتأمل مكتب ولى العهد .. وشد بصرها ــ منذ اول وهلة ــ شيئان غريبان ، خليقان بأن يفصحا بجلاء عن العقد النفسية التى تسيطر على الأمير : **كانت ثمة جمجمة شخص ميت ، ومسدس .. ولم ترهبهما الفتاة اطلاقا ، بل انها لم تلبث أن أخذت تعبث بالجمجمة !.. وعندما عاد ((رودلف)) ، بهت لهـذا المنظر ، ولكنـه ــ فى الوقت ذاته ــ بهر به .. فها هى ذى فتاة لم تكن ترهب الموت !**

وتستأنف « سيليا برتان » حديثها قائلة : « وطلب الأمير

الى مارى لاريش ـ فى نهاية الزيارة ـ أن تحضر له الفتاة مرة أخرى ، بعد أيام ، وتقدم مدعوتيه بنفسه يودعهما ، حتى الباب الخشبى المرتفع ، المفضى الى جناحه الخاص .. وهناك وجدتا ، مرة أخرى ، « لوشيك » ـ وصيف رودلف الخاص ـ ليرافقهما فى انصرافهما ، كما رافقهما عند وصولهما ! .. وكان هذا الخادم « الشيخ ، ذو الشاربين الكثيفين ، والشعر الأشقر المشوب بالشيب » ، شديد الولاء لسيده ، والارتباط به .. وقد قدر له أن يلعب دورا كبيرا فى مأساة (مايرلينج) !

مارى تصبح خليلة رودولف (١٣ يناير ١٨٨٩)

● وفى ١٣ يناير ١٨٨٩ تغيرت فجأة طبيعة العلاقة الخفية بين مارى ورودلف . ويتضح هذا من خطاب أرسلته « مارى ڤيتسيرا » الى « هرمين » ، معلمتها القديمة ، وهو خطاب لا يترك مجالا لأى شك :

« عزيزتى هرمين : سأعترف لك اليوم بأمر سيغضبك كثيرا .. لقد كنت عنده ، منذ الساعة السابعة ، حتى الساعة التاسعة .. ولقد تخلى عنا العقل ، والآن يمتلك كل منا الآخر روحا وجسدا ! »

وكان ذلك اليوم عظيم الأهمية فى قصة غرام « رودلف » و « مارى » .. فبعد أن وهبته الفتاة نفسها ، جن الأمير بحبها ، وقرر أن يتزوجها !.. ولكى يحقق ذلك ، اعتزم أن يطلب من (الڤاتيكان) فسخ زواجه من « ستيفانى » ، التى كانت ـ اذ ذاك ـ عديمة الأهمية تماما بالنسبة له . وتقول بعض المصادر ان « رودلف » قام بالخطوات الأولى فى هذا السبيل لدى البابا « ليون » الثالث عشر .

وعندما رجعت البارونة الشابة الى بيتها ـ فى ذلك اليوم ـ كتبت فى مذكراتها الخاصة : **« لقد عشت اليوم اجمل أيام حياتى .. »** !

الأمير « رودلف » ولى عهد النمسا !

الصعوبات والمصادمات الأولى (بين ١٤ و ١٦ يناير)

● كان الأمير « فيليب دى ساكس كوبورج » بين المقربين الى ولى العهد .. وقد صارحه هذا بعزمه على

الزواج من « ماري ڤيتسيرا » ، فأبدى هذا الصديق الوفى عدم ارتياحه لفوره ، وصارح « رودلف » بمخاوفه ، فى عبارات متحفظة .. ويقول « پول ريبو » - فى كتابه « لم يعد لمايرلينج سر » - ان « فيليب » قال لولى العهد ، فى نهاية حديثهما : **« ان تكن زوجا وتهجر الارشيدوقة ستيفانى ، وان تكن أبا وتهجر الأميرة اليزابيث - ابنتك - وهى بعد صغيرة جدا ، فهذا كفيل بأن يؤلب عليك الحكومة ، والبلاط ، والكنيسة ، والامبراطورة ، والامبراطور ، والامبراطورية » !**

ولكن رودلف قابل مارى ، فى اليوم التالى ، واهداها خاتما من الحديد ، مزدانا بماسات صغيرة تؤلف الحروف الأولى من عبارة « متحدان فى الحب حتى الموت » ، باللغة الألمانية !.. وقد قدر لاتحادهما - حتى هذا المصير - ان يتحقق بعد خمسة عشر يوما !

ولم تكن البارونة « ايلين ڤيتسيرا » - والدة مارى - تجهل علاقة ابنتها بوريث العرش ، وفى هذا تقول الكونتة لاريش انها .. « كانت قوية الدهاء ، دون ما ريب ، ولكنها - فى هذه المرة - ارتكبت خطأ جسيما » فمن المحتمل أنها كانت تجهل طبيعة العلاقة بين مارى ورودلف بدقة ، وكان حريا بها أن تتدخل قبل أن تذهب الأمور مدى بعيدا . **وعلى أية حال ، فان البارونة العجوز اخطأت الحساب ، اذا كان الأمل قد راودها فى أن يستطيع رودلف ان يعقد زواجا عرفيا (وكانت ڤيينا بأسرها قد عرفت أن ولى العهد سعى لدى بلاط روما للتحلل من زواجه) ، أو فى أن يدفع لابنتها مبلغا ضخما ، على الأقل » !**

كذلك اصطدم الأمير بمعارضة صلبة من أبيه الامبراطور « فرانسوا جوزيف » .. ومع ان الأب كان قد اتخذ لنفسه عشيقة - منذ أمد طويل - هى الشقراء الجميلة « كيتى شرات » ، فانه لم يكن راغبا فى فضيحة علنية تحيق بالأسرة

.. ومن ثم فقد أنبأ « رودلف » بأن (الفاتيكان) رفض طلبه ، بناء على تدخله هو (أى الامبراطور) !

ولى العهد يتآمر لخلع أبيه !

● وفى عصر أحد أيام ينــاير ، ذهب « رودلف » ــ فى الخفاء ــ الى ابنة خاله الكونتة لاريش ، فى فندق (جراند هوتيل) .. وتقول الكونتة : « دخل جناحى من باب الخدم ، وكان مكفهر الوجه ، عابســا ، يوحى مظهره بالانفعــال .. وبادرنى قائلا ، وهو يطرق المنضدة بأصابعه : « اننى محاط بجواسيس يا مارى » !.. واذ أبديت دهشــة من قوله ، استطرد : « **اننى أعرف ما أقــول .. أواه ، لــكم يبدو لى ــ أحيانا ــ أن الحياة لا تستحق أن نحياها .. لكم أشعر بأن رأسى يرتطم بعناد الآخرين ! »** ، **وما من ريب فى أن ولى العهد كان يشير ، بهذا ، الى الامبراطور ! »**

وما لبث « رودلف » أن اتجــه الى الهــدف المبــاشر لزيارته : اذ عهد الى ابنة خاله بصندوق من الفولاذ ، وسألها الا تسلمه لأحد سواه شخصيا ، أو لمن يقول لها كلمة السر « بيڤو » ، اذا قدر له هو أن يموت !

وخيل للكونتة أنها حملت عبئا ثقيــلا ، بالرغم من أن الصندوق لم يكن ثقيلا .. وقد خيل اليها أنه ضم « وثائق خاصة بانقلاب ، لاقصاء الامبراطور عن العرش ! » .. وقد تسلمه منها ــ بعد وفاة ولى العهد بمدة ــ شخص ، هو الأرشيدوق « چان دى توسكان » .. وكان قد أعد ــ فعلا ــ مؤامرة مع « رودلف » ، قالت الكونتة فى سرد تفصيلاتها : « **كان جان دى توسكان يبذل كل جهوده ــ مع ولى العهد ، واثنين آخرين ، أحــدهما روسى والآخــر مجرى ــ لخلع الامبراطور عن عرشه !** ولم يكن رودلف يتطلع الى أن يتقلد

تاج امبراطور النمسا وملك المجر فحسب ، بل كان يصبو كذلك الى تاج ملك بوهيميا . وكان يأمل من وراء هذا أن يدعم الملك المزدوج ـ الذى كان مزعزعا باستمرار ـ والتمهيد لاتحاد سلافى .. وهو الحلم الذى راود خليفته « فرانسوا فرديناند » .. دون جدوى »

فضيحة فى حفل راقص بالسفارة الألمانية !

● وفى ٢٧ ينـاير ، اقام الأمير « هنرى دى رويس » ـ سفير المانيا فى (ڤيينا) ـ حفلا ساهرا ، بمناسبة عيد ميلاد « غليوم الثانى » . ويقول « ماريون چيلبير » فى وصف الحفل:

« كان هناك الأمير ولى العهد ـ فى زى فارس پروسى ـ وجميع الأمراء ورجال البلاط والسلك الديبلوماسى والجيش والنبلاء ، وكل من كانت (ڤيينا) تضمهم من عظماء وجميلات مشهورات » .

وتولت الأرشيدوقة « ستيفانى » تمثيـل الامبراطورة الغائبة .. وكانت « مارى ڤيتسيرا » وأمها بين الحاضرات .. واخذت الأرشيدوقة تمر فى تؤدة أمام المدعوين ، فكان الرجال والنساء ينحنون فى احترام ، عندما تمر أمامهم ..

وهنا نترك الكلام لـ « اندريه كاستيلو » يكمل الوصف :

« .. وفجأة توقفت زوجة رودلف تماما ، اذ وجدت أمامها البارونة « ڤيتسيرا » الصغيرة ، وقد وقفت فى اعتـدال . **وبدا واضحا أن مارى أبت أن تنحنى لزوجة عشيقها ، اللهم الا اذا كانت قد استغرقت تماما فى أحلامها فعميت عن رؤية « ستيفانى » ، أو أى شخص سوى « رودلف » ، الذى كان حاضرا ، ولكنه لم ير شيئا !** .. ولم يستمر هذا المنظر سوى ثوان ، اذ أمسكت مدام ڤيتسيرا بذراع ابنتها ، وأرغمتها على الانحناء .. بينما تجاوزتهما الأرشيدوقة ، بعـد أن رمقت غريمتها بنظرة صاعقة » .

وذاع هذا المشهد السريع فى البلاط ، فأحدث فضيحة مدوية ..

مقابلة درامية بين الامبراطور وابنه !

● وفى صباح اليــوم التــالى ، ذهبت الأرشيدوقة « ستيفانى » مبكرة الى حميها ، تشكو « رودلف » بمرارة ، والدموع تملأ عينيها .. لقد تحملت هذه المراة الشابة جميع انواع الخيانات من زوجها ، طيلة ثمانية أعوام قضتها زوجة له . ولكنها ـ فى هذه المرة ـ عجزت عن أن تقبل هذه الاهانة العلنية !

واستدعى الامبراطور ابنه فورا ، وبدأ فى الحال حوار درامى بين الرجلين : فلقـد طاب « فرانسوا جوزيف » من « رودلف » ان يقطع علاقته تماما بمارى فيتسيرا .. وانتهى الأمر بالأمير الى ان قال : « فليكن !.. سأتخلى عنها ، ولكنى أناشــدك يا أبى ، أن تســمح لى بان أقابلها مرة أخيرة ، لأودعها ! »

ـ ليكن لك هذا غدا .. ولكنك لن تراها قط ، بعد ذلك .. لا تنس أنك أعطيتنى وعد شرف !

ولا شك فى أن الصدام بين « فرانسوا جوزيف » وابنه كان عنيفــا ، لأن الجنرال « مارجوتى » ـ أركان حرب الامبراطور ـ وجد العاهل المسن مغمى عليه ، عندما دخل الى مكتبه عقب المقابلة !

من ٢٨ الى ٣٠ يناير ١٨٨٩

● ويبدو أن « رودلف » عقد العزم على الانتحار ، بعد الحديث الدرامى الذى دار بينه وبين أبيــه !.. اذ يقــول « اندريه كاســتيلو » أنه كتب ـ اذ ذاك ـ خطابات وداع عديدة لأقاربه .. ولكنى أرى أن هــذه الخطابات كتبت فى (مايرلينج) ذاتهــا .. بدليل انه بدأ رســالته الى أمه

الارشيدوقة «ستيفانى» زوجة الامير «رودلف»

....

ـ الامبراطورة اليزابيث ـ بقوله : «لم يعد لى الحق فى ان احيا يا اماه ، لقد قتلت ..!» .. وما كان بوسع «رودلف» ان يكتب هذا ، قبل ان يرى «مارى» ويعرف ما اذا كانت تقبل ان تشاركه هذه التضحية السامية ، من اجل الحب !

أما بعد الحديث الدرامى ، فقد استقبل «رودلف» صديقه «موريس شيبز» ، وكان صحفيا يهوديا يدير صحيفة

للمعارضة اسمها « نوى ڤيينر تاجبلات » . ويقول « جيلبير جييمينو » ــ فى كتابه « غوامض التـاريخ الـكبرى » ــ أن الصحفى اليهودى حاول تهدئة خواطر صديقه المتأججة . وكان « شيبز » يتلقى بنفسه المقالات التى كان الأمير يكتبها لصحيفته ، ولكن هذا التعاون كان يتم فى الخفاء .. فكان « ينهامر » ــ خادم رودلف ــ يذهب الى « شيبز » فى ساعة مبكرة من كل صباح ، فيسامه مظروفا كبيرا ــ محكم الاغلاق بثلاثة اختام ! ــ وفى ذلك المظروف كان « شيبز » يجد المقال الذى كتبه الأمير فى الليلة السالفة !

فى الأصيل ، اتجهت مارى الى (مايرلينج)

● وفى ذلك الصباح ــ ٢٨ يناير ــ استقبل الأمير صديقه الصحفى اليهودى لفترة قصيرة .. ثم انصرف « شيبز » . وفى أصيل اليوم ذاته ، غادر « رودلف » القصر .. وحوالى الساعة ذاتها ، كانت « مارى ڤيتسيرا » على وشك الرحيل الى (مايرلينج) ، للالتقاء بحبيبها . وتقول « سيليا برتان » ، فى هذا الصدد : « ارتدت مارى « تايور » فى خضرة الزيتون ، موشى بتطريز أسود ، وله ياقة مقفلة ببروش من الذهب .. ووضعت على راسها قبعـة خضراء ، مزدانة بريشة نعـام سوداء ، وأحاطت عنقها ب « ايشارب » أسود ، عقدته تحت ذقنها . ولم تحمل من الحلى سوى قرطين قصيرين ، وصليب من الذهب ، والخاتم الحديدى الذى كان رودلف قد أهداها اياه .. وارتدت فوق ذلك معطفا من الفراء ، كما دست يديها فى حلقة فرائية ..

« ولم تضطر الكونتة لاريش لانتظارها طويلا ، عنـدما وافتها فى تلك السـاعة .. وأمام متجر شهير للمـلابس النسوية ، هبطت الكونتة من المركبة ، وسارت تحت أقواس المتجر .. وما ان اختفت عن الأنظـار ، حتى هبطت مارى

ـ بدورها ـ واستقلت مركبة « براتفش » ، التى كانت تقف على الجانب الآخر للطريق » .

وفى المركبة ، التقى العاشقان .. ووفقـا لما أسرت به الامبراطورة اليزابيث ـ الى الامبراطورة ((أوجينى)) ـ أطلع الأمير خليلته على الوعد الذى انتزعه منـه الامبراطور !.. فبادرته البارونة الشابة قائلة : ((لدى ـ أنا الأخرى ـ خبرا أفاجئك به .. اننى حامل !))

وكان رأى الامبراطورة ((أوچينى)) أن العاشقين اتخذا ـ فى تلك اللحظة ـ القرار بأن يموتا معا !

ويؤيد هـذا أن الكونتة « لاريش » ـ حين عادت الى مركبتها ، وفوجئت باختـفاء البارونة الشابة ـ وجـدت وريقة صغيرة جاء فيها : « لم أعد أستطيع الحياة . سأنطلق قبل حضورك ، وسأكون فى جوف الدانوب قبـل أن تلحقى بى ـ مارى » !

محاولات عديمة الجدوى .. لعلاج الموقف

● **وبادرت** الكونتة لاريش ـ لفـورها ـ بالذهاب الى البارون « كراوس » ، رئيس البوليس الامبراطورى ، وأطلعته على الأمر .. ولكن « كراوس » شـعر بحرج من التـدخل والبحث عن « مارى » ، اذ كان على دراية واسعة بحياة ولى العهد العاطفية ..

غير أن الكونتة عادت اليه ـ مرة أخرى ـ فى السـاعة السابعة مساء ، وكان بصحبتها « الكسندر بالتاتزى » (خال « مارى فيتسيرا ») . **ويقول أندريه كاستيلو : ((كانا فريستين لانفعال طاغ ، اذ أنهما اكتشفا ـ فى خزانة حديدية ببيت مارى ـ صورا لولى العهد ، ووصية كتبتها البارونة الشابة .. وهل تكتب فتاة وصية وهى فى السابعة عشرة من العمر ؟)) .**

أما « ايلين ڤيتسيرا » ـ والدة مارى ـ ففى غمرة القلق الطاغى ، عقدت عزمها على أن تسعى لمقـابلة الامبراطور ، بمجرد أن يتـوفر لديها الدليـل على أن ابنتها كانت مع « رودلف » فى (مايرلينج) .. ولم يملك « كراوس » أكثر من أن يهـدىء هواجس زائريه بالكلام اللين ، تجنبا لاثارة فضيحة ، اذا هو اتخذ اى اجراء !

ولم يبق الا ان نتتبع حركات العاشقين ـ بعد ذلك ـ يوما بيوم ..

مايرلينج : ٢٨ يناير ـ بداية المساء

● **كانت** هنـاك وسيلتان للذهاب من (ڤيينا) الى (مايرلينج) ، فى ذلك العهد .. اولاهما : القطار من محطة الجنـوب حتى (بادن) ، ثم مركبـة تقطع المسـافة الى (مايرلينج) فى ساعة .. والأخرى : مركبة تجرها الخيل ، وتقطع المسافة من (ڤيينا) الى (مايرلينج) مباشرة ، فى ثلاث ساعات أو أربع ..

وكان « رودلف » قد وجه الدعوة الى الكونت « هويوس » وفيليب دى كوبورج ، لمشاركته الصيد ، فكانا الأسبق الى الوصول للاستراحة .. وقد كان الأمير يفضل صحبتهما ، لما اتصفا به من ثبات ، ومرح ، ومحافظة على الأسرار .. **اما ((رودلف)) و ((مارى)) ، فقد وصلا الى الاستراحة فى حوالى الساعة الخامسة .. وآوت مارى ـ مباشرة ـ الى حجـرة الأمير ، فلم يفطن الصـديقان الى وجودها ، ولم يخبرهما الأمير بوجودها ، بل تناولت عشاءها وحدها ، بينما شاطرهما هو العشاء ..**

وفى حوالى الساعة التاسعة ، صـعد الأمير الى الطابق الأول ، حيث كان مخدعه ، وحيث كانت الفتـاة تنتظره ، نافدة الصبر !

حوذى الأمير المخلص « براتفيش »

مايرلينج : ٢٩ يناير – حتى منتصف الليل

◉ **انطلق** « هويوس » وزميله الى الصيد وحيدين – فى الصباح – اذ قيل ان « رودلف » أحس بوعكة .. والواقع انه مكث فى مخدعه مع مارى . ويبدو أنه كتب الرسالة التالية – الى زوجته – فى ذلك الصباح :

« عزيزتي ستيفاني : ها انتذى تتخلصين – اخيرا – من عذاب وجودى ، فاسعدى كما يحلو لك ، وكونى بارة بالصغيرة المسكينة ، فهى الشىء الوحيد الباقى منى .. »

....

تحياتي الأخيرة الى جميع معارفنا .. اننى ذاهب الى الموت ، فهو وحده القادر على انقاذ اسمي . الودود : رودلف»

ولا يمكن الجزم بأن الرسالتين اللتين كتبهما الى امه واخته « فاليرى » كتبتا فى هذه السويعات القلائل ..

وتناول « رودلف » الفداء مع صديقيه ، ثم انطلق الصديقان – مرة أخرى – الى هوايتهما المفضلة ، ولم يعودا الى (مايرلينج) الا حوالى الساعة السادسة الا الربع .. ولم

يلبث « كوبورج » أن رحل الى « ڤيينا » ، حيث كان عليه أن يحضر العشاء على مائدة الامبراطور .. أما « رودلف » ، فأبرق الى زوجته راجيا أن تعتذر للامبراطور عن تخلفه عن « العشاء العائلى » ، لاصابته بزكام حاد ! .. وبعد أن تناول العشاء مع « هويوس » ، عاد الى خليلته .. ثم أرسل العاشقان يدعوان « براتفيش » المرح ، ليغنى لهما .. وبعد انصراف « براتفيش » — حوالى الحادية عشر مساء — جلست « مارى » تكتب خطابات الوداع .. فقالت لأمها :

« اننا الآن شديدا التلهف لمعرفة كنه العالم الآخر .. اغفرى لى ما فعلت ، فما استطعت أن أقاوم الحب ! » .. وكتبت الى الكونتة لاريش : « أغفرى لى كل ما سببت لك من عناء .. واذا قدر للحياة أن تغدو صعبة بالنسبة لك — وأخشى أن هذا ما سيكون ، بعد الذى فعلناه — فاتبعينا .. هذا خير ما يمكن أن تتخيليه ! »

وكتب « رودلف » آخر تعليماته ، طالبا أن يدفن بجوار حبيبته « مارى » .. كما كتب خمسة خطابات ، كان أحدها لوصيفه « لوشيك » .

ليلة المأساة :

● فى أية ساعة قتل «رودلف» خليلته برصاصة من مسدسه ، اخترقت الجبهة وخرجت من فوق الأذن اليمنى ؟ ليس فى الامكان تحديد ذلك .. كل ما نستطيع أن نقوله — وفقا لشهادة الدكتور « ڤيدر هوفر » — **هو أن « رودلف » قتل « مارى » ، قبل أن ينتحر هو بساعات ! .. ويبدو أن القتل حدث بينما كانت الشابة نائمة .. ثم غطى « رودلف » جسدها بالزهور ، ووضع وسادة على وجهها !** وحوالى السادسة والنصف صباحا ، ذهب « رودلف » — فى ثياب النوم — الى « لوشيك » ، وقال له : « أشرف على اعداد

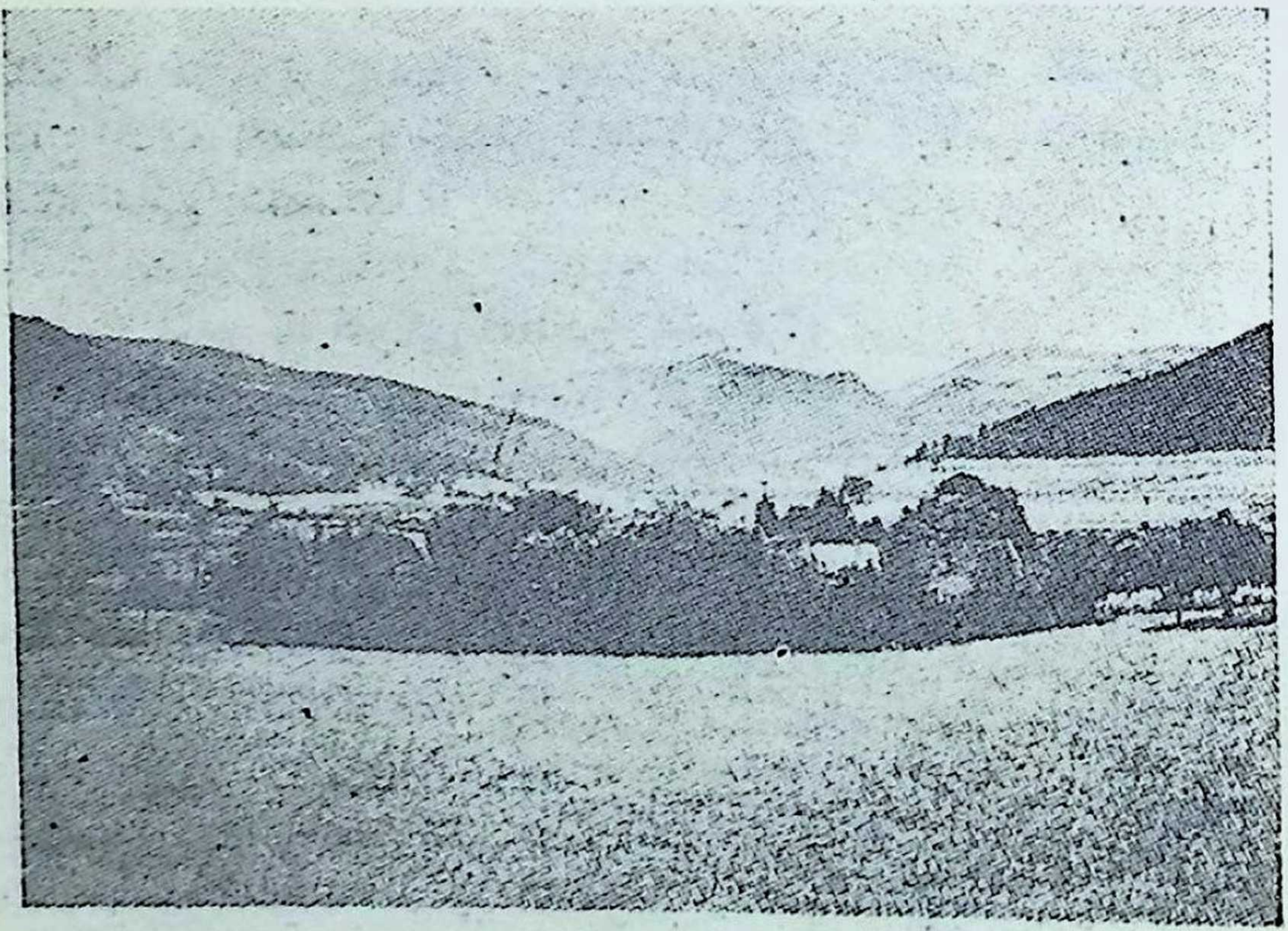

استراحة « مايرلينج » التى كان يلجأ اليها العاشقان !

المركبات للصيد ، وأحضر لى الافطار بعد ساعة ! » .

صباح ٣٠ يناير ، السابعة والنصف : اكتشاف الجثتين !

● وفى السابعة والنصف صباحا ، ذهب « لوشيك » الى جناح سيده ، وطرق الباب ، فلم يجبه أى صوت ! .. ودب القلق فى نفسه ، فأخذ يطرق الباب بقبضة يده .. ولا جواب سوى الصمت ! .. فأسرع وأخطر الكونت « هويوس » . وأخذ الاثنان يطرقان الباب — المغلق بالمزلاج — بعنف .. وازاء الصمت المستمر ، طلب « هويوس » من الخادم بلطة ، وكسرا الباب .

وفى الغرفة شبه المظلمة ، اكتشفا جثتى « رودلف » و « مارى » متجاورتين .. ولم يكن هناك أى أثر لمقاومة ..

وبالقرب من ولى العهد ، وجدا مسدسه تنقصه طلقتان .. وعلي المائدة الصغيرة المجاورة للسرير ، وجدا كأس ((كونياك)) مليئة حتى منتصفها !

وبالطبع ، وجدا على المكتب خطابات عديدة .. ووصية !

٣٠ يناير ـ حوالى الحادية عشرة :

● **انطلق** « هويوس » بسرعة الى محطة (بادن) ليخطر الامبراطور بالنبأ . وكان أول قطار يمر ، هو السريع القادم من (تريستا) ، ولم يكن يقف الا فى (فيينا) ، وقد رفض ناظر المحطة ايقافه .. واذ ذاك ، قال له هويوس : « لقد مات ولى العهد ! » .. فأوقف الناظر القطار ، وهكذا وصل « هويوس » الى القصر الامبراطورى بعد ساعة . قابل أولا « بومبيل » ـ كبير الياوران ـ ثم الكونت « پارر » . ولم يجرؤ أحدهما على مكاشفة الامبراطور بالنبأ ، فاضطر « هويوس » للذهاب الى الامبراطورة ، وأخطر بالنبأ وصيفتها « ايدا دى فيرينزى » .. ودخلت « ايدا » فورا الى غرفة « سيسى » ، بينما كانت تتلقى درسا فى اللغة اليونانية ..

ومع « ايدا » دخل البارون « نوپسا » ، الذى قال للامبراطورة : « هناك نبأ سيىء جدا لجلالتك .. »

وتمتمت الوصيفة : ((الأرشيدوق رودلف !)) ، فهتفت الامبراطورة : ((مات ؟))

عندما علمت « اليزابيث » بملابسات الوفاة ، انفجرت فجاة فى البكاء .. وكان لابد من ابلاغ الامبراطور بما جرى ، فتكفلت الامبراطورة ـ برغم الصدمة ـ بهذه المهمة القاسية .. وتحايلت على ابلاغ الامبراطور النبأ بترفق ، ومع ذلك فانه تأوه ، وتهالك ، وهو يقول : « لم يبق لى شىء ! »

شائعات واقاصيص عن موت ((رودلف))

● **اعلنت** صحيفة « فينرتزايتونج » موت الأرشيدوق

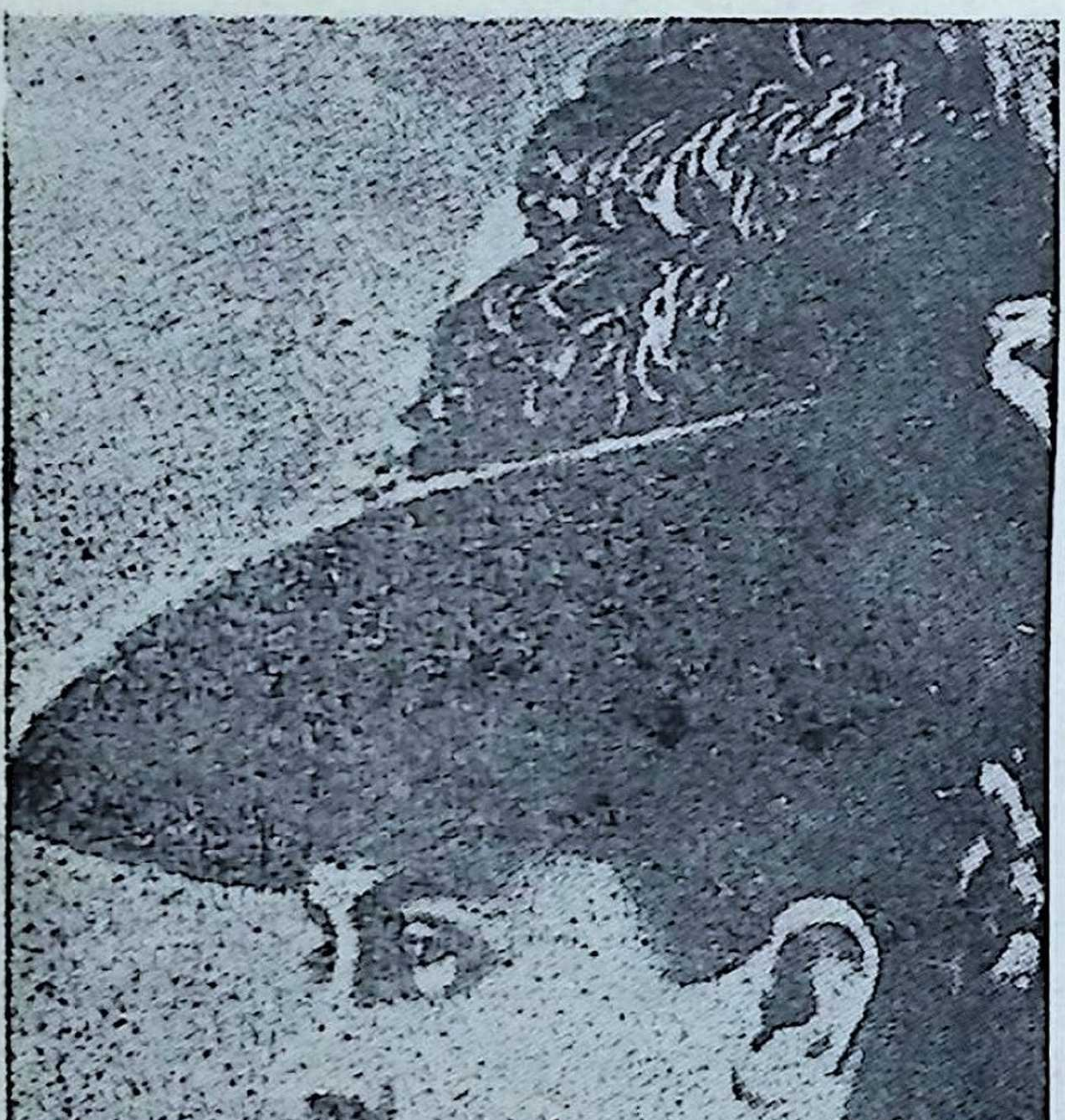

(ماری ڤیتسیرا))
لفتاة التى شغف
بهـا الأمير
(رودلف)) واراد
ن يطلق زوجته
الارشـيدوقة
(ستيفانى)) كى
تزوجهـا ! ..
عنـدما طلب
الامبراطور من الأمير
ن يقطع علاقته
بها ، قرر الاثنان
لانتحار معا !

« رودلف » فى أصيل ذلك اليوم (٣٠ يناير) ، اذ كانت سكك حديد الجنوب ملك آل « روتشيلد » فأبرق لهم ناظر محطة (بادن) بالنبأ ، وتسرب منهم الى الصحافة .. اما البلاغ الرسمى الذى اذيع فيما بعد ـ بأمر من الامبراطور ـ فذكر أن « رودلف » مات بانسداد فى الشرايين ! .. غير أن (ڤيينا) امتلأت ـ فى ٣٠ يناير والأيام التالية ـ بأغرب القصص عن وفاة « رودلف » :

قيل ان « لوشيك » استيقظ ـ فى منتصف الليل ـ على صوت طلق نارى ، ووجد الأمير مسجى على سريره ، وعلى ارض المخدع مسدس وشفرة حلاقة (موسى) .. وكان الأمير غارقا فى الدماء ، وفى بطنه جرح كبير .. بينما كانت « مارى ڤيتسيرا » فى أحد أركان المخدع مخنوقة .. وقيل ان «مارى» أصيبت بهياج هستيرى ، لقطيعة قامت بينها وبين الأمير ، فاستغلت فرصة نومه لتشويه جسده .. وأنه خنقها ، ثم سدد مسدسه الى حلقه ، وأطلق رصاصة !

ومن أكثر الروايات تطرفا ، ما قيل من ان احد الحراس اغتال الأمير ، بايعاز من « غليوم الثانى » ـ امبراطور المانيا ـ وأن الجريمة سياسية !

وفى ٣١ يناير ، جرؤت احدى الصحف على تكذيب البلاغ الرسمى ، فصادرها البوليس فورا ..

« البابا » يوافق على جنازة دينية للمنتحر !

● وفى ٢ فبراير ١٨٨٩ ، قامت لجنة من الأطباء بفحص جثة « رودلف » ، وكانت مؤلفة من « هوفمان » ـ أستاذ الطب الشرعى ـ و « هانز كوندرات » ، رئيس معهد التشريح الباثولوجى ، و « هرمان ڤيدر هوفر » ، الطبيب الخاص للأمير .. وجاء فى تقرير هذه اللجنة :

١ ـ مات صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد ، نتيجة

كسر فى الجمجمة ، والأجزاء الأمامية من المخ ..

٢ ـ نشأ الكسر من رصاصة أطلقت ـ من مسافة قريبة جدا ـ على المنطقة الصدغية اليمنى ..

٣ ـ اطلقت الرصاصة من مسدس متوسط العيار ..

٤ ـ لم يتسن العثور على القذيفة لأنها خرجت من الثغرة الموجودة فوق الأذن اليسرى ..

٥ ـ لا شك فى أن صاحب السمو الامبراطورى هو الذى أطلق الرصاصة بنفسه ، وفى أن الموت كان فوريا ..

واختتم التقرير بعبارة : ((.. وجدير بنا أن نقرر ان هذا العمل تم فى حالة جنون)) .. وذلك حتى يمكن تشييع جنازة الأمير وفقا للطقوس الدينية ! .. ويقول ((جاك كورتريه)) ان الامبراطور أرسل الى البابا ((ليون)) الثالث عشر برقية من مائة وخمسين سطرا ، ليحمله على الموافقة على تشييع الجنازة دينيا .. ويقال ان هذه البرقية ـ التى كتبت بالشفرة ـ تنطوى على سر ماساة (مايرلينج) الغامضة، ولكنها لم تذع اطلاقا !

وكان ((ليون)) الثالث عشر يمتاز بكثير من حسن الادراك السياسى ، فلم يتردد فى الموافقة على جنازة دينية للمنتحر ، وان لم يقر معظم الكرادلة رأيه .. بل ان الكاردينال ((رامپولا)) امتنع عن حضور صلاة الجنازة ـ التى أقيمت فى الكنيسة الألمانية بروما ـ فلم يغفر له ((فرانسوا جوزيف)) هذا الموقف ، واستخدم (بعد أربعة عشر عاما) حق ((الڤيتو)) ـ الذى كان آل هابسبورج يتمتعون به ـ ضد ترشيحه للكرسى البابوى فى سنة ١٩٠٣ .

الامبراطور يودع جثمان ولى عهده

● وصل جثمان ((رودلف)) الى (ڤيينا) فى ليلة ٣٠ ـ ٣١ يناير ، وان ذكرت بعض المصادر انه وصل فى ليلة

٢ ـ ٣ فبراير ، وعرض فى احدى قاعات القصر . وقد سأل الامبراطور ـ فى الصباح ـ عما اذا كان بوجهـه اى تشويه ، فلما اطمـأن الى خلوه من ذلك ، قال : « غطوه جيـدا ، فان الامبراطورة تريد أن تراه ! »

وذهب الامبراطور لتوديع ابنه ، بملابس التشريفة الكبرى. وكانت القاعة قد أضيئت بالشموع فقط ، حتى توارى الظلال الثقب الذى احدثته الرصاصة فى صدغ الأمير ، كما احيطت الجمجمة بلفائف ـ نسقت على شكل قلنسوة النوم ـ لاخفاء الكسور .. ورفع الامبراطور قبعته امام جثة ابنه .. وبهت الضباط ـ الذين كانوا يحيطون به ـ اذ اكتشفوا ان شـعره قد أبيض تماما ، اثناء الليلة السابقة !

وبعد يومين ، سمح لأهالى (فيينا) بالمرور أمام التابوت

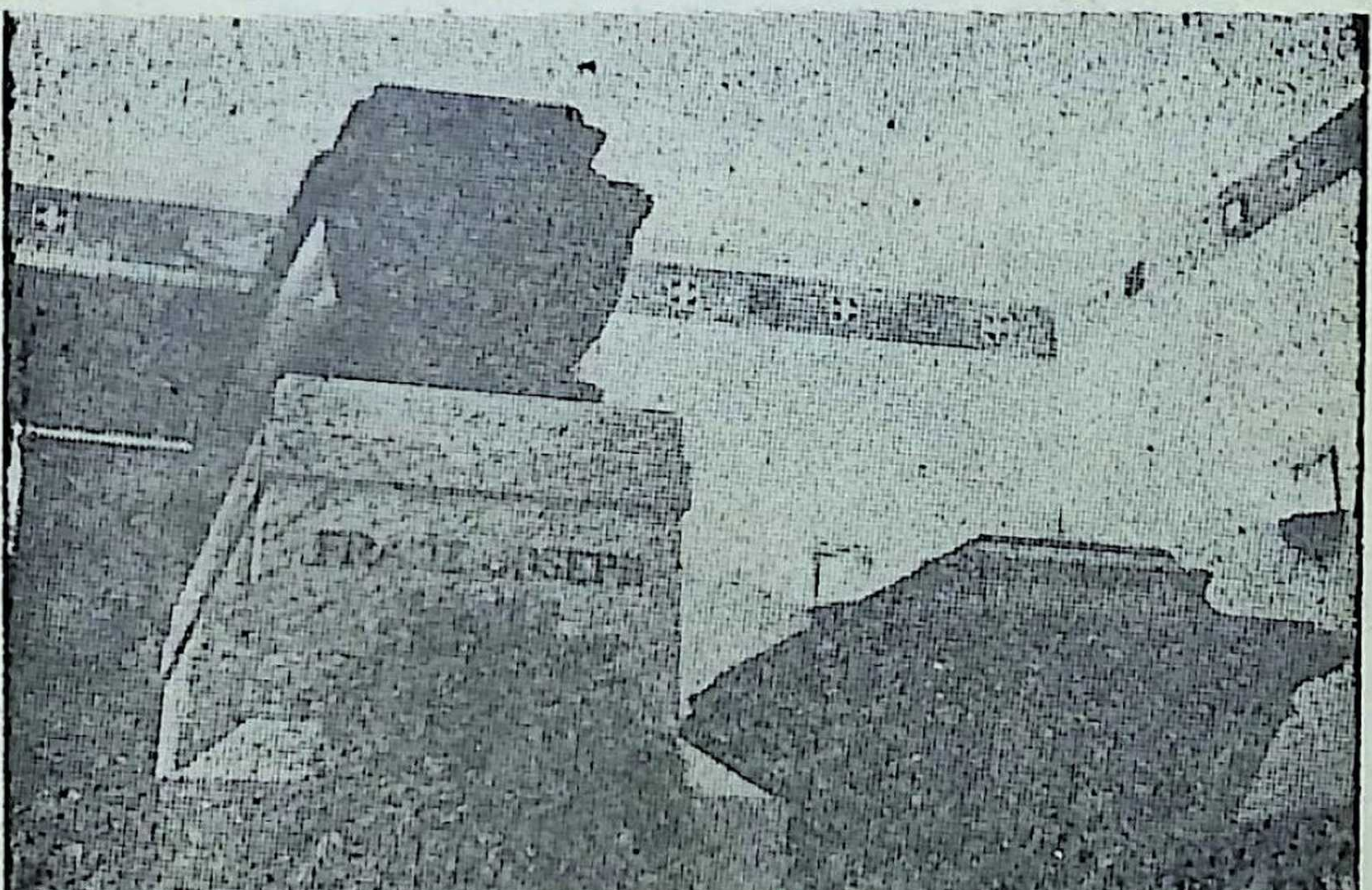

قبر الامير « رودلف » بجوار قبر الامبراطور « فرانسوا جوزيف »

المفتوح ، الذى سجى بداخله الأمير ، فى بزة جنرال .. وفى ٥ فبراير ، نقل بعض الرهبان جثمان السليل الثالث عشر بعد المائة لآل هابسبورج ، الى مدفن دير الآباء الكبوشيين . وبعد الدفن بأربعة أيام ، استيقظت الامبراطورة « اليزابيث » من نومها - فى جوف الليل - وانطلقت فى مركبة الى الدير ، وسارت الى المدفن .. وأمام تابوت ابنها ، ركعت وهى تهتف : « رودلف .. رودلف : هل تسمعنى ؟ »

ثم انخرطت فى بكاء عنيف !

الجسد الجميل ينقل فى الظلام الى قبره !

● **ومارى فيتسيرا ؟ .. كيف كان دفنها ؟**

حوالى الساعة الرابعة من بعد ظهر ٣١ يناير ، ذهب خالاها الى استراحة الصيد .. وكان جسدها مسجى عاريا - تحت كومة من الملابس القديمة - على طاولة بأحد الأركان ، وعيناها مفتوحتان ، وخيط من الدم المتجمد ينحدر من فمها المنفرج الى صدرها .. كان منظرا بشعا !

ووقع خالاها تقريرا أعده « سلاتين » - ممثل البلاط - والدكتور « اوشنتهالر » ، جاء فيه : « يوجد فى جبهتها جرح طوله خمسة سنتيمترات ، وعرضه ثلاثة ، وقد احترق الشعر المحيط به .. وهذا مكان دخول الرصاصة التى اخترقت المخ ، ونفذت من فوق الأذن اليسرى .. »

والبس الرجلان ابنة اختهما ثيابها ، وثبتا عصا بحبل خلف ظهرها ، لتظل الجثة فى وضع مستقيم .. ثم حملا الجثة - فى الساعة الحادية عشرة مساء - الى مقبرة (هايليجنكروز) ، وهما يسندان الجثة - فى المركبة - بذراعيهما ، بينما كان المطر يهطل غزيرا ..

وبسبب هذا المطر ، لم يتسن اعداد القبر الا فى الصباح التالى ، ثم غيب فيه الجثمان داخل تابوت متواضع ، صنع

من اربعة الواح من الخشب ..

وبعد سنوات ، سمح لأسرة ((فيتسيرا)) بأن ترفع صليبا فوق القبر !

وهكذا فرقت التقاليد الامبراطورية - بعد الموت - بين العاشقين اللذين لم يستطع الامبراطور أن يفرق بينهما وهما على قيد الحياة !

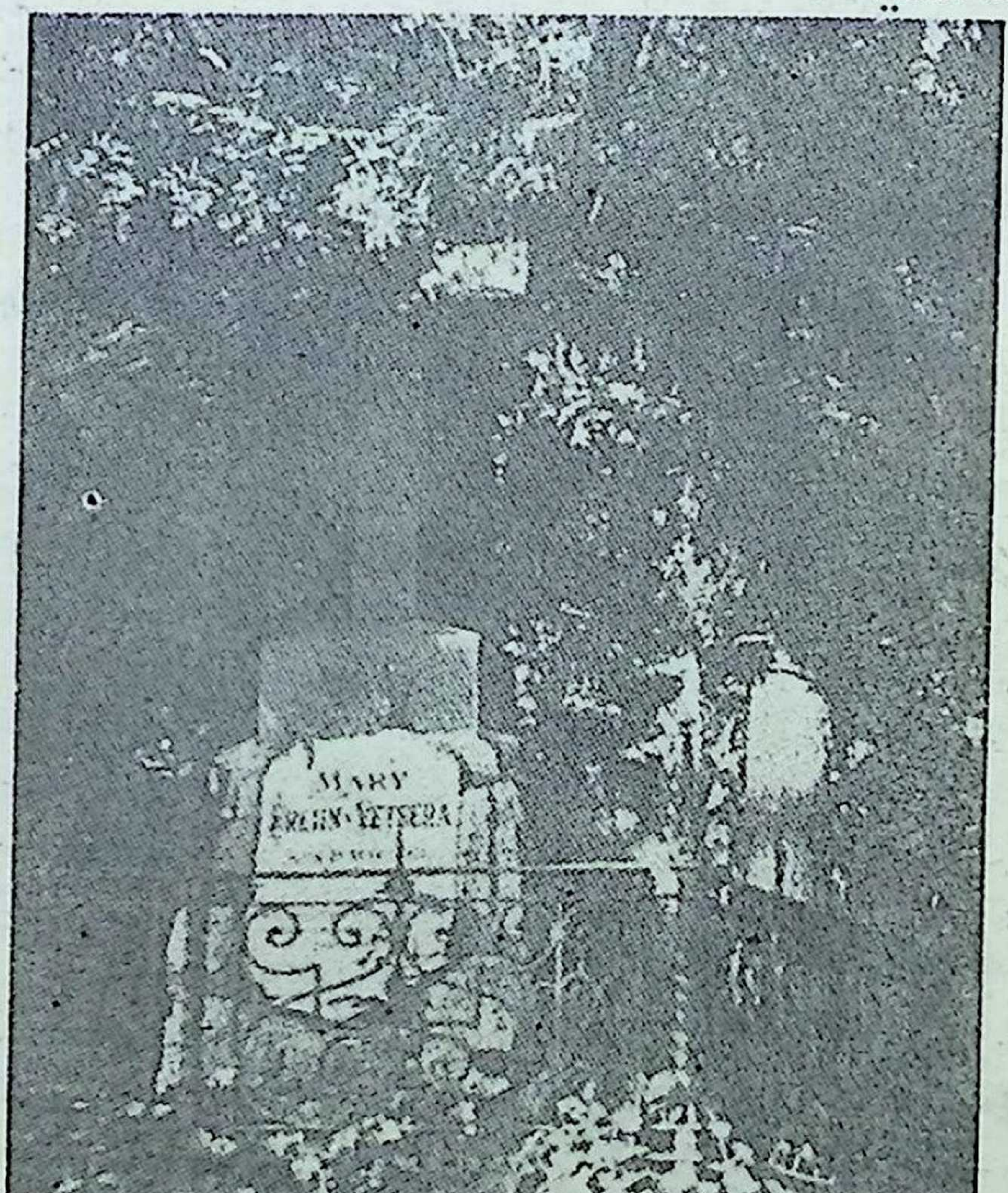

قبر ((مارى فيتسيرا)) بعد أن سمحت الحكومة برفع الصليب عليه ، وكتابة اسمها !

صراع الحبّ .. والواجب!

بقلم : ابراهيم المصرى

• تقع حوادث هذه القصة اثناء حرب الاستقلال الايطالية التى دارت رحاها فى سهول مقاطعة (لومبارديا) عام ١٨٢٠ ، بين الفدائيين المنتمين الى هيئات المقاومة السرية فى ايطاليا ، وبين رجال الجيش النمسوى . وقد اشار المؤرخ « هنرى لافورج » فى كتابه عن (الوحدة الايطالية) الى حادث خارق وقع فى لومبارديا اثناء مقاومة عنيفة نظمها زعيم فذ جرىء من زعماء حرب العصابات يدعى « آتيليو » . وقد خلد هذا الحادث فى رسالة رائعة كتبتها الفتاة « جوليانا » الى الزعيم « اتيليو » . فرايت أن انقل الرسالة كما هى ، متخذا منها مادة هذه القصة :

من « جوليانا » الى الزعيم « اتيليو »

• انى لأرتعد خوفا من مجرد تصورى، انه يجب أن أبعث اليك بهذا الخطاب .. ولكنى لا أرتعد ابدا مما فعلت ، ولا آسف على ما فعلت ، ولا ينتابنى من جرائه أيسر احساس بالندم ، أو الحسرة ، أو تبكيت الضمير !

أنا فتاة ، وأنا عاشقة .. ولكنى فى تلك اللحظات المروعة نسيت انوثتى ، بل خنقتها عامدة فى اطواء صدرى ، ونسيت غرامى ، بل أخمدت شعلته عامدة فى حنايا ضلوعى . وهكذا لم أشعر الا بانى مواطنة صادقة ، على واجب مقدس ينبغى ان اؤديه !

ولقد اديت واجبى على خير وجه واكمله . اديتـــه على انقاض حبى ، وعلى أشلاء نفسى ، وعلى مذبح الوطن العظيم ، الذى اعتقد اعتقادا راسخا أنك أنت نفسك تحبـه ألف مرة أكثر مما تحبنى ، وتجود فى سبيله عند الاقتضاء بأعز الناس عليك ، وأوثقهم صلة بك ، وأقربهم الى روحك وقلبك ودمك !

ولو انى أحسست لحظـــة واحـدة أنك أقل منى وفاء لوطنك ، وايمانا بواجبك ، وتعلقا بشرفك ، ما أقدمت أنا على ذلك العمل الفظيـع الذى سأكاشفك به ، والذى لا يستمد « فظاعته » من مسلكى ، بل من مسلك صاحبه المجرم النذل ، الغادر ، الشرير !

انت يا « أتيليو » زعيمنا ، وأنت الذى حملت راية الجهاد فى وجـــه المستعمر النمسوى الذى أذل بلادنا ، وحرمهـــا وحدتها ، واغتصب منها أجمل مقاطعاتهـــا ، وراح يمرح فى سهول (لومبارديا) الجميلة ، ويعيث فيها فسادا ، ويضرب على الوطن كله رواقا كثيفا من العبودية ، والطغيان ، والظلم !

انت الذى انشأت هيئات المقاومة .. وأنت الذى نظمت حرب العصابات .. وانت الذى نفثت فى الصدور الخائرة ، والعزائم الواهنة ، روح الشجاعة ، والبطـولة ، والتضحية ، والفـــداء !

لهذا أحببتك ! .. لهـــذا عشقتك .. لهـــذا أصبحت خطيبتك وأقسمت أمام الله والناس أن أكون لك وحـدك . ولكنى لا أسـتطيع أن أضع حبك فوق حبى لبــلادى ، ولا أستطيع أن أوثر حبك على حبى لمبــادئى ، ولا أستطيع أن أغلب عاطفة حبك على عاطفة القيام بواجبى المقدس نحو وطنى ، هذا الواجب الذى تدعو اليـــه أنت بوصفك الزعيم ، والذى اعرف عنك انك لم تتسامح ولن تتسامح فى تأديتـــه ، ولو هلكت ! .. فباسم هذا الواجب ، الذى تعلمت قداسته منك ،

اقدمت على ارتكاب ذلك العمل المروع بقلب هادىء ، ونفس ساكنة ، وعزم ثابت مطمئن !

فاسمع الآن ما حدث أثنـاء غيابك ! .. أرهف السمع جيدا وسامحنى . سامحنى لأنى لم أفعل الا ما كان لابد أن تفعله أنت لو كنت مكانى . ولقد فعلته وأنا متأهبـة لانكار نفسى ، والتضحية بحبى ، وتقبل الموت من أجلك ومن أجل وطنى !

هذا ما وقع ، فانقشه فى صفحة خيالك . وعسى أن يشفع لى فيه عندك حرصى على واجبى ، فيظل حبك لى عنيفا قويا ثابتا ، حتى بعد أن أكون قد فارقت هذه الدنيـا ، وحرمت نعمة النظر اليك والاعجاب بك يا حبيبى !

● ●

منذ أن تعقبك البوليس النمسـوى وأراد أن يلقى القبض عليك ، ومنذ أن رحلت عنا الى (ميلانو) ، وفررت الى كوخ ذلك الفلاح المجاهد الذى أخفاك عنده .. منذ ذلك الوقت ، أى منذ شهرين ، والبوليس يبحث عنك ، ولا يكف عن تفتيش جميع البيوت فى (لومبـارديا) ، ولكن من غير جدوى !

ولقد اقتحم بيتى مرة ، واقتحم بيتك أنت ثلاث مرات . ولما يئس من العثور عليك ، ألقى القبض على شقيقك ، على « الكسندرو » ، وشرع يعذبه ليعترف !

والحق أن « الكسندرو » كان فى مبدأ الأمر عظيمـا . احتمل التعذيب دون أن ينطق بكلمة . كان مثـال الشجاعة والصبر والتضحية . كان جديرا بك وخليقا بالانتساب اليك . بيد أنه لم يكد يخرج من السجن حتى تبـدل . أثرت فيه قسوة التعذيبـ ، وأشاعت فى خلقـه الثابت المتين ضربا من الرخاوة والبلادة ، تطورتا شيئا فشيئا واستحالتـا على مر

الزمن الى انانية عميقة ، شابتهـا عوامل الخوف والجبن ، والتواكل ، والاستهتار !

أجل ، انقلب ذلك الشاب المجاهد المغامر ، من « بطل » الى انسان مسلوب الارادة والكرامة ، لا يفكر الا فى نفسه ، ولا يحرص الا على سلامته ، ولا ينشد فى هذه الحياة سوى المتعة البدنية الوضيعة ، والعرض الدنيوى الزائل !

وكان الكسندرو يحب ((الفيرا)) كما تعلم . وكان قد انفصل عنها تحت تأثيرك أنت ، وكان فى صميم نفسه يحقد عليك ، لأنك تكرهها وتتهمها بضعف الخلق ، ونقص الوطنية ، وفساد السيرة ، وتأبى أن تزوجه اياها . فلما خرج من سجنه ضعيفا مستخذيا ، تواقا الى متع الحياة ، وشبه نادم على تضحيته ، ثم تلفت حواليه فلم يبصرك أمامه ، التهب حبه القديم ، فعاد الى « الفيرا » ، أشوق ما يكون اليهـا ، وأطوع ما يكون لغرائزها ، تلك الغرائز الشائنة الجامحة العنيفة ، التى كنت تكرهها أنت فى تلك الفتاة ، والتى طالما حذرت شقيقك من عواقبها !

وانقاد الكسندرو لتأثير « الفيرا » انقيادا أعمى . ولم يعد يحفل الا بها ، ولم يعد يهتم الا بارضاء غرائزها ونزواتها !

ولقد ختم حبه على بصره الى حد انه كان يستخف بالأوامر التى كان يصدرها اليه « الشيخ ريناتو » الذى عينته أنت نائبا عنك ورئيسا علنيا أثناء غيبتك . بل لقد كان يروغ من تلك الأوامر ، ويعصاها ، ويحاول بكل ما أوتى من دهاء ومكر أن يسفهها ، ليتجنب الأخطار التى يمكن أن تصيبه فيما لو أقدم على تنفيذها !

وكان الحب قد أفقده صوابه ، فعلمته ((الفيرا)) كيف يخاتل ، وكيف ينافق ، وكيف يتهرب ، وكيف يعاقر الخمر ،

ويلعب الميسر ، وينشد المتعة ، ويستهزىء بكل مبدأ رفيع وكل جهد نبيل فى هذه الدنيا !

تجاه هذا التدهور المنكر ، حاولت أنا أن أصلح ، ان انبه ، ان احذر ! .. ولكن « السكندرو » كان يزجرنى ، ويسخر منى ، ويحتقرنى ، ويصارحنى فى وقاحة - وفى غير ما استحياء ! - بأنى اذا كنت اريد أن اربح الأوهام واخسر الحقائق ، فهو لن يقتدى أبدا بحمقاء مثلى ، ولن يبيع الواقع الحى أبدا فى سبيل خيالات واحلام !

وتحطم كفاحى على صخرة عناده ، بل تحطم قلبى على صخرة غلظته ووقاحته ، ذلك لأنى كنت أعلم أنك تحبه ، وانك تثق فيه ، وأنك ربيته كولدك ، وانك تؤمن ايمانا راسخا متأصلا عميقا بأنه صورة حية منك . بيد أن الكسندرو لم يفهم ولم يقدر ، وامعن فى غيه .. حتى وقع ما لم يكن فى الحسبان : اشتد يأس البوليس النمسوى من امكان العثور عليك ، فأعلن فى الصحف عن مكافأة مالية كبيرة لمن يرشده عنك !!

ولم يكد يظهر هذا الاعلان المشئوم - الذى لابد أن تكون قد قرأته ، أو سمعت به - حتى أحسست أنا أن روحا جديدا قد بدأ يحتل شخصية ألكسندرو ! .. وان شيئا خفيا ، شيئا فظيعا قد بدأ يتحرك على مقربة منى ، ويدب دبيبا مروعا فى كل نظرة أو اشارة تصدر من أخيك ، أو من حبيبته ((الفيرا))!

وانطوى الكسندرو على نفسه ، وشاعت الجهامة فى خلقه ، وافترسته عوامل الحيرة ، والقلق ، والتخبط ، والهم ! .. اما الفيرا فقد كنت الاحظ أنها تحثه ، وتشجعه ، وتستنهض همته ، وتدفعه الى شىء يجذبه ويستهويه ، وان كان فى الوقت نفسه يخيفه ويذعره !

وساورتني الريب والشكوك ، ولم أشأ أن أصدق ، بل لم أشأ أن أتصور .. فراقبت العاشقين جهدي ، وتجسست عليهما ما وسعتني حيلتي !

وفي ذات ليلة .. في ذات ليلة ساكنة كالغدر ، مظلمة كالخيانة ، غاشمة كالقدر ، غافلت العاشقين وهما في بيتك ، ورأيتهما يدخلان مخدعك .. فأسرعت وصعدت الى صومعة الغلال ، ثم هبطت الى الحديقة بعد لحظات ، ثم انبطحت على الأرض في الظلام الدامس ، وطفقت أزحف حتى اقتربت من نافذة المخدع ، فأرهفت اذني .. وسمعت كل شيء !

سمعت « الفيرا » تحرض شقيقك على الوشاية بك ، وتمنيه بالمكافأة المالية العظيمة التي جعلها البوليس ثمنا لرأسك ، وتزين له الحياة الآمنة الرغدة في صحبتها خارج ايطاليا ! .. ثم رأيته هو .. الكسندرو .. يضمها الى صدره في عنف ، ويقبلها قبلة طويلة محمومة ، ثم يشيعها الى الباب وهو يطيب خاطرها ويقسم لها أنه سيذهب الى ادارة البوليس الليلة ، فيرشدها عنك ، ويقبض المكافأة ، ويعد العدة لتنفيذ الخطة المرسومة والرحيل عن ايطاليا !

وانصرفت الفتاة ، وظل الكسندرو واقفا بعتبة الباب يتبعها النظر ويفكر ! .. وكنت أنا قد أسرعت بالصعود الى الصومعة ، فلما اختفت الفيرا ، وعاد الكسندرو فدخل البيت ، هبطت ثانية وأنا ارتجف ، ثم خارت قواي بالرغم مني ، فتباطأت لحظة وانتظرت . لا أدري لماذا انتظرت ! كنت مبهوتة . كنت مذهولة . كنت كمن فوجيء بضربة هائلة على رأسه أعمته وصرعته . لم أستطع أن أتحرك . جمدت في مكاني ، وزايلتني ــ من فرط ذعري ــ كل قدرة على العمل أو التفكير !

وفجأة أبصرت الكسندرو يرتدى معطفه ، ويلبس قبعته ، ثم يدس خنجره فى ثنايا حزامه الجلدى ويغلق أبواب البيت الداخلية ويتهيأ للخروج ! .. وكانت حركاته حاسـمة ، وخطواته ثابتة ، وروح العزم تنبعث من كيانه ، وتجلل طيفه ، وتتدفق على كرائحة متعفنة كريهة تأخذ بمخنقى . فلما رأيته يدنو من الباب الخارجى ويهم بأن يوصده خلفه ، دبت الحياة فى أعضائى كوقد النار .. فهبطت السلم مسرعة واعترضت طريقه ، وصحت به وأنا أختلج :

ـ الى أين أنت ذاهب ؟

فحملق فى مذهولا وتمتم : انت هنا ؟

فصرخت فيه وأنا ممسكة بذراعيه ، أدفعـه الى داخل البيت :

ـ لقد رأيت وسمعت كل شىء يا الكسندرو ! لن تذهب ! لن ترتكب هذه الجريمة الفظيعة ! لن أدعك تخون وطنك وتغدر بأخيك من أجل امرأة ! انه أكثر من أخ لك . انه والدك . انه زعيمك . بل هو زعيم كل مواطن حر تظلله سماء (لومبارديا) .. ولو تركتك تشى به ، وترشد عنه ، فأنا ، أنا التى أعتبر نفسى مواطنة مجاهدة قبل أن أكون امرأة ، وقبل أن أكون عاشقة ، أنا أصبح شريكتك فى الجريمـة ، شريكتك فى قتل زعيم بطل ، فى وقت أرى فيه بلادى أحوج ما تكون اليـه فى صراعها المرير ضد المستعمر الغاصب . فثب الى رشـدك يا الكسندرو واذكر ماضيك ! لقد كنت أنت أيضا مجاهدا فذا يشق طريق العذاب متجها صوب البطولة ! فانبذ تلك المرأة واستفق ! لا تلوث شرفك ومجد أخيك ! لا تقض على زعيمنا ، والا هدمت صرحا شاهقا من صروح جهادنا ، وأخرت تحرير بلادك ، وكنت حليف المستعمر الغاصب على وطنك التاعس المسـكين !

وانحنيت على يديه ، وشرعت أقبلهما وأنا أتوسل اليه وأبكى . ولكنه كان جاحدا ، كان تائها ، كان كأنه يفكر فى كلامى ويفكر فى « الفيرا » . وبغتة قطب حاجبيه وضم شفتيه ، فخيل الى أنه يجاهد ليتغلب على نزعة الشر المتمكنة من نفسه . غير أنه أرسل غمغمة طويلة ، ثم مد ذراعيه المتشنجتين ، وقبل أن أتنبه ، انقض على ، وأنشب أصابعه فى عنقى ، فارتعدت فرائصى ، ولمحت نية القتل فى عينيه .. **فاستجمعت قواى ودفعته عنى ، فثارت ثائرته ، وتشبث بى .. فعضضت على يده بأسنانى ، فطاش صوابه ولطمنى ، ثم عاد فقبض على عنقى .. فغافلته وأنا أكافح ، وانتزعت خنجره من بين ثنايا حزامه الجلدى ، ثم أغمدته فى صدره وأنا لا أعى !**

وانهار مضرجا بدمه أمام عينى .. فلم أكترث ، ولم أرتجف ، وألقيت الخنجر بجوار الجثة ، وانطلقت أعدو فى اتجاه بيتى !

وكانت القرية راقدة ساكنة . وكان الشارع الضيق ميتا هامدا ، لا يسمع فيه غير حفيف الشجر الجاثم فى غير مبالاة على حافة الجدول . فتلفت حولى ، فلم ابصر أحدا ، فأبرقت أساريرى على الرغم منى ، ودخلت بيتى ، وأنا أزفر وألهث !

ولم يفكر أحد فى اتهامى . لم تحم حولى أية شبهة . مثلت دورى على أكمل وجه ، فبكيت القتيل ، ولعنت المجرم ، وظهرت بمظهر الفتاة التى سحقها الألم والحزن ، فخدعت الجميع .. حتى « الفيرا » !

خدعتهم ولكنى لم أستطع — وا أسفاه ! — أن أخدع نفسى .. كما لم أستطع أن أفكر ان فى وسعى أن أخدعك أنت أيضا يا حبيبى : **لقد قتلت أخاك ! قتلت أقرب الناس اليك ، وأحبهم الى قلبك ، وأعزهم على نفسك .. أجل ، قتلته من أجل غرض عظيم . قتلته انقاذا لمبدئك ، وحرصا على جهادك ، وابقاء على**

عملك ، وذودا عن عبقريتك ، ودفاعا عن حركة التحرير المقدسة التى لا غنى لها عن زعامتك ! قتلت أخاك لا من أجلك ، بوصفك خطيبى وحبيبى ، بل من أجلك بوصفك زعيم لومبارديا . قتلته من أجل الزعيم ، ومع ذلك فالحقيقة لا تحجب الواقع المروع . فالواقع المروع هو أنى قتلت أخاك . طعنتك فى شغاف قلبك . مزقت لحمك ودمك ! فكيف ، كيف أستطيع بعد الآن أن أحبك وأنشد حبك ، وأصبح فى يوم من الأيام زوجتك ، وجثة شقيقك بيننا ، وطيفه يحلق علينا ، ودمه يصبغ ماضينا ، ويسمم فى المستقبل حبنا وحياتنا ؟ قد تقول فى نفسك : « انها كاذبة ومنافقة . لقد قتلت الخائن ، لا عن وطنية بل عن حب . قتلته لا لتنقذ حياة الزعيم بل لتنقذ حياة حبيبها ومعشوقها ! » .. وهكذا تطعننى فى صميم وطنيتى ، فيزداد حقدك على ، وكرهك لى !

هذه الأفكار جميعا طافت بذهنى ، واستبدت بخيالى ، فشعرت ان عقلى يوشك أن يفلت منى ، وأن الجنون يتربص بى ويقف لى بالمرصاد ..

فماذا فعلت لأنقذ نفسى وأنقذك منى ، وأثبت وطنيتى ، وأؤكد انى لم أقتل المجرم من أجل غرض شخصى ، بل من أجل غرض عظيم ؟ فكرت فى التضحية بنفسى . فكرت فى الانتحار !

ولكنى عدت فثبت الى رشدى ، وقلت ان الانتحار هزيمة فاضحة ، وانه لن يبرئنى ، ولن يكشف عن حقيقة نيتى ، ولن يعزز شعور الوطنية الذى كان يملأ ساعة القتل صدرى . واذن فلابد لى من عمل خارق يودى بحياتى ، وينقذنى ، ويؤكد فى الوقت نفسه صدق وطنيتى .

اجل . اردت أن أموت لأجنبك فظاعة قربى ، واجبرك على الايمان بخالص وطنيتى . فحزمت أمرى وقررت !

وكنت أعلم أن نائبك الشيخ ريناتو قد أصدر أمره الى أحد الفدائيين من اخواننا بأن ينطلق تحت جنح الظلام الى معسكر الفرقة النمسوية ، وأن يلقى قنبلة يدوية على خيمة قائد الفرقة ومساعديه . وكنت أعلم أن من اليسير على ذلك الفدائى البطل أن يتزيى بزى أعدائنا ويؤدى مهمته . ولكنى كنت أعلم أيضا انه لابد أن يقتل أثناء العودة برصاص « ديدبانات » الليل . فأسرعت من فورى ، وذهبت الى النائب الشيخ ، وقصصت عليه قصتى ، وطلبت اليه — وأنا التمس وأتوسل — أن يمنحنى شرف القيام بتلك المهمة ، وأن احل محل الفدائى البطل .

واضطرب الشيخ وبهت . ولكنه بعد أن فكر مليا ، أبى أن يجيبنى الى سؤالى ، وقال لى : « هذه المسألة من شأن الزعيم « اتيليو » . انه خطيبك ، وهو وحده الذى فى وسعه أن يقرر مصيرك ، فاكتبى اليه واستأذنيه ، فان اذن لك اطعته أنا وعاونتك على تنفيذ أمره ! »

وتركت الشيخ ثائرة مهتاجة وعدت الى دارى ، ثم شرعت أكتب اليك هذا الخطاب ، هذا الخطاب الذى لا مفر من أن يكون خطاب وداعى . فاسمع الآن يا حبيبى . لابد .. لابد أن تجيبنى أنت الى سؤالى ، ولابد أن تعهد الى بتلك المهمة العظيمة التى فيها خلاصك ومجدى ! **واعلم أنك اذا رفضت ، رحمة بى وابقاء على حياتى ، فسأقضى أنا بنفسى على نفسى ، وتكون انت قد دفعتنى الى موت حقير وضيع ، لا يبرئك أمام ضميرك ، ولا يشرفنى ! فلا تدعنى انتحر وامت رخيصة ، وانقذنى ! هب لى هذه السعادة اذا كنت ما تزال تحبنى !** وثق انى سأموت مطمئنة القلب ، ناعمة البال ، متى أيقنت أن حكمك قد أنقذك وانقذنى ، وأن حبك قد حفظ على كرامتى ، وآمن ايمانا مطلقا بصدق وطنيتى وجهادى .

أقبلك من صميم فؤادى . أقبلك وأنا لا أريد أن أضعف وأتمزق وأبكى . فاياك أن تضعف أنت وترحمنى .. فالرحمة الحقيقية هى أن تصدر على حكما بالبطولة لا حكما بالتراجع والجبن والشقاء . أنا فى انتظار كلمتك المنقذة . والوداع ! »

● ◉

◉ **وحمل** أحد المجاهدين رسالة « جوليانا » الى الزعيم اتيليو . وبعد ثلاثة أيام عاد الى الفتاة بهذا الرد الموجز :

« أحبك يا جوليانا ولن أعرف بعدك امرأة ! أنت بالعقل والقلب والروح زوجتى الى الأبد يا جوليانا . انك لم تقتلى أخى بل قتلت مجرما . ومع ذلك فأنا أقول لك اذهبى وأدى مهمتك . واذا كنت أحطم اليوم قلبى وأضحى بك ، فأنا انما أضحى بك من فرط حبى لك ، واشفاقى عليك من حياة تقضينها فى صحبتى ، بينما ضميرك يمزقك ويأبى عليك الا أن تعتبرى ذلك المجرم النذل أخى ! أنا نفسى وضعت رأسى على كفى ، وقد أموت اليوم أو غدا ، وألحق بك ! فلا مفر لى من أن أنزل على حكم ارادتك يا جوليانا ، وأنا أقبلك عن بعد وأتقطع . فالوداع يا حبيبتى .. أما « الفيرا » فقد أصدرت أمرى بشأنها ! »

وبعد بضعة أيام ، وجد القرويون « الفيرا » مقتولة وملقاة فى أحد الحقول . أما جوليانا فقد تسللت تحت جنح الظلام ، وقامت بمهمتها على خير وجه ، فألقت القنبلة وأصابت قائد الفرقة ومساعديه .. ولكنها بعد ذلك لم تعد !

● ● ● ●

الحياة الجنسية عند الإغريق

للباحث الاجتماعي

"هانز ليشت"

SEXUAL LIFE IN ANCIENT GREECE

BY : HANS LICHT

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

دراسة الجنس عند أهل اليونان القديمة

لكى تفهم حضارة قوم ما ، وتصل الى قيمتها ، لا بد لك من أن تلم بحياتهم الجنسية ، وبما للجنس من آثار فى الدين ، والادب .. فى الدولة وفى المجتمع .. فى كافة نواحى الحياة ..

وايمانا بهذه النظرية ، درس البروفيسور « هانز ليشت » الحياة الجنسية لدى الاغريق - أهل اليونان القديمة - ليستطيع أن يفهم حضارتهم ، التى أخذ منها الغرب الحديث كثيرا من أصول حضارته ..

وقد قدمنا لك - فى العدد الماضى من « كتابى » - الحلقة الاولى من الدراسة العلمية الرائعة ، التى أجراها البروفيسور « ليشت » .. وعلى الصفحات التالية ، نقدم لك حلقة ثانية ، آملين أن نتبعها بحلقات أخرى فى الاعداد التالية ..

اختبار العفة .. وعقاب الزانى والزانية !

● **كان** « الحريم » مملكة الزوجة عند الاغريق .. ولكن الرجال كانوا ينعمون بحرية واسعة النطاق ، فى حين أن المرأة كانت شبه حبيسة فى دارها ، وللزوج أن يطلقها اذا هى بارحت الدار دون اذن منه ..

ويصور الكاتب القصصى « اخيلس تاتيوس » - فى القرن الخامس بعد الميلاد - ما يسمونه « اختبار عفة الفتاة العذراء » .. فيقول انه كان فى (افسس) كهف كرسه الاله « بان » للعذراء « ارتيمس » ، وعلق فيه مزماره ، وحرم دخوله الا على العذارى الطاهرات . **فاذا حامت الشبهات**

حول فتاة ، حبست فى الكهف .. وكانت الأنغام تنبعث من المزمار عالية ، اذا كانت الفتاة طاهرة الذيل ، وعندئذ تفتح أبواب الكهف تلقائيا لها لتخرج .. أما اذا كانت الفتاة قد فقدت بكارتها ، فان المزمار يظل صامتا ، ولا يلبث أن ينبعث من الكهف أنين ، ثم تفتح الأبواب .. فاذا الفتاة قد اختفت !

ويقول « بلوتارخ » ان المجتمع الاسبرطى لم يكن يضم زانيا أو زانية .. ولكنه ـ فى حديث آخر ـ يقول ان الزوج الاسبرطى ما كان ليحجم عن أن ينزل عن زوجته لرجل آخر ، اذا وجده أصلح منه واقدر على انجاب النسل !

وفى أثينا ، لم يكن من الغريب على الزوج أن يقتل اى رجل يسطو على عرضه ، كما كان القانون يقضى بقتل الزانى . وكان الذى يغوى فتاة لا غبار على خلقها ، يلقى أقسى الوان العقاب .. أما الفتاة التى تفرط فى عرضها دون زواج ، فكان أبوها يحبسها مع حصان ، فى بيت معين ـ بمعزل عن المدينة ـ كان يعرف باسم « بيت الحصان » .. **وتظل الفتاة والحصان حبيسين ، حتى تموت الفتاة جوعا ، أو ينقلب الحصان الى وحش ـ تحت وطأة الجوع ـ فينهشها !**

« راكبة البغل » .. « ومدبرو الفرص » !

● **ويضيف** « آيخين » الى هـذا ، أن الزوجة الخائنة كانت تحرم من كل زينة ، وتمنع من زيارة المعابد ، حتى لا تفسد غيرها من النساء .. فاذا وضعت أية زينة ، كان من حق أول رجل يصادفها ، أن يمزق عنها ثيابها ، وأن يستولى على حليها ، وأن يضربها بشرط الا يقتلها أو يصيبها بعاهة تقعدها . أما اذا وجه الاتهام علنا الى اثنين بارتكاب الزنا ، فيحاكمان ، واذا أدينا عوقبا حتى الموت .

ويروى « بلوتارخ » أن الزانية فى (سيمه) كانت تجر الى السوق ، وتعرض عارية للجميع ، ثم توضع على بغل

يطوف بها المدينة ، وتوضع بعد ذلك على حجر معين ، نهبا للأبصار .. وتدمغ بلقب « راكبة البغل » !

وكان الطريق الى الخيانة الزوجية ، أو الزنا عامة ، يمهد بوساطة الخادمات والوصيفات ، طمعا فى المال .. وكن يحملن الرسائل والهدايا ، ويدبرن الاجتماع فى الخفاء .. وقد وصف « أوفيد » ، فى كتابه « فن الحب » ـ الذى قدمه اليك « كتابى » فى عدده (٢٨) ـ كيف أن وصيفة « فيدرا » ، استعملت كل الحيل والدهاء لاستمالة « هيبوليتاس » ـ ابن زوج فيدرا ـ عندما شغفت مولاتها حبا به !

على أن الخادمات والوصيفات لم يستأثرن بهذا المجال ، بل قامت طائفة خاصة ـ أطلق عليها اسم « مدبرى الفرص » ـ بتهيئة الحب ، لقاء أجر . ويصف لنا « هيرونداس » ـ فى القرن الثالث قبل الميلاد ـ صورة من نشاط هذه الطائفة ، عندما كانت زوجة تدعى « ميتريخ » تجلس مع وصيفتها ، عاكفة على التطريز ، وهى مشغولة البال لأن زوجها « مندريس » رحل الى مصر ـ قبل عشرة شهور ـ ولم يعد .. وفجأة ، تدوى طرقات على الباب ، فتقفز الزوجة فرحة ، اذ تظن أن زوجها عاد ، واذا بها ! أمام « قوادة » عجوز ، تدعى « جيليس » .. ويدور بينهما حوار ، نقتطف منه ما يلى :

ميتريخ : ما الذى أغراك بزيارتى ، وقد مضت خمسة أشهر منذ رآك أحد ببابى ؟

جيليس : ان الشيخوخة تقعدنى ، والموت يقترب منى . ولكن ، لا بد أن حياتك موحشة يا ابنتى ، وأنت تأوين الى مخدعك وحيدة .. **لا بد أن « مندريس » قد نسيك ، ونهل ـ من جديد ـ من كأس الحب . ففى مصر بيت أفروديت ، وفيها الثراء ، والنفوذ ، والسلام ، والمجد ، والربات ،**

والفلاسفة ، والمحظيات .. ما رأيك فى أن تدفئى مخدعك ؟.. انك ستذوين بعيدا عن الأعين ، وستفنى يد البلى جمالك الناضج . الا غيرى مسلكك يومين أو ثلاثة ، واسعدى مع صاحب آخر .. فلا أحد يدرى الى متى يدوم الشباب !

وتعرض عليها صحبة شاب ، تمضى فى تعداد أمجاده ، ووصف محاسنه ..

ميتريخ : ان الشيب يطفىء ذكاءك . ما كنت لأصغى لكلمات كهذه من امرأة غيرك ، بحق ما يداخلنى من أمل فى أن أرى ((مندريس)) يعود سالما ..

جيليس : ما جئت بنية اغرائك على الفساد ، انما جئت أحدثك عن حفلة .. فليرافقك الحظ . حافظى على نفسك !

((الجرسونيرات)) ، وزواج التجربة ، عند الاغريق !

● **وفى** هذا المثال ، أخفقت ((القوادة)) ، اذ أن ((ميتريخ)) كانت واعية بطرقها فى التسلل خلال نقاط الضعف فى نفس المرأة الوحيدة .. ولكن ما أورده المؤلفون القدامى عن ((أوكار الهوى)) ، ينم عن أن السعى للجمع بين العشاق كان مهنة رائجة .. كذلك كان من المألوف أن يعير صديق صديقه داره ليأوى اليها فى لقاءات الحب الآثم .

ولم يكن نادرا أن يعلم زوج بغراميات زوجته ويتغاضى عنها ، وقد يتقبلها كمورد لكسب مادى . على أنه كان لازوجة ـ التى تأبى أن يتكسب زوجها من بدنها ـ أن تطلب الطلاق منه !

وكانت هناك أسباب أخرى للطلاق : منها عدم التوافق فى الطباع ، ومنها العقم ، اذ كان الاغريق يرون أن الغاية الأولى للزواج هى انجاب النسل .. وروى عن ((كريتس)) انه قدم ابنته لتكون زوجة لمدة ثلاثين يوما ، ((على سبيل التجربة)) ، فان انجبت أستمر الزواج ، وان لم تنجب فسخ !

النساء يضربن الرجال لحملهم على الزواج !

● على أن كل ما قيل عن الزواج عند الاغريق ـ حتى الآن ـ ليس سوى محاولة لتكوين صورة عامة ، من خلال فقرات متناثرة فيما كتب مؤلفوهم ، تصلح أساسا لدراسة الزواج ، ومعرفة وضع الزوجة ، فى الحضارة الاغريقية . ومن أغنى المصادر فى هذا الصدد كتاب « مأدبة العلماء » ، الذى وضعه ـ فى ١٥ جزءا ـ الفيلسوف السكندرى المصرى « اثينايوس » ، فى عهد الامبراطور الرومانى « ماركوس أوريليوس » . وقد جمعت تلك المأدبة ٢٩ من خيرة المثقفين الرومان ـ فى كافة فروع العلم ـ وتناولت مناقشاتهم كافة نواحى الحياة . وفى بداية الجزء الثالث عشر ، ورد الحديث عن الزواج ، وجاء فى سياقه : **« كان من عادة الاسبرطيين أن يحبسوا الفتيات ـ اللاتى فى سن الزواج ـ فى حجرة مظلمة ، ومعهن الشبان غير المتزوجين . وكان كل شاب ينطلق بالفتاة التى يصل اليها فى الظلام ، ليتزوجها دون صداق أو دوطة » ! كذلك قيل ان النساء كن ـ فى عيد معين ـ يسقن الرجال غير المتزوجين الى مذابح المعابد ، وهن يضربنهم بقضبان ، حتى يقبلوا على الحب والزواج ، تفاديا للفضائح !**

وكان تعدد الزوجات معروفا فى (اثينا) ، فى بعض مراحل تاريخها ، ويقال أن « سقراط » كان متزوجا من اثنتين ، احداهما « اكسانتيب » ـ التى اقترن اسمها بسيرته ـ والأخرى كانت تدعى « ميرتو » .. كما أن الرجل كان يقتنى ـ الى جانب زوجته ـ المحظيات .. وقد عاب « ثيرساتيس » على « اجاممنون » ـ فى « الالياذة » ـ كثرة زوجاته وجواريه ، ووصف « ارسطوطاليس » هؤلاء الجوارى بأنهن لم يكن سوى « منحة شرف » للبطل .. وعرف عن « هرقليس » انه كان أكثر رجال عصره نساء ، ولكنه لم يكن

يعاشر أكثر من واحدة ، فى المرة الواحدة .. وذلك اثناء أسفاره وحملاته العديدة .

كذلك كان الشاعر «يوريبيدس » من المولعين بكثرة النساء . ولقد قيل مرة لسوفوكليس أن « يوريبيدس » عدو للمرأة ، فقال : « انه كذلك فى تراجيدياته فقط .. أما فى الفراش ، فهو مشغوف بالنساء » !

الزوجات فى أدب الفكاهة الاغريقى !

● **والأدب** الاغريقى حافل بالسخرية من الزوجات .. فيقول الكاتب المسرحى الهزلى « اليكسيس » ، فى احدى تمثيلياته : « ما أشقانا – معشر الرجال – اذ بعنا حريتنا فى العيش والرفاهية ، لنصبح عبيدا لزوجاتنا » !.. **ويحسد « اكسينارخوس » الجراد على اناثه ، لأنها خلقت بلا صوت ، ومن ثم فان ذكور الجراد فى راحة من ثرثرة زوجاتهم !.. أما « اريستوفون » فيقول ان الرجل الذى يتزوج مرة معذور ، أما الذى يتزوج للمرة الثانية ، فلا عذر له فيما يلقى من عناء !..** ويقول « انتيفانيس » عن أحد الأشخاص : « أصحيح انه تزوج ؟.. كيف وقد كان بالأمس يمشى على قدميه ؟ » !.. بينما يقول « يوريبيدس » ، ان دفن المرأة خير من الزواج منها !

ويروى عن « اريستوفانيس » قوله : « ليس ثمة وحش عات ، لا سبيل للتغلب عليه ، يفوق المرأة .. وما من نار أو نمر كاسر يضارع المرأة فى عدوانها ، دون تورع » !.. وقد ساق فى تمثيلياته على السن النساء كثيرا من آرائه التى تحط من قدر المرأة .. فهو يصفها بالفجور ، والخيانة ، والطغيان .. ويدعو الى حبسها خلف أبواب محكمة الاغلاق !

وفى قصيدة ساخرة ، نظمها « سيمونيدس » – فى القرن السابع قبل الميلاد – نجد الشاعر يقول ان تسع نساء من

كل عشر ، لسن أهلا لأى اعتبار ، وذلك راجع الى أصولهن .. فالنساء - عنده - ينتسبن الى أصول عشرة : المرأة القذرة ، ويرجع أصلها الى الخنزير ، والفائقة المكر - وينسبها الشاعر الى الثعلب - والفضولية وتنتسب الى الكلب ، والغبية التى لا تحسن سوى الأكل وتنتسب الى الأرض ، والمتقلبة الأهواء وتنتسب الى البحر ، والخاملة وينسبها الشاعر الى الحمار ، والحقود وينسبها الى القط ، والتى لا هم لها سوى الثياب والزينة وينسبها الى الحصان ، والقبيحة الشكل وينسبها الى القرد !

أما المرأة العاشرة - الوحيدة الجديرة بالثناء - فتنتسب الى النحلة ، وهى أصلح النساء لأن تكون زوجة ، فهى ربة بيت نشيطة ، وأم يقظة شديدة العناية .. والمرأة من هذا الصنف تعيش مع زوجها ما امتدت حياتهما ، وتنجب له سلالة تمتاز بالجمال والتفوق .

فلسفة الملابس عند الاغريق

● **اذا** كان منشأ الثياب فى فجر التاريخ راجعا الى الرغبة فى اتقاء تقلبات البرد ، فان الملبس لم يلبث أن ارتبط بالرغبة فى ستر بعض أعضاء الجسم - حياء واحتشاما - وبالميل الى التزين وابراز بعض مفاتن الجسد .. وقد أصبح هذا الميل - فى عصرنا - هو أهم ما يهدف اليه الكساء ، اما الرغبة فى ستر بعض الأجزاء ، فهى متقلبة متغيرة ، تبعا لتقدم الثقافة ولتطور مفهوم الحياء والاحتشام !

ولم تكن ثياب الصبى - عند الاغريق - تهدف الى اظهار جمال الجسم ، اذ كان الزى الوحيد له حتى مرحلة البلوغ ، (فى السادسة عشرة من العمر عادة) ، عبارة عن مئزر يربط الى الكتف اليمنى ، أو يثبت على الصدر ، وينسدل حول الجسم . وكان هذا الزى يمتدح لأنه يكسب الولد خشونة

وقوة ، نتيجة لبساطته ، ولأنه يعوده مواجهة تقلبات الجو ..

وهنا قد يتردد سؤال : لماذا لم يعن الاغريق بلباس الصبى ، وهم الذين كانوا يطرون جمال الصبيان ؟.. الواقع أن السبب قد يرجع الى أن الصبى كان يقضى ثلاثة أرباع يومه عاريا تماما ، فى الحمامات والملاعب ومدارس المصارعة وأماكن السباحة ..

أما زى الرجال ، فكان فى الغالب يتألف من قميص داخلى من الصوف أو الكتان ، ووشاح يتمثل فى قطعة مستطيلة من القماش ، تلقى على الكتف اليسرى ، ويوضع طرف منها تحت الابط ، بينما تشد من الطرف الآخر حول الظهر نحو الكتف اليمنى ، أو تحت الابط اليمنى ، ثم يرفع طرفها المشدود الى الكتف اليسرى ثانية ، عبر الصدر . وكانت طريقة الرجل فى ارتداء هذا الوشاح ، تعتبر مقياسا لثقافته العامة . وفى الجو المعتدل كان الكثيرون يكتفون بالقميص ، ويطرحون عنهم الوشاح ، كما كانت عادة الفيلسوف « سقراط » ، وملك اسبرطة « اجيسلاوس » ، وحاكم سيراكيوز « جيلون » وكان الساخرون يطلقون على نابذى الوشاح لقب « جينموس » ، أى العارى !

وكان قميص الرجال يصل الى الركبتين ، أو يتجاوزهما قليلا .. فاذا زاد طوله ، اعتبر مظهرا للبذخ والزهو ، كما كان عند « السيبياديس » . أما اذا انتهى القميص فوق الركبتين ، فكان يعتبر مظهرا للوقاحة وعدم الحياء ، لا سيما أن القميص القصير ينحسر عند الجلوس ، فيكشف الفخذين ، مما كان يعتبر مجونا وسوء أدب !

المرأة .. بين ((الديكولتيه)) ، والقميص السابغ !

● ومن الحقائق الطريفة ، أن البذخ والأناقة لم يلازما ابتكار الأزياء النسوية لدى الاغريق ، الا فى فترة « الحضارة

الايجية » ، السابقة على التاريخ الاغريقى المعروف .. وبفضل بعض تماثيل وآثار آلت الينا من قصر « كنوسس » الكريتى ، نتبين أن نساء الطبقة الراقية والبلاط الملكى ، كن – فى النصف الأول من الألف سنة الثانية قبل مولد المسيح – يرتدين من الخصر حتى القدمين « جونلة » تتألف من عدة طبقات بعضها فوق بعض ، بحيث تبدو كأنها عدة « جونلات » . أما النصف الأعلى من الجسم ، فكان يغطى بزى محكم الالتصاق حول الكتفين والبطن ، يشبه « الجاكيت » وله اثنان من الأكمام . ولكن الثديين كانا يبرزان من صدر هذه « الجاكيت » عاريين تماما ، كتفاحتين شهيتين تبتسمان للنظارة !!.. وبوجه عام ، فان « فن » الكشف عن العنق والنحر والكتفين لم يكن مجهولا لدى المرأة الاغريقيـة ! وقد بدأته نسـاء (كريت) .. على أنه لم يلبث أن تضاءل وتلاشى مع تطور المدنية الاغريقية ، ومع توارى المرأة عن المجتمعات والحياة العامة ..

على أن هذا لم يمنع من أن تشيع بين النساء – من آن الى آخر – بعض أشكال « الديكولتيه » التى تكشف عن جزء من العنق .. كما انتشرت بينهن – فى بعض الفترات – أزياء تغطى الجزء الأعلى من الجسم تماما ، ولكنها كانت تصنع من أقمشة شديدة الشفافية ، حتى لتكشف عما تحتهـا بشكل أكثر اغراء من العرى !

وبعد العهد « الايجى » ، اتخذ الزى النسوى الاغريقى شكلا موحدا نسبيا ، يتمثـل فى قميص يلبس على الجسد العارى ، ويصل الى الركبتين أو ما تحتهما . ولم يشذ عن الاجماع على هذا الزى سوى اناث (اسبرطة) ، فكان القميص عندهن يعلو على الركبتين ، ويشق من الجانبين – من الركبة حتى قرب الخصر – ليسهل الحركة عند المشى .. وكان بقيـة أهل اليـونان يستهجنون هـذا القميص الاسبرطى ، ويسمون لابساته « عاريات الأفخاذ » !

وكان القميص وحده يلبس فى داخل البيوت .. فاذا غادرت المرأة الاغريقية بيتها ، ارتدت فوقه وشاحا لم يكن يختلف كثيرا عن وشاح الرجل ، اللهم الا فى بعض لمسات انثوية ، تتباين بتباين الزمن والوسط .

لا جديد تحت الشمس .. فى أناقة المرأة !

● **وكان** للنطاق (الحزام) الذى يحيط بالردفين ، معنى جنسى ، فهو رمز العذرية . ولم تكن المرأة الاغريقية على علم بالمشدات أو « الكورسيه » ، ولكنها كانت تعرف حمالات الثديين ، التى تشبه « السوتيان » ، وكانت تستخدم لتحول دون ظهور الثديين مترهلين أو متهدلين ، ولتكويرهما واخفاء أى عيب فيهما ، فى الوقت ذاته .. وفيما عدا ذلك ، لم تكن ربة البيت ترتدى شيئا آخر . أما نساء المجتمع ـ الرفيقات أو النديمات ـ فكن يستعملن بعض أشياء اضافية للتجميل : **مثل رباط يلف حول البطن ليخفى الترهل أو ليخلص صاحبته من حمل حديث العهد .. ومثل طبقات من الفلين تلصقها المرأة القصيرة بنعليها .. ومثل بعض الحواشى التى تستعملها المرأة النحيلة لتبدو ذات ردفين مغريين !**

وكانت ثياب المرأة تصنع ـ فى الغالب ـ من التيل أو الكتان . وكان ثمة نوع من الكتان الرفيع ينبت فى جزيرة (امورجوس) . وقد برع أهالى جزيرة (كوس) فى صنع نسيج من الحرير ينافس نسيج العنكبوت فى رقته وخفته ، وكانت ألوانه فى نضارة ألوان المروج .. وقد انتقد الفيلسوف « سينيكا » الثياب المصنوعة من أمثال هذا النسيج ، قائلا : « أرى ثيابا حريرية ـ ان صح أن تسمى ثيابا ـ تكسى بها الأجسام أو الأجزاء الواجب اخفاؤها منها ، ليجوز للمرأة التى ترتديها أن تقسم ـ وهى مرتاحة الضمير ـ بأنها ليست عارية .. وتستورد هذه الثياب بنفقات باهظة ، من بلاد بعيدة ،

لكى لا يبقى للنساء ما يكشفنه لعشاقهن فى المخادع ، فوق ما يراه هؤلاء العشاق فى العلانية » !

العرى لم يكن عيبا بالمعنى الجنسى !

● وبغض النظر عن الثياب التى لا تكاد تحجب شيئا من خفايا الجسم ، فان الرأى الذى تجمع عليه المراجع هو أن العرى كان شائعا عند الاغريق . ولكن شيوعه كان نسبيا ، ولم يكن مطلقا .. اذ كان الاغريق يكشفون أجسامهم عارية فى الملاعب الرياضية ، والألعاب القومية فى (أوليمبيا) ، وفى مباريات الجمال ، وفى معبد (سيريس) فى (اركاديا) ، وفى حلبات المصارعة بين الصبية والصبايا فى (اسبرطه) و (كريت) وغيرهما ، وفى معبد فينوس بكورينثه ، وفى بعض الرقصات فى مآدب العظماء ..

ومما ورد فى كتابات الاغريق يشعر المرء بأن العرى لم يكن عيبا أو نقيصة عندهم ، فى أية ظروف . ولكن البحث الدقيق يبين أن من الخطأ أن نأخذ هذا الرأى على أنه حكم عام صحيح ، بل ان « أفلاطون » و « هيرودوتس » نفيا تحبيذه بين الاغريق ، وحاول « هيرودوتس » أن ينسبه الى « غير الاغريق » ممن كانوا يقيمون فى بلاد اليونان ، مثل الفينيقيين . ولقد كانت العادة فى الألعاب الأوليمبية القومية ــ قديما ــ أن يظهر المرء عاريا الا من كساء حول ردفيه . ومع ذلك فلسنا نملك أن نعد هذا الكساء راجعا الى أسباب « خلقية » ، اذ أننا نجد فى آثار الكتاب ما يوحى بأنه تقليد نشأ عن تأثر برأى أخذه الاغريق عن الشرق ، فى العهود الأولى من تاريخهم ! .. ولقد آثر الاغريق أن يتحرروا من هذا الرأى . وسمحوا للمتسابقين فى الجرى مثلا بأن ينطلقوا فى عرى كامل !

وقد نجم عن ذلك ، أن بدأ ذوو الأجسام السليمة يرون أن ترك الجسم عاريا ـ فيما عدا الأجزاء الجنسية منه ـ أمر غير طبيعى ، وأن ستر هذه الأجزاء يوحى بأن وظائفها أقل قيمة وأحط قدرا من سواها من أجزاء الجسم ، **فى حين أن الاغريق كانوا ينظرون الى أعضـــاء التناسل نظـرة اجلال وتقديس ، بوصفها أدوات التكاثر وحفظ العنصر الانسانى ، وبوصفها رمز للطبيعة ورسالة الاثمار والانتاج المستمرين .** ومن ثم فانهم كانوا يصفونها بأنها « الأعضـاء المكنونة » ، وليست الأعضاء الداعية للاستحياء أو العار !.. بل ان عضو التذكير اكتسب لديهم طابعا دينيا ، فكانوا يتعبدون اليه فى مختلف أشكاله ، وأشهرها القرن الذى كان يصنع ـ فى الغالب ـ من خشب شجر التين !

كانت الملاعب ملتقى الفلاسفة وعشاق الجمال

● **ومن** كل هذا نستطيع أن ندرك ما كان يدعوهم الى ممارسة الألعـاب الرياضـية وهم عراة .. بل ان كلمة « جيمنازيون » Gymnasion اشتقت من Gumnos أى العرى . وعنها أخذت اللغة اللاتينية كلمة Gymnasium ، مع شىء من التحريف فى تحليل المعنى .. اذ أن الكلمة الأصلية كانت تعنى مكانا يتألف من فراغ طوله حوالى ٣٦ مترا ، يحاط من ثلاث جهات بأعمدة . وبين صفين من الأعمدة فى الناحيـة الجنوبية منه ، توجد مساحة يمارس فيهـا الرياضة أولئك الذين بلغوا سن الرشد ، وحان أن يصبحوا مواطنين مستقلين .. وكانت سن الرشد فى (أثينا) حوالى الثامنة عشرة . وكانت تحيط بالملعب حمامات وقاعات وأبهاء ، يؤمها الفلاسفة والخطباء والشعراء وكافة أنصار « جمال الرجولة » ، تزدان بتحف فنيـة ، لا سيما تماثيل « هرمز » و « هرقل » و « ايروس » .. وكذلك تماثيل الحوريات . وهكذا كانوا

يضيفون تأمل الجمال الفنى ، الى التمرينات التى تكسب الصبية والفتيان والرجال تناسق الأعضاء ، وجمال الجسم بوجه عام .. وكانت الملاعب ـ التى يجرون فيها هذه التدريبات ـ أماكن للقاء أهل الفكر والفن ، يقضون فيها الوقت فى حديث وراحة ، بين مشاهد أرقى آيات الجمال .

وتجمع كل المصادر على أن الاغريق كانوا يحرصون على أن تخلو هذه الأماكن من النساء ، فلم يكن مسموحا لأية أنثى أن تضع قدما فيها .. بل لم يكن مسموحا للاناث بمشاهدة الحفلات الشعبية للمباريات الرياضية . فاذا جرؤت امرأة على أن تتسال بين النظارة ـ فى الألعاب الأوليمبية ـ واكتشف أمرها ، أقدم الرجال على القائها من فوق صخرة (تيبايوم) الشاهقة ، فى جبل (الأوليمب) . ولم تعف من هذا المصير سوى امرأة واحدة ، هى أم البطل « بيسيرودوس » اذ دفعتها عاطفة الأمومة الطاغية الى أن تسعى لمشاهدة تفوق ابنها ، فتنكرت فى زى « مدرب » رياضى .. ولكن أمرها انكشف وهى تقفز الحواجز ـ التى كانت تفصل المدربين عن المتبارين ـ لتهنىء ابنها بالفوز . ولم ينجها من العقاب سوى أن أسرتها كانت قد أنجبت عددا كبيرا من الأبطال الأوليمبيين .. ولكن عملها أدى الى اشتراط العرى التام للمدربين الذين يحضرون المباريات ، فيما بعد !

مشاهدة جمال الرجال .. وقف على العذارى !

● على أن اقصاء المرأة عن الملاعب لم يكن متبعا بهذا التشدد فى جميع ارجاء الامبراطورية الاغريقية .. ففى (سيرين) ، المستعمرة الاغريقية فى افريقيا ـ وتعرف الآن باسم (شحات) ، فى منطقة الجبل الأخضر ببرقة ، بالجمهورية الليبية ـ كان مباحا للنساء حضور المباريات الرياضية !.. بل ان المؤلف « باوسانياس » ذكر أن راهبة معبد « ديميتر »

كانت تستمتع بمقعد دائم لمشاهدة المباريات الأوليمبية . كما ذكر هذا المؤلف أن الفتيات غير المتزوجات كن يشهدن المباريات .. **أما السبب فى تحريم المشاهدة على المتزوجات ، واباحتها للعذارى ، فقد حير الدارسين القدامى ، وان كان من الممكن أن نعزوه الى أن حب الاغريق للجمال ، كان يدعو الرجال أن يحيطوا أنفسهم بالعذارى ، وهم يشاهدون المباريات التى تتكشف فيها أسمى معالم جمال الرجال !**

كذلك لم تكن (اسبرطه) تعترف بالتفرقة بين الرجال والنساء فى هذا المجال ، فكان للنساء حق ممارسة الألعاب الرياضية عاريات ، مع الرجال العراة ، دون ما تفرقة جنسية !.. وكذلك كانت الحال فى جزيرة (خيوس) . ويستبعد بعض الباحثين أن يكون عرى المرأة كاملا فى مثل هذه المناسبات ، استنادا الى أن كلمة Gymnos كانت تعنى — الى جانب العرى — الاتشاح بغلالة من القماش الرقيق ، شبه الشفاف . غير أن معظم الكتاب الاغريق — والرومان كذلك — أوردوا ما يؤكد العرى التام .. فضلا عن أن « أفلاطون » طالب بأن تحذو (أثينا) حذو (اسبرطه) فى اباحة اشتراك النساء مع الرجال فى التمرينات الرياضية وهن عاريات .. وأكد « بلوتارخ » أن ممارسة الشابات للرياضة عاريات ، على مرأى من الشباب ، كانت ناشئة عن سبب جنسى ، هو تشجيع الشبان على الزواج .

ولقد يكون من العسير أن نجزم بجواب ، اذا تساءل شخص : هل كان الاغريق يستمتعون بمشاهدة الأجسام العارية عن لذة ، أو عن ادراك فنى لما فى جمال الجسد العارى من ابداع ؟.. على أن النظرة العامة توحى بأن « اللذة » الناجمة عن مشاهدة الجسد العارى قد سمت وارتقت عن طريق الفن ، كما أن كثرة مشاهدة العراة كانت ذات أثر كبير فى الابداع الفنى .

مأساة ملكة (ليديا) ، بين زوجها .. وصديقه !

● **وقد** أدى الاعجاب بالجمال الجسدى بالاغريق ، الى اقامة مباريات للجمال ، كان للفتيات فيها النصيب الأوفر . ولعلهم أخذوا هذا التقليد عن أساطيرهم الدينية التى كانت تقول ان الربات « هيرا » و « بالاس أثينا » و « أفروديت » ، اختلفن فيما بينهن حول من منهن الأكثر جمالا .. فلما احتكمن الى « زيوس » ، لم يشأ أن يبت فى الأمر ، ووكل الحكم الى الأمير الطروادى « باريس » !

وغنى عن الذكر أن مباريات الجمال لم تكن قاصرة على الاناث ، بل كان للذكور مباريات لجمال الأجسام كذلك . فان الاستمتاع بمشاهدة الجمال ـ عند الاغريق ـ كان أقوى من أن يجعل للدواعى الخلقية التى نعرفها أى سلطان يحرمهم من ممارستها .. ويروى « هيرودوتس » فى هذا الصدد قصة « كانداولس » ـ ملك ليبيا ـ الذى كان مشغوفا بحب زوجته ، مزهوا بجمال جسدها ، فكان يفخر به أمام الجميع . ولقد شاء أن يؤكد صدق زهوه ، فأصر على أن يتيح لصديقه « جايجس » ـ الذى كان مقربا اليه ، أثيرا بالحظوة لديه رؤية زوجته عارية .. فأخفاه فى المخدع ، بينما كانت الزوجة تتجرد من ثيابها !.. ويمضى المؤرخ فيقول ان الزوجة علمت بما دبره زوجها ، فلم تشأ أن تقول شيئا لفرط الاستحياء ، ولكنها ـ فيما بعد ـ وضعت « جايجس » أمام أحد أمرين : أما أن يقتل « كانداولس » ويظفر بها وبالمملكة ، وأما أن يلقى مصرعه فورا .. وطبعا ، آثر أن يقتل صديقه وأن يخلفه فى الملك وفى الاستمتاع بالمرأة الفاتنة !

ولقد أبرز « هيبولوخوس » ـ فى وصفه لمآدب الزفاف ـ ان عازفى الناى من الذكور ، والراقصات من الاناث ، كانوا يظهرون فى هذه الحفلات عرايا ، أو فى غلالات شفافة ، لتأكيد

ما للعرى من مفعول جنسى . وكان الصبية والصبايا يستدرجون الى هذه المآدب عرايا ، ويسقون الخمر ، لبيان أثر الخمور فى ارضاء اله الحب !.. وكان « اناكسارخوس » ـ الأثير لدى الاسكندر الأكبر ـ لا يشرب الخمر الا اذا سكبته له فتاة عارية !.. والى جانب كل هذا ، لا يفوتنا أن نذكر ـ وان لم تكن ثمة حاجة الى اسهاب ـ ان العرى كان بين الطقوس التى تتضمنها عبادة الآلهة ، عند الاغريق .

العذارى يدلكن جسم الضيف اكراما له !

● **ولقد** أورد هوميروس فى « الأوديسه » أن تقاليد الضيافة عند الاغريق كانت تتضمن أن يساق الضيف الى حمام ساخن ، تقوم على خدمته فيه فتيات يسكبن له الماء الدافىء ، ويدلكن جسمه بالزيوت والعطور .. وقد رؤى ـ فيما بعد ـ أن الغلمان أفضل من الفتيات لهذه الاجراءات التكريمية .

وكانت العائلات الراقية ـ فى العهود الأولى ـ تمتلك حمامات خاصة . أما الآخرون من العامة فكانوا يرتادون حمامات الملاعب ، والحمامات العامة ، وهذا ما يرجح أن لفظ « حمام » كان يعنى عندهم ـ بوجه عام ـ الحمام الساخن .. لأنهم جميعا ، فيما عدا ذلك ، كانوا يمارسون السباحة والاغتسال ، فى البحر والأنهار .

وكان الناس يستحمون عرايا .. وليس هناك ما يجزم بأن الحمامات كانت مقسمة تبعا للجنس . واذا كان لفظ « حمامات النساء » قد تردد كثيرا ، فانه فى الواقع يحتمل تأويلين : اما حمامات تقتصر فيها خدمة الرواد على النساء ، واما حمامات يحرم دخولها على النساء .. **على أن أهل (اسبرطه) كانوا يفرقون بين « حمامات النساء » و « حمامات الرجال » على أساس آخر : هو أن الأولى كانت ساخنة ،**

وكانوا يعتبرون استخدام الرجال للمـــاء الساخن نوعا من ((التخنث)) و ((الطراوة)) !

وفيما عدا (اسبرطه) من بلاد اليونان ، فان التفرقة بين ((حمامات الرجال)) و ((حمامات النســـاء)) كانت موجودة أحيـانا ، ولكن لسبب آخر غير التفرقة الجنسـية : هو ما عرفناه عن الاغريق من اقصاء للاناث عن الحياة العامة .

أعياد الاغريق ومهرجاناتهم

● **وبالرغم** من الحضـارة التى أورثهـا الاغريق للعالم ، فانهم لم يبلغوا درجة الكمال ، سيما فى المجال السياسى : اذ كانت بلادهم ممزقة الأرجاء ، لا تربطهـــا وحـدة ، وكانت الحزبية والتنـافس الحزبى يستشريان فى بلادهم . ومن ثم فانهم كانوا يفتقرون الى مركز ســياسى ، أو بمعنى آخـر ((قومى)) .

غير أن عقد المباريات الرياضية فى (ايليس) ــ الجزء الشمالى الغربى من جزر (البلوبونيز) ــ أوجـد نوعا من الترابط القومى المؤقت .. **وعندما أصبحت دورة الألعاب الأوليمبية تعقد مرة كل أربع سنوات ــ ابتداء من سنة ٧٧٦ قبل الميلاد ــ صارت فترة الترابط هــذه تجمع أهالى شتى أرجاء اليونان خمســـة أيام فى كل أربعة أعـوام .. فكانت الخلافات والحزازات تنسى خلالهـا ، وكانت الأسلحـة تلقى جانبا ، وتصبح أرض (ايليس) منطقة ســلام ، تحت رعاية الآلهة ..** وكان الفائز يتلقى تاجا من أغصان الزيتون ــ رمز السلام ــ يقتطعها فتى مليح ، (يشترط ان يكون والداه على قيد الحياة) ، من شجرة مقدسة ، بسكين من ذهب ! .. كما كانت هناك تيجان من شجرة الغار المقدسة . وكانت التيجان

جميعا تعرض على طاولة من الذهب والعاج ، فى معبد الآله « زيوس » ، وأمام تمثاله .

وكان الفائز فى المباريات الأوليمبية موضع تكريم وفخر عاليين ، يفوقان ما كان يحظى به القائد المظفر .. حتى ليقال أن « خيلو » ـ أحد حكماء (اسبرطه) السبعة ـ مات لفرط الفرح ، عندما بلغه فوز ابنه . ولقد ظفر « دياجوراس » ـ وهو من سلالة « هرقل » ـ بالفوز ببطولة الملاكمة فى دورتين من الدورات الأوليمبية ، كما فاز عدة مرات فى مباريات وألعاب أخرى . ثم قدر له ـ فى كهولته ـ أن يشهد ابنيه يظفران فى المباريات ، فصاح بأعلى صوته : « فلتمت يا دياجوراس ، فهذا ارفع ما يمكن أن يطمع فيه انسان ! » .. وعندما عانقه ابناه ، ووضعا تاجيهما فوق رأسه ، سقط ميتا !

كان المتبارون يخوضون ألعابهم عراة !

● **ولن** نفيض هنا فى وصف الألعاب الأوليمبية ، فان مهمتنا هى دراسة الأخلاق عند الاغريق ، خلال حياتهم الجنسية .. **وعلى ضوء هذا الهدف ، نجد أن الثياب التى كان المتبارون يرتدونها تعد ذات أهمية لنا . ويحدثنا « ثيوسيديدس » عن أن المتبارين ـ فى الأزمنة الغابرة ـ كانوا يتوسطون الحلبة عراة ، اللهم الا من ستر حول أردافهم . وقد سبق أن أشرنا الى أن هذا لم يكن راجعا الى سبب أخلاقى ..** وعلى أى حال فان المتبارين ـ فى الجرى ، على الأقل ـ طرحوا عنهم هذا الستر بعد الدورة الخامسة عشرة ، أى بعد سنة ٧٢٠ قبل الميلاد ، وصاروا يدخلون الميدان عراة تماما !

والى جانب الدورات الأوليمبية ، كانت هناك دورات لمباريات أخرى ، أهمها « البيثيا » التى كانت تعقد فى (دلفى) ، فى عيد « أبوللو البيثى » . وكانت تتألف من مباريات موسيقية وغنائية ، انتظمت فى البداية مرة كل تسع سنوات ،

ثم أصبحت ـ بعد سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ـ تعقد كل خمس سنوات ، بحيث يقع موعدها فى العام الثالث من الفترة بين كل دورتين أوليمبيتين .. كما كانت هناك دورات أخرى اقليمية ، لأنواع مختلفة من المباريات : مباريات رياضية ، وألعاب شعبية ، وأغان ورقص ، ثم ـ فيما تلا ذلك من عهود ـ مباريات تمثيلية .

كذلك كانت ثمة مهرجانات وأعياد خاصة ، بعضها كان يقتصر الاشتراك فيه على النساء ، مثل عيد ((ثيسموفوريا)) لتكريم ربتى التشريع : ((ديميتر)) و ((بيرسيفون)) . وبرغم تضارب المعلومات عن هذا العيد فانها جميعا تشير الى أنه كان احياء لذكرى الربة ((ديميتر)) مبتكرة الزراعة التى مكنت الحياة البشرية من الاستقرار فى جماعات ، وبالتالى أثرت على حياة النساء وعلى الزواج .. فكان شعار ((البذر والحصاد)) رمزا لشعار : ((الزواج والتناسل)) .

وكان الاحتفال بهذا العيد يقام فى كل مكان من اليونان ، حوالى شهر أكتوبر . وقد يختلف اسمه من مكان الى آخر ، ولكن أساسه واحد . وكان على كل امرأة تبتغى الاشتراك فيه ، أن تمتنع عن الاتصال الجنسى تسعة أيام قبل موعده ! .. وقد برر الكهنة ذلك بتحقيق الطهر والتقوى ، ولكنهم فى الواقع كانوا يرمون الى ان يذكى طول الحرمان اقبال المرأة على الطقوس الشهوية ـ التى كانت تتخلل الاحتفال ـ باندفاع ، وفى غير حرج ! .. وكانت النساء يضعن فى الفراش ـ خلال أيام الحرمان ـ أعشابا تهدىء من الشبق !

الصبية العرايا عنصر مشترك فى الاحتفالات

وفى (ميجارا) كان القوم يعقدون ـ فى بداية الربيع ـ مباريات يطلق عليها (ديوقليا) ، تكريما لذكرى البطل الوطنى ((ديوقليس)) . ولعل أطرف هذه المباريات ، مباراة فى

((التقبيل)) كانت تقام حول قبره ، وتقتصر على الأطفال ! .. ويقال انها مأخوذة عن احتفال مشابه كان يقام فى مدينة (طيبة) المصرية ! .. وأطرف من هذا ، ما كان يقام فى اليوم الثانى من أيام مهرجان (ديونيزيا) ، اذ كان الصبية يحجلون على قدم واحدة – وهم عرايا – فوق قربة مليئة بالخمر ، وقد مسح ظاهرها بكثير من الزيت لتكون زلقة .. ومن ثم فقد كان المتبارون يقعون – فى الغالب – فى أوضاع تثير الضحك !

وكان يعقب هذا المهرجان فى (ديونيزيا) – فى الشهر التالى ، الذى كان يقع حوالى أواخر مارس وأوائل ابريل – عيد ((ديونيسوس)) . وكان يستغرق سحابة النهار ، طيلة أيام ثلاثة متعاقبة ، يتوافد فيها الناس من كافة أرجاء بلاد اليونان ، وتجرى فيها المباريات بين الصبية فى الغناء والرقص ، وتقدم فيها آيات التقدير للمبدعين منهم ولأساتذتهم .. فاذا غربت الشمس ، أسرف القوم فى الشراب ، واشتركوا فى مختلف وسائل اللعب واللهو .. وكانت التمثيليات ((التراجيدية)) و ((الكوميدية)) تعرض فى كل مكان فسيح من المدينة .

والى جانب هذا ، كانت تنظم مهرجانات للاله ديونيسوس – فى كثير من أرجاء اليونان – مرة كل عامين ، ويقتصر الاشتراك فيها على النساء والفتيات .. فكن – اذا أقبل الليل – خرجن الى المرتفعات المجاورة لمعابد هذا الآله الاغريقى وهن فى زى ((باخوس)) آله الخمر ، أو فى ثياب من جلود الماعز ، وقد نثرن شعورهن فى غير تنسيق ، وحملن آلات موسيقية .. وبين الرقص والغناء ، كن يقدمن القرابين ، شكرا للرب على أن أتاح لهن شرب النبيذ ، الذى نادرا ما كان يسمح للاناث بتناوله !

رقص الأولاد العرايا فى اسبرطه

وفى شهر (هيكاتومبايون) ـ أواخر يوليو وأوائل أغسطس ـ كان الاغريق يحتفلون بعيد « هياسينثوس » ، (وكان هو الصبى الأثير لدى الآله « ابوللو » ، مما أثار غيرة الآله « زيفروس » ـ اله الريح ـ فانتهز فرصة انهماك ابوللو وفتاه فى اللعب بالقرص ، وطوح القرص الى رأس الصبى ، فقضى عليه !) .. وكان العيد ثلاثة أيام ، تقدم فى أولها القرابين وسط مظاهر الحزن .. بينما تنظم المواكب المرحة والمباريات فى اليومين الآخرين ، فيعزف الصبية على الآلات الموسيقية ويغنون ويرقصون . ثم تغنى مجموعات من الشباب ، بينما يتخلل الراقصون والعازفون صفوف المنشدين ، وتنطلق حول مكان الاجتماع مركبات من الخيزران أو الخشب ، تحمل العذارى ..

وكانت (اسبرطه) تحتفل سنويا ـ منذ سنة ٦٧٠ قبل الميلاد ـ بذكرى شهدائها فى (ثيريا) قبل ذلك بحوالى ١٢٥ سنة . وكان ذلك الاحتفال يسمى ((جيمنوبيديا)) ـ أى رقصة الأولاد العرايا ـ اذ كانوا يختارون أجمل الأولاد ليؤدوا الرقصات وبعض الألعاب الرياضية ، وهم عرايا .. وكان أهل (اسبرطه) يحرصون على اقامة حفلات هذا العيد ، لفترة تتراوح بين ستة أيام وعشرة ، مهما تكن الأحداث !

وكانت بلاد اليونان تشهد أغرب عيد من أعيادها فى شهر « بويدروميون » ـ أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر ـ وهو عيد يهدف الى الاحتفال بذبول الحبوب ثم عودتها الى الانبات والازدهار ، رمزا الى الموت والبعث . وهذا يقابل ما ورد فى أساطيرهم عن « بيرسيفون » التى اختطفها « هاديس » وقضى عليها بأن تعيش ستة أشهر من كل عام تحت الأرض وفى الظلام ، وستة أشهر فوق الأرض وفى ضياء الشمس .. **وقد التصقت**

بهذا العيد أمور كثيرة من التحرر من الأخلاقيات ـ وان اتخذت طابعا دينيا غريبا ـ وقد تطورت هذه الأمور الى طقوس لمذهب دينى تحاط عباداته وتطبيقاته بغموض عجيب !

وفى الأيام الستة الأولى من هذا العيد ، الذى كان يستغرق تسعة أيام ، كان القوم يخرجون فى مواكب مرحة الى البحر ، وهم يقدمون القرابين وسط الضجيج والضوضاء .. ثم يغتسلون فى البحر ـ رمزا للتطهر ـ وينطلقون فى « الطريق المقدسة » بين أثينا واليوسيس ، وهى مسافة تعادل ١٤ كيلومترا .. فكان الآلاف يسيرون وقد أحاطوا رؤوسهم بتيجان من الغصون ، وحملوا المشاعل وأدوات الزراعة وسنابل القمح وأقماع الذرة ، يتقدمهم كاهن فى زى « اياخوس » ـ وهو الاسم الأثينى للمعبود « ديونيسوس » ـ حتى يبلغوا خليج (اليوسيس) ، حيث تظل الجبال تردد أصداء أغانيهم ، والأمواج تعكس وهج مشاعلهم بقية أيام العيد .

أغرب الأعياد ينظم احتفالا بجمع العنب

● ومن الأعياد الاغريقية الطريفة عيد « أوسخوفوريا » ، الذى كانت أثينا تحتفل به فى شهر « بيانيبسيون » ـ أى بين أواخر نوفمبر وأوائل ديسمبر من كل عام ـ ابتهاجا بالكروم .. وكان القوم يعدون لهذا العيد بانتخاب أجمل الأولاد من كل القبائل ، ثم ينتخبون أجمل ولدين من بينهم ، بشرط أن يكون أبواهما على قيد الحياة ، فيعهدون بهما الى كاهنات بارعات الجمال ، موفورات النشاط ، لتربيتهما .. **فاذا حان موعد العيد ، انطلق الولدان ، وهما فى ثياب الاناث ، فى سباق من معبد ديونيسوس الى معبد « سكيراس » الأثينى ، عند مرفأ (فالبروم) ، وهما يحملان أغصانا من الكروم مثقلة بالعنب .. وكان الفائز يظفر بكاس من شراب « العناصر**

الخمسة »، الذى كان يتألف من المنتجات الرئيسية الخمسة على طول العام : النبيذ ، وعسل النحل ، والجبن ، والحبوب ، والزيت ..

ويرد « بلوتارخ » أصل هذا العيد الى « ثيسيوس » ، الذى زهد فى كل العذارى ، واختار غلامين - ليصحباه فى رحلته - ممن اجتمعت لهم الجرأة والشجاعة ، مع مظهر الاناث . وبالمداومة على الحمامات الساخنة ، وحمايتهما من الشمس والهواء ، وتضميخ شعورهما وتدليك جسميهما بالزيت ، اكتسبا مظهر الاناث . ثم أخذ « ثيسيوس » يدربهما على عادات الاناث ، وعلى تقليدهن فى الصوت والمشى والحركات ، حتى لم يعد من سبيل لتمييزهما عن العذارى . وعند عودته ، نظم موكبا تقدمه محوطا بالفتيين وهما فى ثياب النساء ، وقد حملا غصون الكروم ، تحية للالهين « باخوس » و « اريادن » ، اذ صادفت عودة « ثيسيوس » موسم جمع العنب ! .. وفى اليوم التالى لهذا العيد ، كان فتية أثينا ينظمون مهرجانا تتخلله الألعاب الرياضية ، ويشترك فيه الغلمان من كافة الأعمار ..

« كبش الفداء » يطرد من المدينة !

● **كذلك** كان الاغريق يحتفلون فى شهر « مينخيون » - ويقابل أواخر ابريل وأوائل مايو - بعيد « ادونيا » ، المستمد من أسطورة قديمة ، عن شاب بارع الجمال يدعى « ادونيس » كان أثيرا مقربا للربة « افروديت » ، فلما لقى مصرعه أثناء الصيد ، حزنت عليه الربة حزنا شديدا ، حتى أشفق عليها أبو الآلهة « زيوس » ، فوافق على أن يرده اليها من عالم الظلال لفترة قصيرة من كل عام .. لذلك كان هذا العيد يبدأ بيوم حزن ورثاء لأدونيس ، يعقبه - فى اليوم التالى - فرح وبهجة .. وكانت النساء بالذات هن أكثر الناس احتفالا بهذا العيد ،

الذى كانت تعرض فيه صور وتماثيل لأدونيس وأفروديت .

وفى عيد ((ثارجيليا)) ـ الذى كان يقام تكريما للالهين ((ارتيميس)) و ((ابوللو)) ـ اعتادت مجموعات من المغنين ، رجالا وأولادا ، أن تتنافس على الغناء . ولكن مدينة (كولوفون) امتازت بطقوس خاصة أدخلتها على هذا العيد ، عقب نكبة كانت قد حلت بها .. **فكان القوم يختارون ((فارماكوس)) ـ أى شخصا يعد بمثابة ((كبش فداء)) ، يضحى تكفيرا عن ذنوب القوم كلهم ـ وقد اعتادوا لهذا الغرض أن يختاروا أقبح رجل شكلا ، أو أبغض رجل الى قلوبهم ، فكانوا يسوقونه خلال المدينة ، بين مظاهر السخط والتحقير ، حتى يخرجوا به وراء أسوارها ، فيدفعوا اليه بخبز وجبن وتين ، ويطردوه بعيدا عنها !** ويضيف بعض الرواة أنهم كانوا يضربون خصيتيه بفروع التين والأشواك البحرية ، وسط أنغام المزمار !

ولعل أغرب الأعياد جميعا ، هو عيد كان يقام فى (اماثوس) بجزيرة قبرص ، تكريما للربة ((ادريان)) ، التى تروى الأساطير أنها هبطت هناك مع ((ثيسيوس)) ، وماتت وهى تلد ، دون أن تضع وليدا ما ! .. لذلك يأتى القوم فى كل عام بشاب جميل ، يضعونه فى فراش ، ليقلد المرأة فى آلام المخاض وأوجاعه !

الحضارة الاغريقية مزجت العبادة بالجنس

● **ومما** يثير الدهشة ، كثرة ما كتبه الأقدمون عن الرقصات الشهوية التى كانت تصاحب أعياد الاغريق ، وهى رقصات كانت تتجرد من كل حياء ، تصحبها أغان وحركات صامتة . والواقع أن الحياة الجنسية كانت تخالط الطقوس الدينية عندهم فى غير مواراة . **ومرة أخرى ، ننبه الى التعليل الواضح لذلك ، وهو ما قامت عليه حضارتهم من نظرة تقديس**

الى انجاب النسل والتكاثر ، ومن نظرة اجلال للجمال فى كافة صوره وأوضاعه .. ويحسن ــ فى هذه المناسبة ــ أن نوجه الانتباه الى أن النساء كن يحرمن من حضور بعض أعيادهم ومهرجاناتهم ، كما كان الرجال يمنعون من حضور الأعياد المقتصرة على النساء .. بل كان ذكور الحيوان ــ كالكلاب ــ تمنع من التسلل الى أماكن الاحتفال !

وهكذا نقف أمام تضارب غريب ، يؤكد ما ذكرناه من تعليل : فبينما تتسم بعض الطقوس بمظاهر جنسية ، نجد الحرص على التفرقة بين الجنسين فى الاحتفالات . ولا ينبغى أن نتسرع فى الحكم ، على هذا الضوء ، فما زلنا نكرر أن الجنس كان يلعب دورا رئيسيا ، وكبيرا ، فى حضارة الاغريق .. ولا يزال مجال بحثنا واسعا ، ولم يلم بعد بالحب ، والبغاء والشذوذ الجنسى ، وغير ذلك من تفصيلات ..

((الهيرمافروديتوس)) : جنس ثالث ابتكره الاغريق !

● **وقبل** أن ننتقل الى هذه التفصيلات ، لا يفوتنا أن نذكر أن الاغريق أسفروا عن ميل عجيب الى ((الازدواج الجنسى)) ، اذا صح هذا التعبير بدلا من ((التخنث)) ، لوصف الطبيعة البشرية التى تجمع بين الجنسين . وقد قادهم هذا الى ابتكار جنس ثالث ، لا هو بالذكر فقط ، ولا هو بالأنثى فقط ، اطلقوا عليه ((هيرمافروديتوس)) .. **واللفظ كما نرى يجمع بين ((هيرمز)) ــ وهو أحد أربابهم ــ و ((افروديت)) ، وهى الأخرى ربة .. وكانوا يمثلون ((الهيرمافروديتوس)) بشكل انسان ذى لحية ، وله جسم امرأة ، ويجمع بين أعضاء الجنسين التناسلية !**

وكذلك أوجدوا لهذا الجنس الثالث أصلا فى أساطيرهم : فزعموا أن ((هيرمز)) و ((افروديت)) أنجبا ولدا باهر الجمال ، شغفت به ــ حين بلغ الخامسة عشرة من عمره ــ

« سالماسيس » ، وكانت حورية فى نبع ماء ، فسلطت عليه سحرها ، حتى اجتذبته الى أعماق الماء ، وحملته على أن يعانقها ، ثم طلبت من الآلهة الا يسمحوا بانفصال حبيبها عنها ، فما كان من الآلهة الا أن ضموهما معا فى كيان واحد ، ذى جنسين ! .. وتمضى الأسطورة فتزعم أن « هيرمز » و « افروديت » أضفيا على النبع صفة خفية ، تحول أى رجل يغتسل فيه الى انسان مخنث ، نصف رجل ونصف امرأة !

وعن هذه الأسطورة تولدت عادات معينة عند الاغريق ، ففى (اسبرطه) كانت العروس ترتدى ـ عند الزواج ـ ثياب الذكور .. وفى جزيرة (قوس) كان العريس ، وكهنة معبد هرقل ، يرتدون ثياب الاناث ، عند عقد الزواج .. وفى (ارجوس) ، كان الناس يحتفلون سنويا بعيد يسمى « هايبرستيكا » ، وفيه ترتدى الاناث ثياب الذكور ، ويرتدى هؤلاء ثياب الاناث ! .. ويقال انه كان يقام لتكريم النساء ، اذ حملن السلاح وحاربن ملك كريت « كليومينس » ، عندما انهزم رجالهن !

ولقد روى « تيوفراستوس » ان التقاليد كانت توجب الاحتفاظ بصورة أو أكثر من صور « الهيرمافروديتوس » فى كل بيت ، فتتوج بالزهور فى اليومين الخامس والسابع من كل شهر .. كما كان اليوم الرابع من كل شهر « مقدسا » ، يكرس لتكريم المعبودين « هيرمز » و « افروديت » ، وكان الاغريق يؤمنون بأنه يوم مناسب للمتع الجنسية !

المخلوقات ذات الجنس المزدوج ألهمت الفنانين !

● ويزخر الفن الاغريقى بكثير من التحف التى تمثل « الهيرمافروديتوس » ، أو المشتقة من فكرة المخلوق المزدوج الجنس ، سواء بالرسم أو النحت أو التشكيل .. ولقد كانت البيوت والحمامات والملاعب تزين ـ بعد القرن الرابع قبل

الميلاد ـ بتماثيل وصور « الهيرمافروديتوس » ، ويتخذ معظمها شكل شاب بارع الجمال ، له قوام امرأة ممشوقة ، بديعة الردفين ، وأعضاء الذكر التناسلية . وكانت ترسم الصور وتنحت التماثيل فى كافة الأوضاع ، لا سيما الوضع النائم الذى كان يبرز مفاتن الأنوثة والرجولة معا . وهذا الطراز يمكن أن يشاهد الى اليوم فى مبنى متحفى (اوفيتزى) بفلورنسا ، و (فيلا بورجيزى) فى روما ، ومتحف (اللوفر) بباريس ، وغيرها .. على أن أكثر هذه التحف اتصافا بالجنسية الفاضحة ـ كما نراها فى أيامنا ـ هى تلك التى تمثل « الهيرمافروديتوس » فى جماع مع الآله « بان » أو « ساتيرس » !

وهناك شخصية أخرى ، جمعت بين الجنسين ، وكانت لها قداسة لدى الاغريق ، وهى « ليوسيبوس » ، التى كان يقام لتكريمها مهرجان « ابوديسيا » ، أو « مهرجان التعرى » فى (كريت) .. وكانت « ليوسيبوس » انثى بحكم المولد ، ولكن أمها أخذت تضرع الى الآلهة ، حتى أشفق عليها الآله « ليتو » وحولها الى ذكر ، بأن اضاف الى جسم الانثى أعضاء التذكير ! .. وكان من عادة أهل (فيستوس) ـ بجزيرة كريت ـ أن ترقد العروس ، فى الليلة السابقة لزفافها ، بجوار تمثال خشبى لـ « ليوسيبوس » ، كما كان أهل البلدة يعرضون تمثال « ليوسيبوس » ـ فى عيده ـ وهو فى ثياب انثى ، ثم يأخذون فى خلع الثياب عنه ، حتى تبدو أعضاء التذكير .. ومن هنا سمى العيد « مهرجان التعرى » !

عادات وتقاليد تمزج بين الجنسين

● **ويبدو** ان نظرية « الازدواج الجنسى » قد ظهرت فى أقدم العصور . ولم يقتصر أثرها على الهام الفنانين ، بل لقد ترتبت عليها عادات وتقاليد شتى .. من ذلك ما رواه

« بلوتارخ » ، من أن حاجة اليونان الى زيادة السكان دعت الى السماح للنساء المتمتعات بكامل الحقوق المدنية ، بالزواج من رجال من طائفة « البريوسى » ؛ وهى طائفة كان أفرادها أحرارا ، ولكنهم لا يتمتعون بالحقوق السياسية ؛ **ولما كانوا يعتبرون أقل مكانة من المواطنين الأحرار المتمتعين بهذه الحقوق ، فان المرأة التى كانت تتزوج من أحد رجالهم ، كانت تلبس لحية زائفة اذا ما نامت معه ! .. هذا ، بينما كان شبان جزيرة (قوس) يستقبلون عرائسهم ـ ليلة الزفاف ـ وقد ارتدوا ثياب النساء ! .. وعكس ذلك ما كان يحدث فى (اسبرطه) ، اذ كانت العروس تستقبل عريسها وقد ارتدت ثياب الرجال ، وقصت شعرها !**

ومن الخطأ أن نحاول تفسير هذه العادات والتقاليد ، بأكثر من أن الاغريق كانوا ـ فى أعماق العقل اللاواعى ـ يؤمنون بأن كل انسان يجمع فى تركيبه عناصر الذكورة والأنوثة بنسب متفاوتة ، فاذا زادت الأولى على الثانية كان ذكرا ، واذا زادت الثانية على الأولى كان انثى .. وهذا عين ما يؤكده العلم الحديث .

أعياد « هيرمز » كانت تمجيدا لطهر الرجولة !

● **على** أن أكثر أعياد الاغريق اتساما بطابع الجنس ، كانت أعياد « الأفروديسيا » ، أى أعياد « افروديت » التى كان الشعب يقيمها فى كل أرجاء بلاد اليونان ، وان لم تعتبر أعيادا رسمية . وكان لخدام « افروديت » ـ من بغايا الجنسين ـ دور كبير فيما كان يسود بعضها من اسراف فى المجون والخلاعة ، ومن افراط جنسى . ومن هنا ـ كما يقول « بلوتارخ » ـ استعيرت كلمة « افروديسيا » ، لليالى الحمراء التى ينغمس فيها رجال البحر ، حين يرسون على البر ، بعد طول حرمان من صحبة النساء !

وفى (ثيسالى) ، كان القوم يحتفلون بعيد « أفروديت انوسيا » ، فكانوا يقصرونه على النساء وحدهن ، ويقصون الرجال عنه ، (مما يوحى ـ لبعض الكتاب ـ بأن له صلة بالشذوذ الجنسى !) .. **وبقدر تعدد أعياد « افروديت » ، كانت أعياد « هيرمز » قليلة ، ولكنها لم تكن بدورها تفتقر الى الطابع الجنسى ، وليس « الاباحى » .. على أن « هيرمز » ـ بوجه عام ـ كان يمثل ازدهار جمال الرجال ، وكانوا يصفونه بالطهر السامى الذى يتصف به الصبى عندما يقف على أعتاب مرحلة التحول الى الرجولة ..** ولهذا فلا عجب اذا وجدنا أن أجمل فتية (تانجارا) كان ـ فى احتفال هذه المدينة بعيد هيرمز ـ يحمل على كتفيه كبشا ، ويطوف به حول سور المدينة . ويقال ان الكبش كان ـ بعد الطواف ـ يذبح ، أو يطلق سراحه خارج المدينة ، رمزا الى أنه قد حمل خطايا أهلها ، فأعفاهم بذلك من آثامهم !

وكان لعيد « هيرمز » ـ فى (كريت) ـ طابع خاص ، اذ كان العبد يأخذ وضع السيد ، ويقوم السيد بنفسه على خدمته !

ونكتفى ـ فى بحثنا ـ بهذا القدر عن أعياد الاغريق ومهرجاناتهم . واذا كنا لم نستعرض جميع هذه الأعياد ـ وما كان أكثر عددها ! ـ فاننا قد حرصنا على اختيار ابرزها ، وعلى ايضاح أهم مميزاتها ومظاهرها ، كعنصر لا غنى عنه فى دراستنا لأثر الجنس فى الحضارة الاغريقية .

والى حلقة أخرى ، نقدم فيها لك مزيدا من هذه الدراسة الممتعة .

....

سقوط فرنسا

« بقية المنشور صفحة ١٤ »

والسياسية » ـ التى كان من الجلى أنها لم تلم بهما الماما يذكر ! ـ ويجمع الكاتبان على أنها كانت ، على نقيض الكونتة دى بورت ، تقنع بممارسة نفوذها فى الخفاء .

أما الكونتة دى بورت ، فكانت قد تزوجت من صاحب لقب ، سرعان ما وجد منصبا فى مؤسسات أبيها ـ الذى كان من كبار المقاولين وصانعى السفن ـ فى مرسيليا . **ولقد آلت على نفسها أن تغزو باريس ، حيث تعرفت برينو ، الذى كان فى ضعف عمرها .. وبطموحها تقربت الى زوجة « رينو » ، ولكنها سرعان ما تبينت أن نجم الرجل فى صعود ، فاصبحت عشيقة له ! .. ويقول برتيناكس ان الزوجة والعشيقة أخذتا تتصارعان فى عنف حول الفريسة (رينو) ، « وكانت كل منهما تتجسس على الأخرى وتتعقبها ، من الصباح حتى المساء ، حتى أصبح صراعهما علنيا »** ! .. وفى سنة ١٩٣٨ ، هجر « رينو » بيته ، واستقر ـ دون زوجته ـ فى مسكن بميدان « باليه بوربون » ، حيث ظل حتى نهاية عمره . وهناك استحوذت عليه الكونتة تماما ، ولم يقدر لأحد أن يميط اللثام عن سر قبضتها القوية على رجل فى مثل ذكائه وقوة ارادته ؛ رغم انها كانت « سمراء ، ذات شعر أجعد ، وفم واسع ، ينبعث منه صوت خال من العذوبة » ! ـ كما وصفها الجنرال « سير ادوارد سبيرز » ، الذى كان ضابط الاتصال البريطانى مع « رينو » ـ وأضاف « موزوا » أنها كانت « مجنونة بعض الشىء ، مثيرة للأعصاب ، متداخلة فيما ليس لها ـ كما قدر للأحداث أن تبين ـ بل و « خطرة » ، صفتها الغالبة هى الطموح ، فلم تكتف بأن يكون « رينو » وزيرا للمالية ، بل عقدت العزم على جعله رئيسا للوزراء ؛ مهما كان الثمن .. فملأت

المجتمعات الباريسية بروايات عن افتقار « دالادييه » للنشاط، وأوحت الى كل امرىء بأن الضرورة الملحة تدعو الى أن يخلفه « رينو » .. ومن الطبيعى أن هذه الأقاويل كانت تبلغ « دالادييه » فى نفس المساء الذى كانت تقال فيه، فازدادت حدة كراهية هذا لرينو ! »

ويروى « موروا » انطباعه عقب التقائه برينو، بعد شهرين من تولى الرجل رئاسة الوزارة، فيقول انه « كان مضطرب الأعصاب، مهموما . وكانت على مكتبه ثلاثة أجهزة تليفونية، أحدها متصل بأقسام الوزارة (داخلى)، والآخر بخط خارجى، والثالث بحجرة مدام دى بورت . **وكان جرس التليفون الأخير لا يكف عن الرنين، فيرفع ((رينو)) المسماع، ويصغى لحظة، ثم يصيح فى ضيق : ((نعم .. نعم .. هذا مفهوم .. ولكن أتوسل اليك أن تدعينى أؤدى عملى)) .. ثم لم يلبث أن كف عن اجابة الرنين)) !**

ولقد رحلت مدام دى بورت الى الخارج مرتين ــ لعلاج أعصابها ــ فالتقت فى (فيينا) بعدد من النمسويين والألمان النازيين .. ولاحظ أحد المراقبين أنها كانت تزداد اتجاها الى اليمين، كلما ازداد « رينو » اتجاها الى اليسار !

أما قبل تولى « رينو » رئاسة الوزارة، فقد كان فى صراع مع « دالادييه » .. وعشيقتاهما مشتبكتين فى معركة أخرى، فى جمهورية تمزقها الخلافات .. وكان « دالادييه » يرأس الوزارة، ولكن « رينو » وعشيقته كانا يتربصان له، فى صبر !

مجاملات بين بطل أسطورى وسياسى طامع !

● فى تلك الفترة الحرجة، استأنف المارشال « هنرى فيليب بيتان » و « بيير لافال » الصداقة التى كانت تربطهما قبل سنوات . كان « بيتان » ــ الذى عين سفيرا لدى أسبانيا، فى ربيع ذلك العام ــ قد سأل « لافال » فى الخفاء عن تقديراته

للموقف السياسى فى باريس .. وكان اهتمامه منصبا على الوضع السياسى ، وليس على الجيش !

وكان « لافال » ـ الناقم على الأحوال بسبب اقصائه عن الحكم منذ ١٩٣٦ ـ قد حرص ، لسنوات عدة ، على أن يوحى للقائد الشيخ بأنه كفيل بأن يرفعه يوما الى رئاسة الوزارة أو رئاسة الجمهورية .. وذلك ليكسب من ورائه نفوذا يمكنه من توجيه شئون فرنسا . بل انه كان منذ سنة ١٩٣٢ يدعو فى ابهاء البرلمان الى انتخاب « بيتان » رئيسا للجمهورية ، حتى سأله المارشال نفسه أن يكف عن ذلك !

ولقد رد « بيتان » لصديقه الجميل ، يوم تشييع جنازة « لوى برتو » ـ وزير الخارجية الذى اغتيل فى سنة ١٩٣٤ ـ اذ نصح رئيس الوزراء « جاستون دوميرج » بأن يعين « لافال » وزيرا للخارجية ، فانصاع « دوميرج » للنصيحة .. وبعد عام ، التقى « بيتان » و « لافال » ـ الذى كان قد أصبح رئيسا للوزارة ـ فى جنازة أخرى !.. وتذاكر الاثنان الأمور والأحوال ، فنصح الأول الثانى بأن يتخطى المعارضة البرلمانية ويفعل ما يراه ضروريا « للمصلحة القومية » . فرد « لافال » بأن هذا كان من أصعب الأمور ، وأن « بيتان » ـ بما له من مكانة ووضع ـ هو الوحيد القادر على انتهاج هذا المنهج !

وكان « بيتان » و « لافال » حريصين على الا يكثرا من التلاقى علانية . ولكنهما وجدا فى الكونت « رينيه دى شامبرون » ـ الذى تزوج ابنة لافال الوحيدة ، فى سنة ١٩٣٥ ـ وسيطا بينهما . **وما لبث بيتان أن شرع يعد قوائم بتشكيلات وزارية ، بناء على مقترحات من « لافال » وبعض اليمينيين الذين أخذوا يلتفون حوله ، مما غذى غروره واقتناعه بأن بوسعه أن يكون « مخلص فرنسا » من الجمهورية التى استشرى فيها الفساد .**

ولقد اعترف « دالاديه » ـ فيما بعد ـ بأنه لم يفطن

الى مؤامرات « بيتان » و « لافال » ، ولم يكن يدرى سوى أن وزارته وبلاده منشقتان على نفسيهما .. وحوالى نهاية أغسطس ١٩٣٩ ، أيقن « دالادييه » من أن هتلر يتأهب لغزو (بولندا) بعد أيام ، وأن على حكومته أن تفى بوعدها بمناصرة بولندا ، برغم الفرقة الشائعة فى وزارته ، والضعف الذى كانت عليه فرنسا !

فرنسا .. على أعتاب الحرب الفعلية

● **وفعلا** ، أصدر هتلر أمره بغزو بولندا ، فى الساعة الثانية عشرة والنصف من مساء ٣١ أغسطس .. وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح أول سبتمبر عقدت الوزارة الفرنسية اجتماعا موجزا لتدارس الموقف ، وتقرر اصدار الأمر بالتعبئة العامة ، ودعوة البرلمان للاجتماع — فى اليوم التالى — لاستصدار موافقته على تخويل الحكومة حق شن الحرب عند اللزوم . ذلك لأن « دالادييه » أحجم عن طلب الموافقة على « اعلان الحرب » قبل أن تتم التعبئة العامة بأكملها ، خشية تعريض فرنسا لهجوم جوى مفاجىء !

وفى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٢ سبتمبر ، اجتمع مجلسا البرلمان — وكانا فى أجازة برغم تصاعد الأزمة فى الأيام السابقة — وقرأ رئيس الوزراء « دالادييه » على أعضائهما رسالة من رئيس الجمهورية بتأييد بولندا — وان أبدى الرغبة فى علاج الموقف سلميا ! — وقابل البرلمان خطاب رئيس الوزراء بتحمس ، وان لم يعن هذا أن الأعضاء جميعا كانوا يحبذون الحرب .. **وعندما طلب « دالادييه » الى اللجنة المالية — بعد ذلك — ٧٠ بليونا من الفرنكات من أجل الحرب ، تساءل بعض الأعضاء عما اذا كان هذا « تخويلا » للحكومة باعلان الحرب ، فأجاب « دالادييه » بأنه « سيرجع الى البرلمان » اذا دعت الضرورة للحرب .. ولهذا وجه « لافال » و « بيير فلاندان »**

وغيرهما من معارضى الحرب ، الاتهام الى « دالادييه » – فيما بعد – بأنه نكث بوعده ، ولم يرجع للبرلمان عند الاعلان الفعلى للحرب .

واتفقت الحكومتان الفرنسية والبريطانية على توجيه انذارين لألمانيا بايقاف العمليات الحربية .. فوجهت بريطانيا انذارها فى الساعة الثامنة من صباح الأحد ٣ سبتمبر ، ووجهت فرنسا انذارها بعد الظهر .

السفير الفرنسى يرتاب فى صوت وزيره !

● **وكان** « بونيه » – وزير الخارجية الفرنسية اذ ذاك – قد ذهب فى الساعة الثامنة من ذلك الصباح الى وزارة الحربية ، ليجتمع بدالادييه الذى كان يتولى هذه الوزارة الى جانب الرئاسة . وحدد « دالادييه » بدء القتال بالساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين ، بناء على مشورة هيئة أركان الحرب . وعلى هذا الأساس ، وضع « بونيه » صيغة الانذار الفرنسى ، وأبلغ سفيره لدى برلين « روبير كولوندر » بأن يقدمه بنفسه – عند الظهر تماما – وأن يطلب رد ألمانيا على مذكرة فرنسية سابقة بتاريخ أول سبتمبر .. « فاذا كان الرد بالنفى ، أبلغ وزير الخارجية الألمانية ، أو من يمثله ، بأن فرنسا ستضطر – ابتداء من الساعة الخامسة من صباح الاثنين ٤ سبتمبر – الى أن تفى بالتزاماتها لبولندا ، وهى التزامات معروفة للحكومة الألمانية » .

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف اتصل « دالادييه » ببونيه مرة أخرى ، وأخبره بأنه انتزع من رئيس هيئة أركان الحرب – الجنرال « لوى كولسون » – تعهدا بتقديم موعد بدء القتال اثنتى عشرة ساعة ، فأصبح « الساعة الخامسة من مساء الأحد ٣ سبتمبر » . فأبلغ « بونيه » هذا التعديل بسرعة الى سفيره ، الذى صححه فى الانذار ، بخط اليد .

وفجـأة ، استولت على السفير ((كواوندر)) الوساوس : أحقا كان يتكلم باسم وزير الخارجية الفرنسى ؟.. فطلب من الوزير تأكيدا من شخصية أخرى - من شخصيات الوزارة - يكون صوتها مألوفا لدى السفير . وكان أن كلف ((بونيه)) اثنين من المسئولين بأن يؤكدا التعليمات للسفير تليفونيا . واذ ذاك فقط ، اتجه السفير الى وزارة الخارجية الألمانية .

وقبل الساعة الخامسة بنصف الساعة ، أصدر الجنرال « جاميلان » تعليمات سرية الى الجيش والأسطول والطيران ، بتأخير بدء القتال اثنتى عشرة ساعة عن الموعد المحدد بالانذار « تنسيقا للعمل مع السلاح الجوى البريطانى » .. وهكذا بدأ تردد القائد العام الفرنسى منذ الساعة الأولى للحرب !

وبدا أن فرنسا اهتدت الى نوع من الوحدة الداخليـة ، فى ساعات الأزمة . فسارت عمليات التعبئة بسرعة ويسر ، وحفلت الصحف - التى فرضت عليها رقابة شـديدة - بتحبيذ وفاء الحكومة بوعدها لبولندا . ومع أنه لم يكن ثمة تحمس للحرب ، فقد كان هناك الكثير من الاقتناع بأن هتلر جعل الحرب أمرا لا مناص منه .

تردد القائد العام ، أضاع فرصة النصر !

● **ولكن** هذا كله كان فى الظاهر . . أما وراء السطح ، فكانت لدى الفرنسـيين شكوك تؤرقهم ازاء حكمـة الحكومة ، بل كانت هناك معارضة للاتجاه الذى اتخذته . اذ لم تكن فرنسا قد استكملت البرء التام من استنزاف الحرب العالمية الأولى لطاقاتها ومقـدراتها ، وخالج الجمهور - و « دالاديـيه » نفسه ! - الخوف من أن لا تقوى الدولة على الخروج سالمة من حرب جديدة ، ولو كان النصر حليفها !.. ولكن الشكوك والخوف ظلت بلا علاج . ولدهشة الفرنسيين - وعميق ارتيـاحهم - بدأت فى الغـرب . اذ ذاك ، فترة من أعجب

الفترات فى تاريخ الحروب : فترة « الحرب الزائفة » ، التي امتدت ثمانية أشهر لم تقع فيها اشتباكات خطيرة ، ولم ترق فيها دماء .. وكانت هذه الفترة خليقة بأن تثير كثيرا من الأوهام .. ولكنها لم تكن سوى تمهيد لتحطيم كل أوهام الجمهورية الثالثة فى فرنسا !

كانت فرنسا متفوقة تفوقا تاما فى الرجال والمدافع والدبابات . وفى مقابل ٨٥ فرقة مسلحة لديها ، لم يكن لدى الألمان سوى ٣٤ فرقة ، ٢٣ منها من الاحتياطى المفتقر الى التدريب والأسلحة المناسبة والذخائر ووسائل النقل . وكانت فرق « البانزر » ، والفرق الآلية ، موجهة جميعا الى (بولندا) . ومع ذلك ، فقد شاء الحظ لألمانيا ألا تتعرض لهجوم جدى خطر .. لفرط حرص القائد العام الفرنسى !

كان كل « الهجوم » الذى وقع ، على حد تعبير الكولونيل شارل ديجول ـ قائد الدبابات فى الجيش الخامس ، فى (السار) ، اذ ذاك ـ مجرد مناوشات واستعراضات قليلة ! وأدت الهزيمة السريعة لبولندا الى تخفيف الضغط على « جاميلان » من جانب أنصار فكرة المبادأة بالهجوم من منطقة (السار) ، اذ أثارت مشكلة احتمال استعادة الألمان قواتهم الرئيسية ، ليلقوا بها ضد فرنسا . ويقول جاميلان أنه قرر ـ فى ٣٠ سبتمبر ـ أن « ساعة الانسحاب من السار قد حانت » . فذهب بصحبة الجنرال « الفونس جورج » الى « دالاديه » ليقنعاه بدواعى ذلك الانسحاب ، وهما يدركان ما فى ذلك من صدمة للحكومة التى أسرفت فى دعايتها عن « الغزو الفرنسى لألمانيا » !.

وفعلا أبدى رئيس الوزراء تخوفه من رد الفعل ، « لا فى فرنسا وحدها ، بل فى العالم كله » .. ولكنه ، بدافع من « الوطنية العميقة » وافق على اقتراح « جاميلان » .

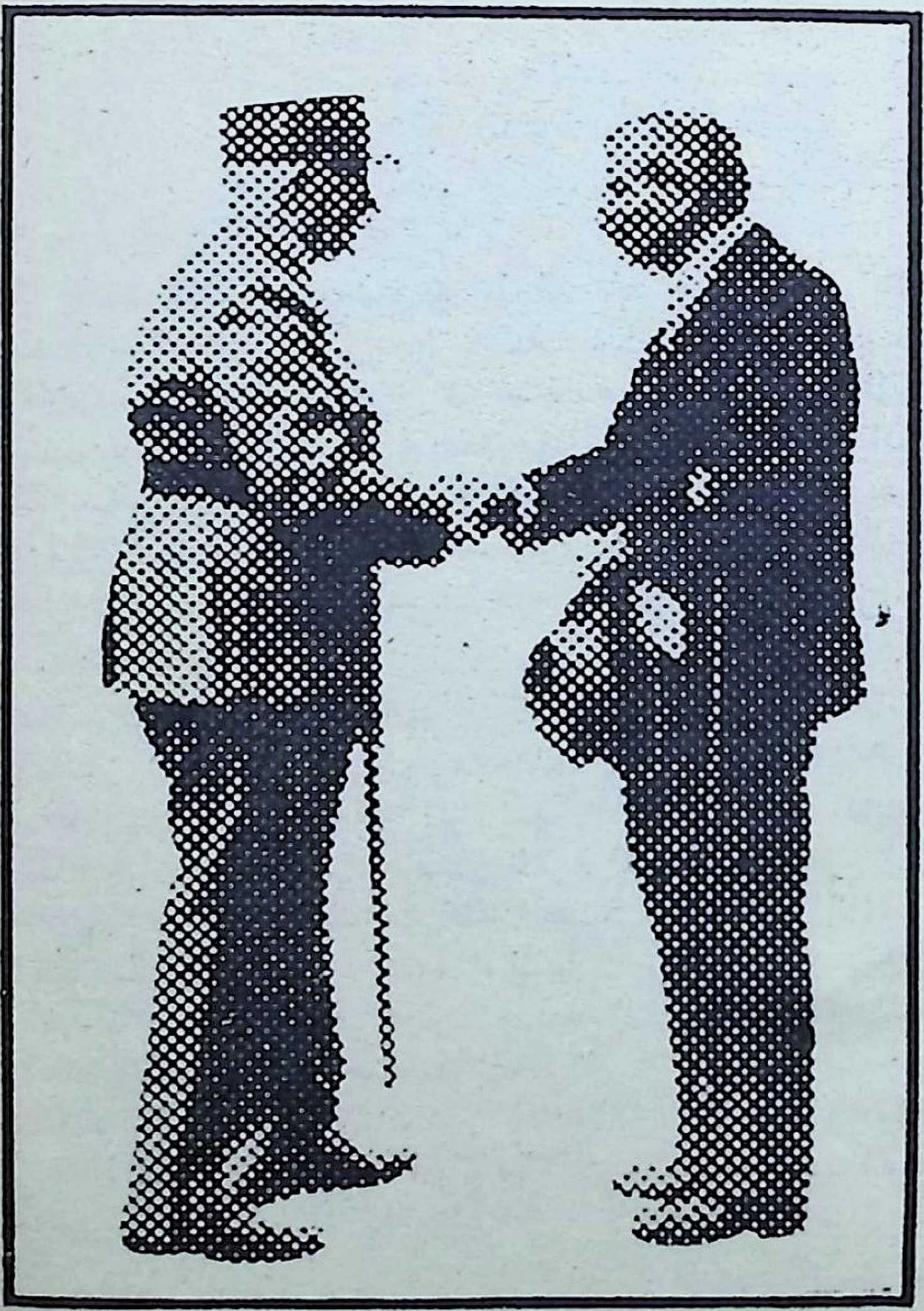

رأى « لافال » فى الماريشال العجوز «بيتان »
مجرد « مخلب قط » يمكنه من حكم فرنسا المهزومة !

ولتفادى تسرب الخطة للألمان ، تقرر عدم اطلاع مجلس الوزراء عليها ، فلم يعلم بها سوى رئيس الجمهورية .

مساومات سياسية فى وسط الأزمة !

● **وكان** لزاما أن يتم الانسحاب الفرنسى سرا .. فهل كان ذلك لأن بعض القادة بدأوا يعتقدون أنه لا حكمة فى مواصلة الحرب ، بعد « زوال » بولندا ؟.. لقد عرض هتلر — فى ٦ أكتوبر — الصلح ، ورأى « بونيه » أن عرضه « يستحق الاهتمام » من الحكومة ، ولكن « دالادييه » أقصى « بونيه » عندئذ عن وزارة الخارجية ، وعرضها على « ادوار هيريو » — رئيس مجلس النواب ، وأحد أقطاب الحزب الراديكالى — فقبلها بشرط أن يدخل « بيتان » عضوا فى الحكومة .

وطلب « بيتان » مهلة ، ريثما يستشير أصدقاءه ، وكان معظمهم — وبينهم « لافال » — يلحون عليه فى أن يتولى بنفسه رئاسة الوزارة . والتقى المارشال بالجنرال « جاميلان » فأسر اليـــه بأنه ما كان لينضم الى وزارة بين أعضائها « هيريو » ، ثم رحل « بيتان » الى أسبانيا دون أن يقابل « دالادييه » ثانية ، وأرسل اليه — من هناك — رفضه لما عرض عليه .

وهكذا بدأ « البطل العظيم » — بيتان — يخوض ميـاه السياسة الغدارة ، برغم كبر سنه . فدعا « هنرى ليميرى » — عضـو الشيوخ الذى كان يعتبر من غلاة الرجعيين — الى مباحثتـه فى (سان سباستيان) ، فأوجس « ليميرى » من هذا اللقاء ، خشية أن ترتاب الحكومة فى أنه كان يشترك فى مؤامرة لاسقاطها . ولكنـه ما لبث ان خف الى الملتقى — فى سرية تامة — فى ١٠ أكتوبر ، وقال لبيتـان ان الأمـور كانت تسـوء فى الجيش « وعليك أن تعد نفسك لتشكيل حكـومة تتولى الحرب ، كما فعل كليمانسو » . وقال المرشـال أنه

رجل حرب ، وليست مهنته ادارة شؤون الحكم ، ولكن عضو الشيوخ طمأنه ، ورشح له أسماء للوزارة ، كان بينها « لافال » للداخلية . ومع أن « بيتان » ظل يعرب عن عزوفه عن تولى الحكم ، فان متملقيه لم يعتبروا هذا ردا نهائيا .

ولم يكن « لافال » ـ فى تلك الأثناء ـ خاملا ، بل كان نشيطا فى ابهاء البرلمان ، وفى المطاعم التى كان يغشاها رجال السياسة ، يروج لفكرة « حكومة بيتان » . وعندما اعترض « ايلى بوا » ـ رئيس تحرير « بيتى باريزيان » التى كانت أوسع صحف فرنسا اليومية رواجا ـ على كبر سن « بيتان » ، فى حديث نشر فى ٢٧ أكتوبر ، قال لافال : « هذا لا يهم ، فما الذى سنتطلبه منه ؟ .. أن يكون مجرد تمثال على قاعدة .. اسمه ، ومكانته ، ولا شىء أكثر من هذا ! »

وما لبثت ألمانيا أن شعرت بما يجرى ، وكانت ترى ان « بيتان » من دعاة سياسة السلام فى فرنسا ، ومن المؤمنين بأن بلاده لن تجنى من الحرب شيئا ، حتى لو انتصرت !

انشقاقات فى الحكومة والقيادة الفرنسيتين

● **وأشرفت** سنة ١٩٣٩ على نهايتها ، و « دالادييه » يترنح بوزارة معظم أعضائها من المسنين ، المكدودين . كما كانت القيادة العليا فى أيدى شيوخ نضبت حيويتهم وذكاؤهم . وكان انعدام الثقة بين اثنين من زعماء الحكومة ـ هما دالادييه ورينو ـ يقابله انعدام الثقة بين اثنين من كبار قادة الجيش ، هما « جاميلان » ـ القائد العام ـ ونائبه « جورج » الذى كان يتولى قيادة الجبهة الفرنسية الألمانية . **فقد كان الصراع بين هذين القائدين مريرا ، لا سيما أن « جورج » كان يعتقد بأن « جاميلان » دساس ، يستغل « دالادييه » ليحتفظ بسلطانه ـ دون مراعاة للكفاءة والمقدرة ـ ويتشبث بأن يكون هو المخطط للحرب ، بينما يقتصر دور « جورج » على التنفيذ .**

ومن ناحية أخرى ، كان ثمة تذمر من بعض الضباط الكبار ـ وعلى رأسهم ((ديجول)) ـ اذ كانوا يلحون فى ضرورة اجراء تدريبات واسعة ، لاعداد القوات لتكتيكات الحرب الخاطفة ، التى استخدمها هتلر فى (بولندا) بنجاح .. ولكن ((جاميلان)) كان يأبى أن يصغى اليهم !

وفى اليوم الأخير من نوفمبر ، قامت روسيا بغزو (فنلندا) ، فثار الغرب استنكارا ، واشتد الضغط على فرنسا ـ التى لم تبذل جهدا لمساعدة بولندا ـ كى تخف لنجدة (فنلندا) ، ولكنها لم تكن تملك أية مساعدة فعالة . وعندما اضطرت فنلندا الى توقيع الصلح مع روسيا ـ مجبرة ـ فى ١٤ مارس ١٩٤٠ ، بدأ الهجوم البرلمانى ضد ((دالاييه)) : اذ عقد مجلس الشيوخ ـ فى ١٦ مارس ـ جلسة سرية تجلى فيها الاجماع على لوم ((دالادييه)) ، لا لتقصيره فى العمل ضد ألمانيا ، وانما لتقصيره فى العمل ضد روسيا .. ولقد أفاض ((دالادييه)) فى الدفاع عن سياسته فى البرلمان ، ولكنه بدا ـ فى بعض مراحل النقاش ـ خائرا ، مثبط العزيمة ..

أخيرا سقط ((دالادييه)) .. فخلفه ((رينو)) !

● **وكان** ((دالادييه)) قد سقط عن ظهر جواد ، فكسرت قدمه ـ أثناء قضائه نهاية الأسبوع مع عشيقته فى الريف ، فى شهر يناير ـ واضطر لملازمة الفراش عدة أسابيع ، عجز خلالها عن عرقلة المؤامرات التى كانت تحاك ضده .. ومن هنا كان شعوره بالخور وثبوط العزيمة ، فلم يلبث أن دعا البرلمان الى طرح الثقة بسياسته فى الحرب ..

وطرحت الثقة ، فأولاه مجلس الشيوخ ٢٣٦ صوتا ، ضد لا شىء ، مع امتناع ٦٠ عضوا عن التصويت .. أما مجلس النواب ، فبلغ عدد الأصوات المؤيدة للحكومة فيه ٢٣٠ صوتا ،

ضد صوت واحد ، ولكن ٣٠٠ نائب امتنعوا عن التصويت . ومع أن هذه النتيجة مكنته من البقاء فى الحكم ، فانه فقد تأييد الأغلبية ، ومن ثم استقال عقب الجلسة مباشرة !

وخلفه « رينو » ، الذى كان فى الحادية والستين من العمر ، ولكنه عرف بالنشاط المفرط ، والبت فى الأمور ، والدعوة الى التجديد فى الحكم ، والى ادخال النظم والأسلحة الحديثة فى الجيش .. وكان — منذ سنة ١٩٣٥ — ينادى ، دون جدوى ، بانشاء فرق مدرعة كالتى أنشأتها ألمانيا . كما أنه عارض سياسة التراجع أمام هتلر — فى (ميونيخ) — وأصر على أن تدخل فرنسا الحرب عند هجوم ألمانيا على بولندا .. **فضلا عن أنه لم يكتم — خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب — ايمانه بأن فى وسعه أن يكون أشد من « دالادييه » فى ادارة سياسة الحرب . وكان على اتصال مستمر بصديقه « شارل ديجول » ، ومتفقا معه على وجوب أحداث هزة توقظ الجيش ، وتخلصه من العناصر المتخشبة — فى القيادة العليا — مع تنظيم فرق مدرعة ، وتجهيزها بالدبابات الممتازة التى كانت متوفرة لدى الجيش فعلا .**

على أن « رينو » كان ، منذ انتخابه نائبا لأول مرة — فى سنة ١٩١٩ — غير مستند الى قاعدة حزبية واسعة ، مما كبده الكثير عندما شرع فى تأليف حكومته . اذ حاول دالادييه وحزبه « الاشتراكى الراديكالى » — الذى كانت له الأغلبية الثانية فى مجلس النواب — تخريب مساعيه ، ورفض دالادييه أن يشترك فى الحكومة الجديدة ، عندما قال « رينو » انه يعتزم الاحتفاظ لنفسه بوزارة الدفاع ، التى كان دالادييه يتولاها . ولم يلبث « رينو » ان اضطر لترك وزارة الدفاع لغريمه ، عندما تبين أنه لا سبيل لتأليف الحكومة بدون التعاون مع الحزب الاشتراكى الراديكالى .

الصراع التقليدى بين رينو ودالادييه .. يستمر !

● **وجاءت** حكومتـــه غير متناســـقة ، ضمت ٦ من الاشتراكيين ، و ١١ من الاشتراكيين الراديكاليين ، والباقون من الجناح الأيسر لأحزاب الوسط المعتـدلة . وقد خلت الوزارة من عضو شبه دائم ، هو ((جورج بونيـه)) ، الذى اشترك فى ١٥ وزارة طيلة السنوات الخمس عشرة الأخيرة ، والذى لم يعد ((رينو)) يطيقه منذ مؤتمر (ميونيخ) ، لا سيما أنه كان يراه ميالا للصلح مع ألمانيا . **وأوغر هذا الاقصاء صدر ((بونيه)) ، الذى كان قد استخدم نفوذه لاقرار قانون يختصر المدة القانونية بين الطلاق والزواج التالى ، لتمكين ((رينو)) من التعجيل بالزواج من عشيقته بعد طلاقها من زوجها .. فهل نسى ((رينو)) هذا الصنيع ؟**

وفازت حـكومة ((رينو)) فى مجلس النواب بأغلبيـــة صوت واحد فقط ، فتكشف الانشقاق فى الوحدة التى بدت ظاهريا فى فترة الحرب . وازدادت الفرقة ، فاذا نصف مجلس النواب يعارض الحكومة ، واشتد التصادم بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع فى حكومته (أى دالادييـه) ، وطغت الأطمـاع السياسية على مصلحة الأمة المهددة .

وفى ١٥ مايو ، أبلغ ((جاميلان)) الكولونيل ((ديجول)) باختياره لقيادة الفرقة الرابعة المدرعة ، التى انشئت حديثا . وكان ((رينو)) يحاول اسـتبقاء الكولونيل فى باريس ليكون مستشاره العســكرى ، وعرض عليـه منصب السكرتير فى ((وزارة الحرب)) . **ولكن ((دالادييه)) كان قد عانى الكثير من انتقادات ديجول اللاذعة ، فى السنين السابقة ، فعارض بشدة رغبة ((رينو)) ، وهدد بالاستقالة** . ولم يجد رئيس الوزراء بدأ من أن يعين ((بول بودوان)) ــ المدير العام لبنك الهنـــد الصينية ــ فى المنصب الذى أعده لديجول ، كما عينه وكيـلا

للخارجية فى الوقت ذاته .. فاذا « بودوان » يؤيد كل ما كان يعارضه « رينو » : كان معجبا بموسولينى وايطاليا الفاشية ، وكان ـ قبل الحرب ـ قد دعا فرنسا الى توثيق علاقاتها بألمانيا النازية « التى استحقت مكانها تحت الشمس بجدارة » ، على حد تعبيره !

عشيقة « رينو » وأصدقاؤه يعملون ضده !

● **وكان** « بودوان » يؤمن بأن الوقت قد حان لتقييد الديموقراطية البرلمانية التى كانت فرنسا تمارسها ، والحد من البرلمان ، وانشاء سلطة تنفيذية قوية « من صفوة النخبة فى الدولة » . ولقد وثق علاقاته بالكونتة دى بورت ـ عشيقة رينو ـ حتى لقد كان يتحدث اليها مرة أو اثنتين فى اليوم ، ويشدد الضغط ـ عن طريقها ـ لا على رئيس الوزراء وحده ، بل على كافة الوزراء !

ولقد ظل مسلك الكونتة دى بورت محيرا للمؤرخين : فبرغم حبها لرينو ، ونضالها سنوات طويلة لتدفعه الى القمة ، فانها عملت دائبة على تحطيم أصراره ـ حين رأس الحكومة ـ على خوض الحرب وانقاذ الجمهورية . ولكن أصبع « بودوان » تبدد تلك الحيرة ، فقد كانت وراء ذلك التحطيم !

وبينما كان الربيع يقترب ، كانت ثمة كتلة تتكون ضد رئيس الوزراء ، من أقرب المقربين اليه ، ومنهم عشيقته ! وقدر لهذه الكتلة أن تجتذب شخصيات قوية النفوذ ، كأعظم بطلين باقيين منذ الحرب العالمية الاولى (وهما « بيتان » و « جاميلان ») وكالرجعيين ، ومعارضى الحرب ـ وفى مقدمتهم « لافال » ـ وأغرب ما فى الأمر ، أن « رينو » ، وهو السياسى الداهية ، لم يفطن لما كان يجرى !

وقرر « رينو » ـ فى ٤ مايو ـ أن يتخلص من القائد العام « جاميلان » ، فوافاه مستشاره العسكرى واثنان من

سكرتيريه بمبررات كافية لذلك : منها اخفاق « جاميلان » فى القيام بعمل فعال عندما غزا الألمان (النرويج) فى شهر أبريل . ومن ثم اتجه « رينو » الى « ليبران » رئيس الجمهورية ، فى صباح ٩ مايو ، ليطلعه على ما اعتزم . بيد أن « ليبران » خشى من اثارة أزمة وزارية ، (فما كان « دالادييه » ليقبل اقصاء « جاميلان ») .. بيد أن « رينو » ظل على عزمه ، ولو أدى الأمر الى أن يستقيل اذا خذله مجلس الوزراء !

فرنسا بلا حكومة ولا قائد .. أمام الخطر !

● وفعلا ، انعقد المجلس فى الساعة العاشرة والنصف ـ من الصباح ذاته ـ وقد خيم عليه صمت شامل ، وبدا الرئيس شاحب الوجه ، أجش الصوت ، (اذ كان فريسة « الانفلونزا » طيلة الأسبوع السابق) ، بينما كان « بودوان » يقرأ القرار ومبرراته .. وقال « رينو » ، أخيرا ، ان فرنسا خليقة بأن تخسر الحرب اذا بقى « جاميلان » قائدا عاما .. ودعا مجلس الوزراء الى الموافقة على تعيين قائد آخر .. لكنه لم يظفر بغير الصمت !

ثم التفت الجميع صوب « دالادييه » ـ وزير الدفاع ، وحامى جاميلان ـ فألقى اللوم فيما أصاب (النرويج) على بريطانيا ، ودافع عن القائد العام ، قائلا ان هدوء الجبهة الفرنسية الألمانية كان متعمدا ومقصودا ، ريثما تستكمل فرنسا اعادة تسلحها . **وأبدى دالادييه أسفه لأن « جاميلان » لم يمنح فرصة للدفاع عن نفسه ، وعاب على رئيس الوزراء مثل هذا الانتقاد الخطير لقائد يعترف الجميع بذكائه وحزمه ، وان كان هذا الانتقاد لم يثر الا داخل جدران قاعة مجلس الوزراء !**

وازاء موقف دالادييه ، أعلن « رينو » انه يعتبر الوزارة مستقيلة ، ورجا كتمان الأمر ريثما يتسنى تاليف

حكومة جديدة . وما ان علم ((جاميلان)) بالأمر ، حتى قدم استقالته ، لأنه لم يشأ أن يكون سببا فى أزمة جديدة !

بيد أنه لم يلبث أن أوقظ ـ فى الساعة الواحدة من الصباح التالى ـ لوصول نبأ من جاسوس فرنسى ، خلف الخطوط الألمانية ، جاء فيه ان الألمان يزحفون نحو الغرب !

وبينما تجمع أكبر جيش ألمانى لمهاجمة فرنسا ـ

من حضيض الهزيمة الساحقة ، ارتفع صوت واحد ينادى بالمقاومة : صوت ((ديجول)) !

(١٣٦ فرقة ، منها ١٠ فرق مدرعة ، يؤازرها أسطول جوى جبار) ـ وتأهب ليهوى بضربته عند الفجر ، كانت الجمهورية الفرنسية بدون حكومة ، وبدون قائد عام !

قيادة عليا .. بدون جهاز لاسلكى !

● **قسمت** القيادة الفرنسية العليا نفسها الى ثلاث قيادات : جاميلان ـ الذى حذا حذو « رينو » وسحب استقالته ، فى ساعة الخطر ـ وقد بقى فى (فانسين) على الحافة الشرقية لباريس .. والجنرال « جورج » الذى تولى العمليات على طول الجبهة وعرضها ، واتخذ مقره فى الشمال الشرقى ، عند (لافيرتيه سوجوار) .. وبين (فانسين) و (لافيرتيه) ، كان مقر القيادة العليا فى (مونترى) يرأسه الجنرال « اندريه دومين » ، تحت اشراف « جاميلان » . وكانت وسائل الاتصال بين القيادات الثلاث ، فى حالة يرثى لها ! **لم يكن فى مقر القائد العام جهاز واحد للاسلكى ، فوجد « جاميلان » نفسه ـ فى أول أيام المعركة ـ فى عزلة عن الأحداث !.. وبرغم وجود تليفون ، فانه كان يضطر الى أن يستقل السيارة ليبقى على اتصال بالجنرال « جورج » .. وكانت الرحلة تستغرق ساعة ، على طرق مزدحمة .. وهكذا كان القائد العام الفرنسى يضيع وقته هباء ، فى معركة من أهم المعارك التاريخية .. وكانت أوامره تستغرق ٤٨ ساعة ، ريثما تجتاز درجات القيادة ، وتصل الى مسرح العمليات ، ويبدأ تنفيذها !**

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ١٣ مايو ، بدأ الألمان عبورهم لنهر (الموز) وحول (سيدان) . وكان بوسع المدفعية الفرنسية ـ فى الظروف العادية ـ اغراق القوارب وتشتيت الزاحفين ، ولكنها ظلت عاجزة : اما لأن المدفعية

الألمانية أصلت مراكزها نارا حامية ، أو لأن رجالهـا ظلوا منبطحين على الأرض ، من فرط قسوة الغارات الجوية . ومن ثم ، لم يأت الليل حتى كان الألمان قد احتلوا المرتفعات التى كانت تمكن المراقبين الفرنسيين من استطلاع ميدان القتال بأكملـه !

الذعر يذهب بعقول الضباط والجنود !

● والى الساعة الخامسة والنصف مساء ، كان الموقف « خطيرا » فحسب .. وكان رأس الحربة الألمانى صغيرا ، وقد عجز الألمان عن نقل أية مدفعية عبر النهر .. كما كانت المدافع والدبابات متوفرة لدى الفرنسيين .. ولكن التطور جاء سريعا ، فيما بين الساعتين السادسة والسابعة .. اذ أن الذعر استولى فجأة على جنود الفرقة (٥٥) الفرنسية ! .. **ولم تبدأ هذه الظاهرة فى المقدمة – حيث المشاة – وانما بدأت فى المؤخرة ، حيث المدفعية التى كان من المفروض أن تطلق حممها .. فما أن تراجع مشاة الفرقة عن غابات (مارفيه) حتى انطلقت صيحات عامة بأن دبابات الألمان وصلت الى (بولسون) .. واذا الذعر يذهب برشـد اثنين من قادة المدفعية الثقيلة للفرقة – برتبة (كولونيل) – فلم ينقض نصف الساعة حتى كانت الطرق تغص بالجنود الهاربين !**

ولقد حاول الجنرال « لافونتين » – قائد الفرقة (٥٥) – سد الطرق فى وجه الهاربين ، ولكن هؤلاء واصلوا اندفاعهم الجنونى طيلة الليل ، ومنهم من لم يتوقف حتى بلغ (ريمس) ، على بعد حوالى ٧٠ كيلومترا ! .. وفى خلال ثلاث ساعات أو أربع ، كانت الفرقة (٥٥) مشاة ، بكافة جنودها ومدفعيتها ، قد تلاشت ! .. **مع أن الألمان لم يكونوا قد نقلوا دبابة واحدة عبر نهر « الموز » !**

.. وسرى الذعر الى القيـادة : ففى منتصف الليل ،

طلب الجنرال « جورج » من الجنرال « دومين » أن يوافيه .. فلما وصل هذا ، وجد « جورج » وأركان حربه مجتمعين فى غرفة الخرائط ، وكأنهم أسرة تلتف حول عزيز يحتضر .. وقال جورج : « لقد تحطمت جبهتنا عند (سيدان) .. كانت هناك حالات هرب من الميدان » .. ثم انهار فى مقعد ، وانخرط فى البكاء !

وحاول « دومين » ـ المشهور بروحه العالية ـ أن يرفع من معنويات « جورج » وضباطه ، وأن يدعوهم لانقاذ الموقف .. ورسم خطة هجوم مضاد قوى ، لتقوم به قيادة الجبهة الشمالية الشرقية .. ووافق « بوفر » ـ قائد تلك الجبهة ـ وأصدر أوامره بالفعل .. ولكن أعصاب « جورج » كانت قد تحطمت . وبرغم أن الجيشين الثانى والتاسع كانا باقيين ، لم يمسا بأى أذى ، فان « القيادة العليا » كانت قد فقدت معنوياتها !

تشيرشل يأبى أن يصدق انهيار فرنسا !

● **وعقد** « رينو » أول اجتماع للجنة الحرب ، بعد ظهر يوم ١٤ مايو .. وأخطر تشيرشل ـ تليفونيا ـ أن الموقف غاية فى السوء ، وان الألمان اخترقوا خطوط التحصينات جنوبى (سيدان) .. وكان البريطانيون قد أرسلوا أربعة أسراب من طائرات القتال ، فطالب بعشرة أخرى .. ولم يصدق البريطانيون انهيار الموقف بهذه السرعة ، ولكن « رينو » أيقظ تشيرشل فى الصباح التالى ، ليقول له تليفونيا : « لقد هزمنا ! .. خسرنا المعركة ! » .. ولم يشأ تشيرشل أن يصدق ، بل قال : « سينتهى الهجوم بعد قليل ، على ضوء التجارب المعروفة .. سيضطرون للتوقف ـ بعد خمسة أيام أو ستة ـ فى انتظار الامدادات ، واذ ذاك تحين الفرصة لهجوم مضاد ! »

لكن « رينو » رد قائلا ان تجارب الحرب السابقة قد

تغيرت ، وان الألمان يدفعون بسيل من الدبابات .. واعترف تشيرشل - فيما بعد - بأنه لم يستطع أن يعقل الانقلاب الذى أصاب أساليب الحرب ، باستخدام مصفحات سريعة الحركة !

وفى نهاية ١٥ مايو ، تلقى تشيرشل رسالة من « رينو » بأن طريق الألمان الى باريس مفتوح ! وفى منتصف ليل ذلك اليوم ، اتصل « جاميلان » بوزير الدفاع « دالادييه » ، فاذا به قد أوى الى مخدعه ، وأمر بعدم ازعاجه ! .. واكتفى جاميلان بأن أبلغ من تلقى المكالمة ، بأن على الحكومة أن تتأهب لمغادرة باريس ! .. وسرعان ما اتصل « رينو » - اذ نقلت اليه الرسالة - بجاميلان ، فقال له هذا : « انما طلبت أن يستعد الوزراء للرحيل ، حتى لا يضطروا الى مغادرة العاصمة بارتباك ، اذا زحف عليها الألمان » .

ودعى مجلس الوزراء الى اجتماع عاجل فى الساعة الثالثة صباحا .. وبدا « دالادييه » منهارا .. وفى ظهر ١٦ مايو ، اجتمع فى مكتب « رينو » - بوزارة الخارجية - عدد من الوزراء ، ورئيسا مجلسى البرلمان ، والجنرال « بير هيرنج » - الحاكم العسكرى لباريس - وكان رئيس الوزراء منهمكا فى اعداد بيان لأهل باريس يدعوهم الى مبارحتها .. وقال وزير المواصلات انه لم يكن يملك أن يضع قطارا واحدا فى خدمة النازحين ، وان ما لديه من سيارات النقل عدد قليل !

درس فى الاستراتيجية يلقيه القائد المهزوم !

● **اذ ذاك** ، أصبح لزاما أن يتحكم العقل فى علاج الموقف . وتبين المجتمعون أن قرار الحكومة سيثير الذعر بين الأهالى والجنود .. وفيما كان النقاش دائرا ، ارتفعت ضجة فى الخارج ، فأطل « اناتول دى مونزى » - وزير المواصلات - من احدى النوافذ ، واذا طرود من وثائق وزارة الخارجية تهوى من أحد الطوابق العليا الى فناء الوزارة ، ثم توقد فيها

النار .. وسرعان ما أحاط الدخان قصر ال « كى دورسيه » الفخم ، بغلالة قائمة .. **وصاحت الكونتة دى بورت : « أى غبى أمر بهذا ؟ » .. واذ قيل لها ان رئيس الوزراء أمر بذلك ، اتصلت به ، فتنصل من المسئولية .. ولكن الكونتة لم تلبث ان وجدت نفسها ـ بعد قليل ـ منهمكة فى حزم أمتعتها وامتعة عشيقها .. رئيس الوزراء !**

والى « مركز أعصاب » فرنســا المرتبكة ، الذى أحاط به الدخان ، وصل تشيرشل فى السـاعة الخامسـة والثلث مساء .. وكان قد تبين ـ منذ بلغ المطار ـ أن الموقف أسوأ من كل ما كان يتصور .. ووقف « جاميلان » أمام خريطة ، يبين المواقع التى اخترقها الألمان ، و « يشرح التطورات فى وضوح وهدوء ، وكأنه يلقى درسا فى الاستراتيجية الحربية » ـ على حد تعبير « بودوان » ! ـ وما ان انتهى من « الدرس » ، حتى خيم على المكان صمت طويل ، قطعه تشيرشل متسائلا :

ـ وأين الاحتياطى الاستراتيجى ؟

ويقول تشيرشل فى مذكراته : « والتفت الجنرال جاميلان نحوى ، وهز رأسه وكتفيه قائلا : « لا يوجد احتياطى » ! .. وذهلت » !

« بيتان » يظهر على مسرح الأحداث !

● **ومع ذلك** ، فقد ظل تشيرشل لا يصدق أن اندفاع المصفحات الألمانيــة خطر كبير ، « فان الدبابات تمثل قوة محدودة ، ما لم تكن مدعمة بمشاة . فهى لا تستطيع ممارسة أعمال الصيانة لنفسها ، وهى تحتــاج الى وقود وامدادات متوالية » .. وأجمع جاميــلان ، ورينو ، ودالاديبه ، على مطالبة بريطانيا بمزيد من الطائرات المقاتلة .. ولكن تشيرشل أصر على أن المدفعيــة وحـدها هى التى تستطيع ايقاف الدبابات ! .. **وكان غريبا الا ترى القيادة العليا الفرنسية هذا**

الرأى ، وقد كانت تمتلك أعظم مدفعية فى أوربا !.. وكان مذهلا أنها لم تستغل تفوقها فى المدفعية لايقاف الدبابات المعادية !

ووافق تشيرشل ـ أخيرا ـ على ارسال عشرة أسراب من المقاتلات البريطانية ، فلم يبق لحماية انجلترا سوى ٢٥ سربا ! .. وازاء النكبة الهائلة ، عمد « رينو » الى تغيير القائد العام ، والى تعديل الوزارة ، فتولى بنفسه وزارة الدفاع ، ونقل « دالادييه » الى الخارجية ، (اذ أن الأخير ظل يتولى الوزارة الأولى منذ سنة ١٩٣٦ ، ومن ثم فقد كان أكثر مسئولية من أى سياسى آخر عن حالة الجيش !) .. ويقول الذين شاهدوه اذ ذاك انه كان محطما ـ كما كان قادة فرنسا الكبار ـ لانهيار الجيش فى تسعة أيام !

وعندما أعلن التعديل الوزارى ـ فى ١٨ مايو ـ كان « بيتان » قد عين وزيرا للدولة ونائبا لرئيس الوزراء ، كما عين الجنرال « فيجان » قائدا عاما .. وما كان « رينو » ـ اذ ذاك ـ يدرك ما فى ذهن « بطل فردان » ، ولا سمع بأن « بيتان » قال لفرانكو ، قبيل مبارحته اسبانيا : « لقد هزمت بلادى ، وهم يدعوننى لأعقد الصلح وأوقع الهدنة .. ها هى ذى نتيجة ٣٠ عاما من الماركسية » !

على أن رينو وزملاءه لم يلبثوا أن فطنوا الى أن « بيتان » كان يسعى لرئاسة الحكومة ، ليتخلص من السياسيين الذين كان يلعنهم منذ وصوله الى باريس !

ظهور « ديجول » .. وبدء بزوغ نجمه !

● **أشار** الجنرال « فيجان » على وزير المستعمرات « لوى رولان » ـ بعد أسبوع من توليه منصبه ـ بأن تبقى الحكومة فى باريس ، ولو دخلها الألمان ، كما فعل شيوخ (روما) عندما غزتها القبائل البربرية منذ قرون ، (فعندما

دخل الغزاة روما ، وجدوا أعضاء مجلس الشيوخ جالسين فى مقاعدهم صامتين .. « ولقد ذبحوهم عن آخرهم ، ولكن العمل لم يخل من أبهة وعظمة » !) .. ووجد الوزير أن واجبه يدفعه الى ابلاغ رئيس الجمهورية « لوبران » بهذا الرأى ، فما كان من الأخير الا أن طوح ذراعيه فى الهواء ، صائحا : « لابد أنه مجنون ! .. أيريد أن ألقى مصير شوشينج (مستشار النمسا الذى اعتقله النازيون سنة ١٩٣٨) ؟ كيف تتصرف حكومة سجينة فى تسيير دفة الحرب بحرية ؟ .. الى أين تراه يقودنا ؟ » .

وأخذت الشكوك تسمم عقول الفرنسيين ضد الانجليز ، فى تلك الفترة ، اذ راودتهم الهواجس بأن انجلترا قد تقبل توقيع صلح منفرد مع هتلر ، الأمر الذى عكر العلاقات بين الحليفتين ـ سيما وأن نفس الهواجس راودت الانجليز نحو فرنسا ! ـ والواقع أن « رينو » تلقى ، فى ٢٠ مايو ، ايحاء من الألمان بأن يتقدم اليهم بشروط صلح ، اذا شاء أن تلقى بلاده تساهلا من المنتصرين .. ولكن « رينو » رفض مجرد الفكرة .

ولقد شهد يوم ٥ يونيو عام ١٩٤٠ حدثا بالغ الأهمية كان له أثر فى مستقبل فرنسا : اذ أصدر « رينو » أمرا بتعيين « شارل ديجول » ـ قائد فرقة المدرعات الرابعة ـ وكيلا لوزارة الدفاع .. فأثار ذلك كلا من « بيتان » ، و « فيجان » (الذى وصف ديجول بأنه طفل ، مع أن عمره كان اذ ذاك ٤٩ سنة !) وقال : « انه صحفى أكثر منه ضابطا ، ورأيه فى نفسه يعميه ! » .. أما « بيتان » فوصف « ديجول » بأنه مغرور ، مخبول ، « يظن أنه يعرف كل شىء عن ميكانيكيات الحرب . ان زهوه يزين له أن يظن أن فن الحرب لا يخفى عليه .. وهو لم يؤت فى الجيش سوى أصدقاء قلائل ، ولا عجب ، لأنه يبدو متعاليا على الجميع » !

ومن العجيب أن تكون هـذه الفكرة لدى « بيتان » ـ وفى غمرة هزيمة فرنسا وتفككها ـ راجعة الى أن « ديجول » نشر ، قبل ذلك باثنى عشر عاما ، كتابا عن الجيش ، سمح له « بيتان » (كرئيس لأركان الحرب) بنشره ، على أن تكون كلمة الاهداء ـ فى مقدمة الكتاب ـ لبيتان .. ولكن ديجول أهمل توجيه الاهداء الى القائد « الأسطورى » !

« فيجان » يتوقع دخول الالمان باريس فى ٢٤ ساعة !

⦿ **وقرر** مجلس الوزراء ـ فى ٩ يونيو ١٩٤٠ ـ مغادرة العاصمة فى اليوم التالى ، والانتقال الى (تور) . كان الألمان قد عبروا نهر (السين) فى موقعين ، وأخذت القوات الفرنسية تتراجع أمامهم فى غرب باريس وشمالها ، وتوقع « فيجان » ان يصلوا الى العاصمة فى ظرف ٢٤ ساعة ، اذا علموا بمدى ضعف فرنسا .. وصاح القائد : « اننا ندفع ثمن عشرين عاما من الأكاذيب والنظريات السياسية ! » .

وكتب « بودوان » ـ فى مذكراته ـ أن « فيجـان » كان يرى ألا داعى لاراقة الدماء ، ما دامت فرنسا قد هزمت .. وانه قال له فى هذا الصدد : « لماذا نسوق فرنسا الى العدو ؟ .. وفى أى حالة من الانهيار الاجتماعى نسوقها ؟ » .

واصطدم « فيجان » مع « ديجول » ، فى الاجتماع الذى عقده مجلس الوزراء فى ذلك اليـوم (٩ يونيو) : اذ طلب « رينو » الى القائد العام اعداد منطقة للصمود فى شبه جزيرة (بريتانى) ، فقال « فيجان » ان هذا مضيعة للوقت .. وسفه تأييد ديجول للفكرة ، ولكن ديجول ذكر ـ فيما بعد ـ أنه أيدها لأنها تيسر للحكومة ، حين تزداد الأحوال سوءا ، أن تعبر البحر الى شمال افريقيا ، ايمانا منه بأن فرنسا ما كانت تستطيع الصمود الا فى مراكش او الجزائر !

عشيقة رينو تدعو الى الاستسلام !

● **وقضى** الوزراء والقادة ليلة ١٠ ـ ١١ يونيو فى سياراتهم ، وهى تقلهم ببطء بالغ ، وسط جحافل المهاجرين من باريس ، صوب الجنوب .. وفى النهار التالى ، تبعثروا فى المساكن القائمة جنوب نهر (اللوار) ، من (بريار) شرقا حتى (تور) غربا .. وكانت المواصلات التليفونية قليلة ، وفى أسوأ حال .. واضطرت وزارة الخارجية الى أن تعتمد على « راديو » متنقل ـ كان مع السفير البريطانى سير « رونالد كامبل » ـ لمعرفة الأنباء الخارجية .. **وكان الضجيج والفوضى يسودان المنزل الذى استقر فيه « رينو » مع عشيقته ومساعديه .. حتى لقد قال الجنرال « سبيرز » ان رأسه كان يدور لمجرد التفكير فى أن هذا البيت كان « قلب فرنسا ومركز العقل فيها .. المكان الذى تتخذ فيه القرارات » !..** وذكر أن السفير أخبره بأن « مدام دى بورت » اطلت عليه وعلى رئيس الوزراء ـ أثناء اجتماعهما هناك ـ ثلاث مرات أو أربع .. ثم أردف : « ولقد علمنا جميعا أنها كانت تندفع الى حجرة رئيس الوزراء ، بمجرد أن يغادرها واحد منا ، فتنهال عليه بالأسئلة عما دار فى الاجتماع ، وباللوم ، قائلة : ما جدوى الاستمرار فى الصمود ؟ » !

خلافات .. على أنقاض فرنسا المنهارة !

● **بعد** فجر ١٤ يونيو بقليل ، دخلت قوات هتلر (باريس) .. وفى اليوم ذاته ، فرت حكومة فرنسا الى (بوردو) .. وشعر رئيس الوزراء بأن « المؤامرات أخذت تنمو وتستفحل » .. وتبين ، خلال اليومين الأولين ، أن العسكريين كانوا يتجسسون على اتصالاته التليفونية .. وكان ـ وهو مرهق مكدود ـ يعتقد بأن الأسطول الفرنسى

قادر على مواصلة الحرب من شمال افريقيا ، (اذ كانت مراكش والجزائر وتونس لا تزال أجزاء من الامبراطورية الفرنسية) .

وفى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ١٥ يونيو ، وصل « فيجان » الى بوردو ، وكان المارشال « بيتان » قد طلب الي « رينو » - فى الصباح - عقد هدنة ، وعارض انتقال الحكومة الى شمال افريقيا .. وبتعليمات منه ، زاره « فيجان » قبل أن يقابل « رينو » ..

وكان الخلاف بين رئيس الوزراء والرجلين على أشده ، برغم الموقف .. وكانت الحكومة منقسمة على نفسها ، والهوة بينها وبين القيادة العليا فى اتساع .. وقال « رينو » للقائد العام ان عليه أن يطلب ايقاف اطلاق النار ، بشرط أن يختار موعدا كافيا لأن ينتقل أقصى عدد ممكن من القوات - مع الحكومة - الى شمال افريقيا ..

وأجاب فيجان فى غضب : « لن تبرح الحكومة فرنسا ! » .. أما عن طلب الهدنة ، فقال مهتاجا : « لن أجلب مثل هذا العار على الجيش الفرنسى ما حييت ! » .. وبدا واضحا أنه كان يهدف الى أن تتحمل الحكومة - لا الجيش - عار الاستسلام ! .. وكان هو و « بيتان » يؤمنان بأن الحلفاء - وليست فرنسا وحدها - قد خسروا الحرب ، وأن على فرنسا أن تخرج من الحرب فورا .

واقترح « كامى شوتان » - وكان نائبا لرئيس الوزراء مثل « بيتان » ، وقد قضى عدة أسابيع فى التقرب الى العسكرى العجوز ، وراء ظهر رينو - الا تطلب فرنسا الهدنة ، بل أن تسأل ألمانيا عن الشروط التى تطلبها للهدنة .. وشعر « رينو » بأن أغلبية الوزراء يحبذون هذا الاقتراح ، فأخطر رئيس الجمهورية - الذى حضر اجتماع مجلس الوزراء - بأنه مستقيل .. وهتف « لوبران » فى فورة عاطفية : « اذا

استقلت ، فاننى سأستقيل كذلك ! » .. وحاول « رينو » أن يثنيه ، ولكنه ـ فى قرارة نفسه ـ كان قد أيقن بفشل صراعه مع العسكريين !

مشروع الدولة البريطانية الفرنسية المتحدة !

● وفى ١٦ يونيو ، اتصل الجنرال ديجول ـ وكان قد ذهب الى لندن ـ برئيس الوزراء « رينو » ، ليبلغه عرضا خطيرا وعاجلا من الحكومة البريطانية .. وكان العرض يتمثل فى اذاعة بيان بقيام « اتحاد » بين بريطانيا وفرنسا ، هذا نصه :

« فى هــذه اللحظة التى تمثل أحرج لحظات تاريخ العالم الحديث ، تعلن حكومتنا المملكة المتحدة والجمهورية الفرنسية اتحادا لا تنفصم عراه ، وتصميما لا يلين ، على المضى فى دفاعهما المشترك عن العدالة والحرية .. وتعلن الحكومتان أن فرنسا وبريطانيا العظمى لن تعودا دولتين ، وانما تصبحان دولة واحدة ، هى الاتحـاد الفرنسى البريطانى .. وسيتمتع كل مواطن فرنسى فورا بالتبعية البريطانية ، وسيصبح كل متمتع بالرعوية البريطانية مواطنا فرنسيا » .

وكان معنى ذلك أن تصبح هناك « وزارة حرب » واحدة ، تدير الحرب ، وتمارس الحكم من أى مكان يتيسر لها !..

وصاح رينو : « اننى أبذل حياتى دفاعا عن هذه المقترحات » .

فأسلم ديجول مسماع التليفون الى تشرشل ، ليتفقا على اللقاء فى (بريتانى) ـ فى اليوم التالى ـ ليعلنا قيام الاتحاد .

وطار ديجول لفوره الى (بوردو) حاملا نسخة من البيان .

ولم يكن المشروع من ابتكار تشرشل ، بل كان قد سمعه فى اليوم السابق أثناء نقاش بين « لورد هاليفاكس » ـ وزير الخارجية البريطانى ـ وزميله الفرنسى « جان مونيه » ، وبعض ديبلوماسيين من الطرفين . وقد تلقـاه « ديجول » موجسا من استحالة اعلان الاتحاد فى وقت مناسب .. ومع

ذلك ، فقد اعتبر اعلان التضامن ـ فى حد ذاته ـ « عملا ذا قيمة كبرى » .

وفى (بوردو) ، تحول مكتب « رينو » الى مسرح انفعال شديد .. وحمل الجنرال « سبيرز » ترجمة أعدها للبيان ، الى حجرة السكرتارية لنسخها ، **واذا به يجد مدام « دى بورت » ، التى وقفت خلفه تقرأ كل كلمة يوقعها السكرتير على الآلة الكاتبة .. وكان من العسير التكهن بما اذا كانت ، وقتئذ ، واقعة تحت تأثير الدهشة ، أو الغضب ، ولكن التعبيرين تجليا معا فى مسلكها !**

وعندما اجتمع مجلس الوزراء الفرنسى ـ فى الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم ـ ليقرر : هل تطلب الحكومة شروط الهدنة ، أو تنتقل الى شمال افريقيا لتواصل الحرب ، قرأ « رينو » البيان ببطء ، ضاغطا على أهم الكلمات ، وأردفه بنبأ اللقاء المتفق عليه فى (بريتانى) .

فى ساعة يأس ، أسلم رينو فرنسا الى بيتان !

● **ويروى** « رينو » أنه بهت ، عندما قوبل البيان بصمت تام .. ثم تكلم أحد الوزراء ليرفض ـ فى اباء ـ فكرة الاتحاد .. وأعقبه آخر باتهام بريطانيا بالرغبة فى جعل فرنسا « من ممتلكات التاج » !.. وكانت تعليقات الوزراء أكبر صدمة تلقاها « رينو » فى حياته . وفى تلك الأثناء ، وردت رسالة من الجنرال « جورج » بأن الجنود كانوا يتراجعون فى فوضى وارتباك ، وقد طوق العدو فريقا منهم ، فتحول الوزراء عن مناقشة مشروع الاتحاد ، ليدرسوا موضوع الهدنة !

ومن التصريحات التى أدلى بها الوزراء ـ فيما بعد ـ لا يخالجنا الشك فى أن الأغلبية كانت ضد الهدنة ، ولكن « رينو » لم يفطن قط الى أن يطلب احصاء الأصوات !.. وقد زعم ـ بعد الحرب ـ أن أنصار رفض الهدنة كانوا أقلية

حوله ، ثم حاول أن يلتمس عذرا لاغفاله أخذ الأصوات ، قائلا ان الوزارة كانت منقسمة على نفسها ، وان هذا الانقسام كان يشل أى تصرف فى موقف حيوى كهذا !.. وقال « لوبران » – فى محاكمة « بيتان » بعد الحرب – ان « رينو » أنبأه ، بعد الاجتماع ، بأن أنصاره أصبحوا أقلية ، ولكنه (أى لوبران) طلب اليه الاستمرار فى الحكم .. غير أن **« رينو » كان منهوك القوى ، فقال لرئيس الجمهورية : « اذا شئت تنفيذ هذه السياسة (الهدنة) ، فاذهب وكلف المارشال بيتان بها » !.. وما فطن الى أن هذه الكلمات كان مقدرا لها أن تشوه كل مستقبله ، اذ أعطت خصومه الحجة فى أن يقولوا ان « رينو » هو الذى نصح رئيس الجمهورية بأن يعهد بالحكم الى « بيتان » ، برغم ادراكه أن « بيتان » سيبادر الى طلب الهدنة !**

وقد كتب « رينو » – فى ١٢ مايو ١٩٤١ – رسالة الى « بيتان » ، من السجن الذى ألقاه فيه المارشال ، جاء فيها : « منذ عام ، تحملت مسئولية الاشارة على رئيس الجمهورية بتعيينك خلفا لى .. ولست أنكر المسئولية .. ولكنى أسأل فرنسا أن تغفر لى » !

فى ساعة واحدة .. تألفت حكومة « بيتان » !

● **اجتمع** الوزراء خارج مكتب « لوبران » ، فى الساعة العاشرة مساء ، ليتخذوا القرار الأخير – فى موضوع الهدنة – وهم موقنون بأن الأغلبية تناصر رأى « رينو » .. ولكن « رينو » فاجأهم بأن « بيتان » منهمك فى تشكيل وزارة جديدة ، ثم انصرف .. وثار أنصاره لكرامتهم ، اذ رأوا فى رفعه استقالة الحكومة كلها – دون استشارة أعضائها – تصرفا خطيرا ، فى موقف تاريخى شديد الحرج .

ولكم كانت دهشة رئيس الجمهورية ، عندما كلف

بيتان بتشكيل الوزارة - فى الساعة العاشرة مساء - فاذا به يوافيه بأسماء وزرائه فى الحادية عشرة .. وهو الذى لم يكن على معرفة بعدد كبير من السياسيين ، مما أوحى بأن « التشكيل كان جاهزا فى جيبه منذ فترة » .. أو - فى رأى عدد آخر من السياسيين - كان هناك من راح يدفع المارشال للحكم ، وقد أعد له قائمة الوزراء !

ولقد ذهب الجنرال سبيرز - بعد هذه التطورات - الى منزل « رينو » فلم يجده ، ولكنه صادف الجنرال ديجول ، مستندا الى أحد أعمدة بهو المنزل .. وكان « ديجول » قد اتخذ قراره - منذ الصباح - فى حالة ما اذا طلبت حكومته الهدنة ، فهمس لسبيرز برغبته فى العودة الى انجلترا ، وبخشيته أن يمنعه « فيجان » ويعتقله .. وعلى هذا ، اتفقا على اللقاء فى مقر الدبلوماسيين البريطانيين ، فى ساعة متأخرة من الليل . وهناك ، أكد « ديجول » تصميمه على الرحيل ، لينظم حركة مقاومة ضد حكومة « بيتان » ..

« لافال » يسعى لتقاضى ثمن تأييده للمارشال !

● **واتصل** سبيرز بتشرشل ، فوافق على احضار « ديجول» ، اذ انه كان كل من يستطيع البريطانيون ان يعولوا عليه من الفرنسيين ، بالرغم من انه لم يكن مشهورا لدى الراى العام الفرنسى .. واتفق على أن يذهب الى السفارة البريطانية - فى السابعة من صباح اليوم التالى - فتقله سيارة السفارة الى المطار ، وتسلمه الى طائرة بريطانية ..

وعندما ذهب « ديجول » مع « سبيرز » - فى الصباح التالى (الاثنين) - الى المطار ، كان عليه أن يتظاهر بأنه جاء لوداع صديقه البريطانى ، فيصعد معه الى الطائرة .. وفى اللحظة الأخيرة ، قال الطيار ان أمتعة ديجول تضمنت قطعا صغيرة كثيرة ، لا بد من تثبيتها بالحبال فى أماكنها .. **وبينما**

كان البحث يجرى عن حبال ، وصل اثنان من « بلوران » رئاسة الوزراء ، يسألان عن وجهة « ديجول » ، فقيل لهما انه كان موفدا الى انجلترا فى مهمة .. وما ان اقتنع الرجلان وانصرفا ، حتى بادرت الطائرة الى الاقلاع .. وقال تشرشل – فيما بعد – « ان ديجول كان يحمل معه فى هذه الطائرة الصغيرة ، شرف فرنسا » !

وبينما كان « ديجول » فى الجو ، كان « بيير لافال » قد بدأ يحقد على « بيتان » . فلقد ظن أن المارشال سيذكر – عند تأليفه حكومته – أنه مدين بالكثير للجهود التى ظل « لافال » يبذلها طويلا ، لتحقيق هذه الغاية .. ولكنه حين ذهب لمقابلته – فى الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم الأحد – وجد أن « بيتان » عينه وزيرا للعدل ، وكان يطمع فى وزارة الخارجية .. وكان « بيتان » قد عين « بودوان » للخارجية ، فلما حاول ارضاء « لافال » ، نبهه « فيجان » الى ان هذا قد يعتبر اثارة منه لبريطانيا ضد حكمه .. ولم يشترك « لافال » فى الحكومة ، لتمسكه بمطلبه !

الكولونيل « المحال الى الاستيداع » يبدأ الجهاد

● وفى الساعة السادسة من مساء يوم ١٨ يونيو ، جلس الجنرال ديجول فى « استوديو » بالاذاعة البريطانية – لا يصحبه سوى مذيع بريطانى – ليوجه أول أحاديثه الى مواطنيه : « ان القادة الذين كانوا على رأس الجيوش الفرنسية سنوات عديدة ، قد ألفوا حكومة . وهذه الحكومة قد اتصلت بالعدو – تسليما منها بهزيمة جيوشنا – لتنهى القتال .. ولكن ، هل انتهى الأمر ؟ هل تبدد الأمل ؟ هل الهزيمة نهائية ؟ كلا !.. لأن فرنسا ليست وحيدة ... »

وكان – كما ذكر فيما بعد – يشعر بأنه ، وهو فى التاسعة والأربعين من عمره ، قد أنهى الحياة التى عاشها فى

اطار « فرنسا متينة صلبة ، وجيش لا يتفكك » .. ليغوص فى مغامرة تقطعت به فيها كل روابط كانت تربطه بالماضى ، وأخذت رياح القدر تتدافعه !.. **وبدا أن كلماته - فى غمرة الهزيمة - تنبعث فى فراغ .. ولعل هذا كان شعور الاذاعة البريطانية - لفرط العجب ! - فلم تتخذ التدابير للاحتفاظ بتسجيل لها !.. ولم تولها صحيفة « التايمز » اللندنية سوى سطور قلائل ، ولا تقدمت أية شخصية سياسية أو عسكرية للوقوف بجانبه فى هذا التحدى .. بل ان الذين سمعوها من الفرنسيين ، كانوا قلة ضئيلة ، لا سيما أن الكهرباء كانت مقطوعة فى كثير من المدن ، فكانت أجهزة « الراديو » معطلة .. وشعر « ديجول » أنه وحيد ، ولكن رسالته كانت تبدو له بجلاء !**

أما حكومة (بوردو) ، فقد أصدرت بيانا بأن « ديجول » لا يملك ما يؤهله لأن يوجه تصريحات الى الرأى العام « لأنه لم يعد عضوا فى الحكومة » !.. ودعته الحكومة للعودة ، فكتب - بعد يومين - الى « فيجان » يؤكد استعداده للعودة اذا عدلت الحكومة عن توقيع الهدنة ، ويتوسل اليه أن يتجنب النكبة ، وأن ينتقل والحكومة الى أجزاء فرنسا - وراء البحار - لمواصلة النضال . ولكن الرسالة أعيدت الى ديجول - فيما بعد - وعليها هذه الكلمات : « اذا أراد الكولونيل المحال للاستيداع « ديجول » أن يتصل بالجنرال فيجان ، فعليه أن يفعل ذلك بالطرق النظامية » !

فى اللحظة الأخيرة .. أرجأ « لوبران » سفره !

● **وفى** نفس اليوم - ١٨ يونيو - اتصل « بيتان » بالسفير الأسبانى ، ليتحرى عن موقف الألمان ، بينما كان بعض السياسيين - وفى مقدمتهم رئيسا مجلسى النواب والشيوخ - يضغطون على الحكومة لترحل الى افريقيا ..

ولكن العسكرى العجوز ظل يردد فى اصرار : « لن أبرح فرنسا » !.. وعرض رئيسا البرلمان أن يبقى « بيتان » و « فيجان » واثنان أو ثلاثة من الوزراء ، وينتقل الباقون الى شمال افريقيا .. وبعد لأى ، قبل « بيتان » ، ووافق مجلس الوزراء — فى الصباح التالى — على ذلك . وتقرر أن يسافر « لوبران » ورئيسا البرلمان — هريو وجانينى — والوزراء من ميناء (بورت فاندر) ، بينما يبحر أعضاء البرلمان من (بوردو) مباشرة .

ولكن « لوبران » وزملاءه غفلوا عن تآمر « لافال » ، ومقدرة المارشال العجوز على الصمود ، ودسائس السياسيين المذعورين الذين كانوا يعارضون اتخاذ (الجزائر) مقرا للحكومة ، لأن هذا كان معناه استمرار الحرب !

ومن ثم ، فبينما كانت العدة تتخذ للرحيل ، فوجىء رئيس الجمهورية وزملاؤه بحديث يذاع للمارشال بيتان — فى ظهر يوم ٢٠ يونيو — مبررا طلبه للهدنة ، مؤكدا انه كرئيس للحكومة ، باق فى فرنسا .. وبينما كانت سيارة « لوبران » تتجه الى الباب الخارجى لمقره — فى الساعة الثانية بعد الظهر — فوجىء بنبأ تليفونى بأن « بيتان » دعا الى اجتماع خاص لمجلس الوزراء ، فقرر الرئيس البقاء ..

سكرتير مجلس الوزراء يكذب مرتين !

● **وكان** النبأ خدعة قام بها « رافائيل اليبير » ، سكرتير مجلس الوزراء — وكان رجلا ملتويا ومن أشد المتحمسين للملكية — لنسف مشروع الرحيل .. فقد أبلغ « بيتان » معلومات كاذبة ، مؤداها ان القوات الفرنسية استطاعت أن توقف الألمان عن عبور نهر (اللوار) ، ومن ثم فلا داعى لسفر رئيس الجمهورية والوزراء ، ووافق « بيتان » .. أما « ليبران » فأكد أنه برغم ذلك يعتزم الرحيل مع الآخرين !

ولقد اعترف ((اليبير)) ـ بعد عامين ـ بأن هـذه كانت ((الاكذوبة الأولى)) .. وكانت ((الاكذوبة الثانية)) أن املى أمرا ـ باسم رئيس الوزراء ، ودون علمه ـ الى كل وزير بأن يلزم بيته حتى الساعة الثامنة من الصباح التـالى ، وختم الأوامر بخاتم رئيس الوزراء ، وزور عليها توقيعه .. وجازت الخدعة ، حتى على الجنرال ((فيجان)) !

وهكذا انتهى آخـر أمل لرئيس الجمهورية والآخرين فى نقل الحكومة الى شمال أفريقيا !

ادوار هريو يفتح باب الاستسلام !

● **ولكم** بهت ((ادوار هيريو)) ـ رئيس مجلس الشيوخ ـ عندما أبلغ فى منتصف ليل ١٧ ـ ١٨ يونيو ، ان الألمان كانوا يزحفون على مدينته (ليون) ، وان قوة فرنسية قوامها ٣٠٠٠ رجل ـ معظمهم من الزنوج ـ كانت معتزمة الدفاع عن المدينة ونسف الجسور .. وان المدينة كلها قد تدمر خلال القتال !

وأسرع ((هيريو)) الى ايقاظ ((بيتان)) ، مطالبـا اياه بانقاذ مدينته من الخراب .. ومع دهشة المارشـال ـ الذى كان لا يزال تحت تأثير النوم ! ـ من هذا الطلب الصادر من اشد المعارضين للهدنة ، فقد بادر باصدار أوامره باعلان ليون ((مدينة مفتوحة)) .. وما ان علم رؤساء المدن الأخرى بذلك ، حتى انهالت الطلبـات باعلان مدنهم مفتوحـة هى الأخرى ، وبالتالى .. باصدار الأوامر للقوات الفرنسية بعدم اثارة اى عمل من أعمال الدفاع .. فوافقت الحكومة ، عن طيب خاطر !

وأعقب ذلك ، صـدور أمـر من الجـنرال كولسون ، وزير الدفاع الجديد ، بتحريم انسحاب السلطات المدنيـة والعسكرية من المدن ، فى حالة وصول العدو اليها ! .. وكان معنى هذا : ((التسليم)) للألمان ((بمجرد وصولهم)) !

وأطيعت هذه الأوامـر بسرعة وارتيـاح فى كثير من

الأماكن .. حتى ان قائد احدى الفصائل استسلم لوحدة من الألمان ــ قبل وصولها الى موقعه ــ بمجرد أمر تليفونى !

« لافال » ينشط لهدم الجمهورية .. وتحقيق أطماعه !

● **ابتلع** « لافال » كبرياءه وغضبه ، وسعى الى الحكومة ــ يوم ٢٣ يونيو ــ طالبا أى منصب وزارى ، فعينه « بيتان » وزير دولة ، ثم حذر وزير الخارجية من أن يسمح له بالتدخل فى الشؤون الخارجية ! .. ولقد بهت « بودوان » لهذا التعيين ، ولكن المارشال قال ان وجود « لافال » فى الحكومة ، خير من تركه خارجها يحيك المؤامرات الخطرة !

وفى ٣٠ يونيو ، عقد المارشال اجتماعا حضره « لافال » و « الیبیر » و « بودوان » .. وكان من رأى الأخير أن يأمر رئيس الحكومة بتأجيل البرلمان ستة أشهر ، **ولكن « لافال » و « الیبیر » عارضا هذا الاجراء ، بحجة أن فرنسا المهزومة كانت فى حاجة الى جهاز دولة يستطيع التفاوض مع الألمان ، وان الضرورة تدعو الى عقد البرلمان بمجلسيه فورا ، وحمله على أن يفوض رئيس الوزراء ويمنحه السلطة الكاملة لوضع دستور جديد لنظام حكم جديد !**

واعتبر « بودوان » أن مثل هذا الاجراء سيعتبر ــ فى رأى أغلبية البرلمانيين ــ أمرا بالانتحار .. ولكن المارشال كان ضعيفا فى السياسة ، لا يستقر على رأى . وقد حاول الافلات من الحاح « لافال » ، فتعلل بأن الأمر من اختصاص رئيس الجمهورية .. ولكن « لافال » لم ينثن ، بل قال : « سأحصل فورا على موافقة ليبران التامة » ! .. **وانطلق لفوره ، ثم عاد بعد ساعة ، يفخر بأنه قوض كل معارضة لرئيس الجمهورية ، وحصل على موافقته على تعديل الدستور !**

ثم شرع لافال فى هدم « الجمهورية الثالثة » .. وكم

كانت دهشته ، حين أيده الاشتراكيون ، الذين كانوا آخر من يقر الديكتاتورية الفاشية ! .. بل ان كثيرا من أقطابهم ، دعوا الى الالتفاف حول « بيتان » ، وحل الأحزاب السياسية .. وان راحوا يتساءلون فى أنفسهم : اذا أصبح المارشال ديكتاتورا ، فمن يخلفه اذا أصابه حادث ؟ .. وكان جواب « لافال » بسيطا : « ان المارشال سيعين اسم خليفته بنفسه » !

والواقع ان « لافال » كان يسعى لأن يعينه « بيتان » خليفة له .. كانت خطته ترمى الى التخلص من الجمهورية البرلمانية واقامة « بيتان » ديكتاتورا .. ثم السعى الى اقناع المارشال بأن يختاره خليفة له . وراح يعمل جاهدا لاقناع أعضاء البرلمان بأن يقرروا بأنفسهم نهاية الجمهورية !

.. وماتت الجمهورية الفرنسية الثالثة !

● **وبينما** كان « رينو » وعشيقته الكونتة « دى بورت » فى سيارتهما — يوم ٢٨ يونيو — تعرضت السيارة لحادث ، ولقيت الكونتة مصرعها .. وفى ٢٩ يوليو ، رحل « رينو » — برغم أوامر الأطباء الذين كانوا يعالجونه — الى (فيشى) ، لا لينقذ الجمهورية من تدابير « لافال » ، كما ظن الكثيرون ، **وانما ليدافع عن اثنين من « ياورانه » ، اعتقلا فى مدريد ومعهما مبالغ ضخمة من أموال « المصاريف السرية » — التى كانت تحت تصرفه وهو رئيس للوزراء — وحلى ومجوهرات عشيقته .. وكانا يحاولان تهريب كل هذه الثروة ، بتعليمات منه !**

وما ان أتم مهمته هذه بنجاح ، حتى تذكر أوامر الأطباء ، فلم يشأ حضور اجتماعات البرلمان ، وغادر (فيشى) ، لا يحمل ضغينة ما لبيتان !

ولقد اجتمع مجلسا البرلمان — بعد ظهر يوم ١٠ يوليو — فى هيئة جمعية عامة ، وبدأ الأعضاء يشعرون بخطورة المهمة ،

ولكن أنصار لافال راحوا يصيحون : « صوتوا ! » .. وحاول « جانينى » توجيههم الى مراعاة الاجراءات البرلمانية ، وسماع آراء الذين طلبوا الكلام قبل التصويت ، حتى يتيح فرصة للمعارضة .. ولكن الصيحات ظلت تنادى : « التصويت ! »

وضاعت كل الأساليب ، والمناورات ، والتكتيكات البرلمانية . وبدأ التصويت ، وقد أصبح كل امرىء على دراية بأن المطلوب هو النطق بحكم الاعدام على الجمهورية .. ومع ذلك ، فان عدد المعارضين لم يتجاوز ٨٠ ، والذين امتنعوا عن التصويت ١٧ ، بينما كان المؤيدون ٥٦٩ !

وماتت الجمهورية الفرنسية الثالثة .. أو ـ على الأصح ـ انتحرت !

وكما أعلن مولدها بعد هزيمة ـ اذ أعلنت فى ٤ سبتمبر ١٨٧٠ ، عقب هزيمة منكرة أوقعها الألمان (البروسيون) بالفرنسيين ـ فانها لفظت آخر أنفاسها عقب هزيمة منكرة أخرى ، أوقعها بفرنسا أبناء البروسيين وأحفادهم ، بعد ٧٠ عاما !

ماتت الجمهورية الثالثة ، وبقى أن توارى التراب .. ودفنت فى عجلة بالغة ، وكأنما كان أقزام (فيشى) يخشون أن ترتد اليها الحياة !

وبدأ « فيليب بيتان » ـ بتحريض من « لافال » و « فيجان » وأنصارهما ـ يستخدم الأسلوب الملكى القديم :

« نحن فيليب بيتان ، مارشال فرنسا ، اذ أتولى وظائف الدولة الفرنسية ، آمر بما هو آت ... »

وهكذا أصدر مرسوم انتهاء الدستور الجمهورى ، وتولى السلطة المطلقة « لسن القوانين وضمان تنفيذها » ..

وبعد أن أصدر مرسوما بتعيين « لافال » خليفة له (١) ، لم يبق سوى أضعف ـ ولكن أعند ـ النقاط فى مخطط « لافال » : التخلص من رئيس الجمهورية « ليبران » !

وفى ١٣ يوليو ، ذهب اليه « بيتان » (٢) ، ليقول له : **« لقد حانت اللحظة الأليمة يا سيدى الرئيس . لقد أحسنت خدمة الدولة ، ولكن الجمعية القومية قررت موقفا جديدا . ولن أكون خليفتك ، لأن نظاما جديدا للحكم يبدأ اليوم » ..**

وكان جواب ليبران : « لا تتعب نفسك . لقد ظللت طيلة حياتى الخادم الأمين للقانون ، حتى ولو لم يحظ بتأييدى الأدبى . ولن يزعجنى أن أطيعه مرة أخرى . لقد تكلمت الجمعية القومية ، وعلى جميع الفرنسيين أن يطيعوا » .

ونزل « ليبران » .. وراحت الجمهورية الثالثة أدراج التاريخ .

---

(١) وقد تولى لافال رئاسة الوزارة بالفعل فى ابريل ١٩٤٢ فتعاون مع الألمان الى الحد الذى انتهى بالحلفاء الى محاكمته عقب تحرير فرنسا ، وتنفيذ الحكم باعدامه فى عام ١٩٤٥ (عن ٦٢ عاما) . وقد بدأ لافال حياته كمحام ، ثم دخل الحياة السياسية حتى انتخب عضوا بمجلس النواب (١٩١٤) ، وفى عام ١٩٣١ صار رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية .. ثم وزيرا للعمل (١٩٣٢) ، فوزيرا للمستعمرات (١٩٣٤) ، فوزيرا للخارجية (١٩٣٤ ـ ١٩٣٥) ، فرئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦) ، فنائب رئيس فى حكومة فيشى (من يوليو الى ديسمبر ١٩٤٠) ، وأخيرا رئيسا للوزارة حتى حوكم وأعدم .

(٢) استمر بيتان رئيسا للدولة حتى ١٩٤٤ فلما حرر الحلفاء فرنسا هرب الى سويسرا ، لكنه عاد فسلم نفسه فى ابريل ١٩٤٥ حين طلب للمحاكمة . وفى أغسطس ١٩٤٥ أدين بالتعاون مع الألمان وحكم عليه بالاعدام ، لكن ديجول خفف الحكم الى السجن المؤبد ، فقضى بيتان فى السجن ٦ أعوام حتى مات عام ١٩٥١ عن ٩٥ عاما .

شركة الخطوط الجوية العالمية TWA
تعلن عن أسهل طريق للوصول إلى أمريكا

يدفع المهاجر
١٠٪ مقدماً
والباقي يقسط
على ٢٤ شهراً
رحلتان أسبوعياً

تليفون:
القاهرة ٥٩٧٦٠
الإسكندرية ٢٦٣٢٨٢

TWA

TRANS WORLD AIRLINES

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
سقوط فرنسا : أحدث كتاب للصحفى العالمى المعاصر ((وليم شيرر)) تلخيص : **حلمى مراد** ...	٥ و ١٣٩
فتاة الجيشا : الرواية اليابانيـة التى فاز مؤلفها ((باسونارى كاوابانا)) بجائزة نوبل : تلخيص **مختار الجوهرى**	١٥
مأساة مايرلنج : أشهر قصص الحب والسـياسة فى تاريخ أوربا الحديث ، للكاتب الفرنسى المعاصر ((لويس سوريل)) تلخيص : **ابراهيم سوريال**	٦٧
صراع الحب والواجب : من قصص المقاومة فى حرب الاستقلال الايطالية ، بقلم **ابراهيم المصرى** ...	٩٧
الحياة الجنسية عند الاغريق : للباحث الاجتماعى الكبير ((فرانز ليشت)) تلخيص : **محمد بدر الدين خليل**	١٠٩

مجلة الصغار

شخصيات خالدة : ابن سينا ـ صدق أو لا تصدق ـ حمام أمير اسيوى يكلف نصف مليون دولار ! ـ عصر الحديد بدأ فى مصر ! ـ أعلى صوت على سطح الأرض ـ جاليليو ـ الأفعى التى تبصق سما ! ـ هل سألت نفسك ؟ (اختبار لمعلوماتك) ـ يقود ثورة ضد نفسه ـ أبشع جزار فى التاريخ ـ ابنتا الشمس (قصة للصغار) .. الخ .

كتابى تصدر عن الشعب مؤسسة صحفية عربية أخصائيون فى المطبوعات العاجلة عضو اتحاد الصناعات

الادارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة ـ ت ٣١٨١٠ ● مكتبة دار الشعب ـ ت ٢٩٩٩١

التوزيع : مكتبة دار الشعب | المطابع : قصر العينى ـ ت ٣١٨١٠ ـ ٣١٨١٨ ـ ٣١٨١٩ دير النحاس ـ تليفون ٨٤٤٨١٠ | رئيس مجلس الادارة السيد ابراهيم

بعد أعوام مهدا للتحضير والاستعداد الطويل:

كتابي ومطبوعاته

يقدمان لك فى الشهور القادمة - بالتناوب - هذه الباقة من السلاسل الجديدة والأعداد الخاصة:

مكتبة الشباب

وتتفرع عنها هذه السلاسل:

١ - التراث العالمى للشباب
٢ - التراث العربى للشباب
٣ - قصص حياة الخالدين
٤ - لكل سؤال جواب

مكتبة أدب السينما

قصص أشهر الأفلام العالمية القديمة والحديثة، مزينة بالصور

ألف قصة وقصة من آداب العالم

مسح شامل لأعظم ألف قصة قصيرة من آداب جميع البلاد، فى جميع العصور

مكتبة القصص الشعبى

[illegible]

مكتبة القصص العلمى

ترتاد بك عالم الغد، كما تتأهب له البشرية

مكتبة جريمة لا تفيد

لأشهر كتاب الأدب البوليسى الراقى

مكتبة الحياة الخاصة

لعباقرة الإنسانية

مكتبة القصص الواقعى

اعترافات يرويها أصحابها وتجارب يرويها أكبر علماء النفس

مكتبة الرسائل والاعترافات

[illegible]

دائرة معارف المرأة

كل ما يهم المرأة أن تعرفه عن نفسها ..وكل ما يهمك أن تعرفه عن نساء العالم منذ فجر التاريخ .. حتى اليوم